فوح العبير
من حدائق التفاسير

«أكثر من ١٠٠٠ فائدة في ١٠٠٠ آية»

جمع وإعداد
عبدالله بن عبدالعزيز التويجري

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

قال القرطبي
قال الرازي
قال الشوكاني
قال مجاهد
قال الثعلبي
قال البقاعي
قال قتادة
قال السيوطي
قال الطبري
قال السعدي
قال ابن القيم
قال ابن كثير
قال أبو حيان
قال أبو السعود
قال ابن عاشور

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

فوح العبير
من حدائق التفاسير

«أكثر من ١٠٠٠ فائدة في ١٠٠٠ آية»

جمع وإعداد

عبدالله بن عبدالعزيز التويجري

طُبع على نفقة: عبد المحسن بن إبراهيم المطرودي رحمه الله وغفر له ولذريته

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

ⓒ دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٩٨٦١/ ١٤٤٦هـ

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٦٦٣-١٩-٧

الكتاب: فوح العبير من حدائق التفاسير

جمع وإعداد: عبدالله بن عبدالعزيز التويجري

القياس: ١٧ × ٢٤ سم

الصفحات: ٥٣٤ ص

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد:

فاختيارُ المرءِ قطعةٌ مِن عقله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

جاء في تفسير الثعلبي: كان سفيان بن عيينة يسمي سورة الفاتحة: الوافية؛ لأنها لا تُنَصَّف، ولا تحتملُ الاجتزاء؛ فكل سورةٍ من سور القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة كان جائزا، ولو نُصِّفت الفاتحة وقرئت في ركعتين كان غير جائز.

۞ ۞ ۞

١. قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

في هذه السورة الكريمة أنواعٌ من الفصاحة والبلاغة، منها:

النوع الأول: حسن الافتتاح، وبراعة المطلع، فإنْ كان أولها: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فناهيك بذلك حسنا إذ كان مطلعُها مفتَتَحا باسم الله، وإنْ كان أولها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فحمدُ الله والثناءُ عليه بما هو أهلُه، ووصفُه بما له من الصفاتِ العليَّةِ أحسنُ ما افتُتح به الكلام، وقُدم بين يدي النثر والنظام.

النوع الثاني: المبالغة في الثناء، وذلك لعموم ﴿ال﴾ في الحمد.

النوع الثالث: تلوين الخطاب؛ فإنَّ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ صيغتها صيغة الخبر، ومعناها الأمر.

النوع الرابع: الاختصاص باللام التي في ﴿لِلَّهِ﴾، إذ دلت على أن جميع المحامد مختصةٌ به؛ إذ هو مستحقٌ لها، وبالإضافة في مالك يوم الدين؛ لزوال الأملاك والممالك عن سواه في ذلك اليوم، وتفرده فيه بالملك.

النوع الخامس: التقديم والتأخير، وهو في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

النوع السادس: التفسير، ويُسمى: التصريح بعد الإبهام، وذلك في بدل ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ من ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

النوع السابع: الالتفات، وهو في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

النوع الثامن: طلب الشيء، وليس المراد حصولُه، بل دوامُه، وذلك في ﴿ٱهۡدِنَا﴾.

هذا بعضُ ما أورده أبو حيان في البحر المحيط (مختصرًا).

۞ ۞ ۞

٢. قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

قال ابن القيم:

تجد تحت هذه الكلمة إثباتَ كلِّ كمالٍ للرب تعالى فعلا ووصفا واسما، وتنزيهَه عن كلِّ سوء وعيب فعلا ووصفا واسما، فهو محمودٌ في أفعاله وأوصافه وأسمائه، منزَّهٌ عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعالُه كلها حكمةٌ ورحمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ لا تخرج عن ذلك، وأوصافُه كلها أوصافُ كمالٍ ونعوتُ جلال، وأسماؤه كلها حسنى، وحمدُه قد ملأ الدنيا والآخرةَ والسماواتِ والأرضَ وما بينهما وما فيهما، فالكونُ كله ناطقٌ بحمده، والخلقُ والأمرُ صادرٌ عن حمده، وقائمٌ بحمده ووجد بحمده، فحمدُه هو سببُ وجودِ كل موجود، وهو غايةُ كلِّ موجود، وكلُّ موجودٍ شاهدٌ بحمده، وإرسالُه رسولَه بحمده، وإنزالُه كتبَه بحمده، والجنةُ عُمرت بأهلها بحمده، والنارُ عُمرت بأهلها بحمده، وما أطيع إلا بحمده، وما عُصي إلا بحمده، ولا تَسقط ورقةٌ إلا بحمده، ولا يتحرك في الكون ذرةٌ إلا بحمده.

وهو المحمودُ لذاته، وإن لم يحمده العباد، كما أنه هو الواحد الأحد ولو لم يوحده العباد، والإله الحقُّ وإن لم يؤلهوه. اللهم لك الحمد كله علانيته وسره.

۞ ۞ ۞

٣. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال ابن القيم: ومن منازل﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: منزلة السكينة وهذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب. وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح: ٤].

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨].

السادس: قوله تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرَتْ له في مرضه، تعجز العقول عن حملها – من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة – قال: فلما اشتد عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومَن حولي: اقرؤوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَة.

وقد جرَّبتُ أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يَرِدُ عليه؛ فرأيتُ لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته. انتهى كلام ابن القيم. اللهم فأنزل السكينة على قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٤. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال عبد الله الصبيحي رحمه الله:

عَلِم اللهُ عجزنا عن عبادتِه إلا بإعانته؛ ففرض علينا تكرار طلبها منه؛ فلا تعتمد على فطنتك، ولا على نشاطك؛ فكم من مقعَدٍ جاء يزحف للمسجد بعون الله!! وكم من صحيحٍ يسمع الأذان وقعد في فراشه، حين وكله الله إلى نفسه!!

۞ ۞ ۞

٥. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال أبو حيَّان:

وفي قوله: ﴿نَعۡبُدُ﴾ ردٌ على الجَبْرية، وفي قوله ﴿نَسۡتَعِينُ ٥﴾ ردٌ على القَدَرِيَّة.

۞ ۞ ۞

٦. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥].

قال السيوطي:

فيه الإرشاد إلى تقديم الخضوع والتذلل على طلب الحاجة.

۞ ۞ ۞

٧. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال ابن القيم:

أكمـلُ الخلق عبوديةً أكملُهم ذلاً لله، وانقيادًا، وطاعة. والعبدُ ذليلٌ لمولاه الحق

بكل وجه من وجوه الذل، فهو: ذليلٌ لعزِّه، وذليلٌ لقهره، وذليلٌ لربوبيته وتصرفه فيه، وذليلٌ لإحسانه إليه، وإنعامِه عليه؛ فإنَّ مَن أحسن إليك فقد استعبدك، وصار قلبُك معبَّدًا له، وذليلًا، تعبَّدَ له لحاجته إليه على مدى الأنفاس، في جلب كل ما ينفعه، ودفع كل ما يضره.

۞۞۞

٨. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال ابن كثير:

قال بعض السلف: الفاتحةُ سرُّ القرآن، وسرُّها هذِه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فالأولُ: تبرؤٌ مِن الشرك. والثاني: تبرؤٌ مِن الحول والقوة، والتفويضُ إلى الله ﷻ. وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك: ٢٩]. اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك؛ فاهدنا صراطك المستقيم.

۞۞۞

٩. قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال البقاعي:

ولمَّا طَلَبَ أشرفَ طريق، سألَ أحسنَ رفيق، فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]. اللهم اهدنا صراطك المستقيم مع الذين أنعمت عليهم.

۞۞۞

١٠. قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال ابن تيمية:

كلُّ عبدٍ مضطرٌ دائما إلى مقصود هذا الدعاء، وهو: هدايةُ الصراطِ المستقيم؛ فإنه لا نجاةَ من العذاب إلا بهذه الهداية، ولا وصولَ إلى السعادة إلا به، فمَن فاته هذا

الهـدى فهو: إما مِن المغضوب عليهم، وإما مِـن الضالين؛ وهذا الاهتداءُ لا يحصل إلا بهـدى الله ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعـراف: ١٧٨]. ثـم قال رحمه الله: حاجةُ العبادِ إلى الهدى أعظمُ من حاجتهم إلى الرزق والنصر، بل لا نسـبةَ بينهما؛ فلهذا كان هذا الدعـاءُ مفروضـا عليهم في الصلوات فرضها ونفلها. وأيضا فـإنَّ هذا الدعاءَ يتضمنُ الرزقَ والنصرَ لأنه إذا هُدي الصراط المسـتقيم كان من المتقين: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣]. وكان من المتوكلين: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطـلاق: ٣]. وكان ممـن ينصـره اللهُ ورسـولُه، ومَن ينصرِ اللهَ ينصره، وكان من جنـد الله، وجندُ اللهِ هم الغالبون. فالهدى التـامُّ يتضمـنُ حصولَ أعظـمِ ما يحصلُ به الـرزقُ والنصر، فتبين أنَّ هـذا الدعاءَ هو الجامعُ لكل مطلوب تحصلُ به كلُّ منفعة، وتندفعُ به كل مضرة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ البَقَرَةِ

قال عبدالله التويجري:

سورة البقرة حين تقرؤها بتدبر وتمعن ستنتهي بك إلى الإسلام الحق، والإيمان الراسخ، والاستسلام التام، والانقياد المطلق لله تعالى.

لاحِظ السورةَ من بدايتها: الذين يؤمنون بالغيب، هكذا بكل استسلام، يؤمنون بالغيب الذي لم يروه، ثم يؤمنون بكل الكتب ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، بلا تردد ولا تساؤل، بل بكل خضوع وانقياد، ثم هم بالآخرة -وهي من الغيب- يوقنون.

وحين قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها... قال الله: إني أعلم مالا تعلمون.

وانظر لنموذج الملائكة بالاستسلام حين أمروا بالسجود لآدم في حين أبى إبليس واستكبر.

ثم انظر إلى أمر الله لآدم بسكنى الجنة والأكل من حيث يشاء وزوجته، مع النهي عن تلك الشجرة بحيث يستسلم لأمر الله ونهيه.

وفي أخبار بني إسرائيل وقصصهم لا تخطئ عينك مواضع طلب الاستسلام لله ولأمره، نحو: وآمنوا بما أنزلت، كلوا من طيبات مارزقناكم، ادخلوا الباب سجدا، اذبحوا بقرة، اضربوه ببعضها.

وتأمل موقفهم من هذه الأوامر وتعنتهم وعدم استجابتهم وعدم استسلامهم لأمر الله، حتى قال الله فيهم: أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم!

ووصل الحال بهم في عدم الاستسلام أن قالوا صراحة: سمعنا وعصينا!!

وتأمل آية: ما ننسخ وما بعدها ترى أهمية الاستسلام والانقياد لله.

وتأتي بعدها الآيات صريحة: بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن.

ويبين الله عموم ملكه: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله.

فالانقياد لله وطاعته والإيمان به لا يحده مكان.

ثم خذ نموذجا عظيما للاستسلام والاستجابة من أبي الأنبياء ومحطم الأصنام: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن!

وتمضي الآيات في قصة بناء البيت حتى يقول الله ﷻ له: أسلم، قال أسلمت لرب العالمين.

ولم تقف استجابة إبراهيم واستسلامه لربه هنا بل امتدت للذرية؛ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

ثم تمتد الاستجابة ويتصل الاستسلام لله إلى حفيده يعقوب وأبنائه: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون.

ثم يأتي الأمر الصريح لعامة الأمة النبي والصحابة ومن بعدهم بتعليمهم كيف يقولون: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.

هكذا تعليم للاستجابة والانقياد والاستسلام التام لله مع كل أنبيائه بلا تفريق.

ثم تأتي قضية تحويل القبلة، والاستسلامُ لله فيها أظهر من أن يبين: إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.

بل تأمل كيف أن الله سمَّى الذين لم ينقادوا لتحويل القبلة سفهاء!!

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾.

وأظنـك أيها القـارئ الكريم سـتدرك -بتوفيق الله- هذا المعنى (الاستسـلام لله والانقياد والتعبد له بطاعته والإيمان به) في بقية السورة.

۞ ۞ ۞

١١. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

قال فايز الزهراني:

تدبرُك المستـمرُ لكتاب الله تعالى شـرطٌ في الحِفاظ على شـخصيتك الإسلامية -المتعرضـة للمؤثرات المتنوعة- مـن: قلبِ المفاهيم وتشـويهِ المدرَكات، بل من تشويه الذات.

۞ ۞ ۞

١٢. قال تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢].

قال ابن جزي:

درجات التقوى خمس:

١. أن يتقيَ العبدُ الكفر، وذلك مقام الإسلام.

٢. وأن يتقيَ المعاصي والحرمات، وهو مقام التوبة.

٣. وأن يتقيَ الشبهات، وهو مقام الورع.

٤. وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

٥. وأن يتقي حضورَ غيرِ الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين، وحزبك المفلحين.

۞ ۞ ۞

١٣. قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

قال العلماء في تعريف التقوى:

قيل هي: صيانة المرء نفسه عما يضر في الآخرة.

وقيل: التقوى أن يدع المرء ما لا بأس به حذرا مما به بأس.

وقيل: المتقي من إذا قال قال لله، ومن إذا عمل عمل لله.

وقيل: المتقون الذين نزع اللهُ عن قلوبهم حبَّ الشهوات.

وسأل عمر بن الخطاب ﷺ أبيًّا عن التقوى، فقال: هل سلكتَ طريقًا ذا شوك؟

قال: نعم.

قال: فما عملت فيه؟

قال: تشمرت وحذرت.

قال: فذاك التقوى.

وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى

والتقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية الله في الأولين والآخرين، وهي خير ما يستفيده الإنسان، كما قال أبو الدرداء وقد قيل له: إن أصحابك يقولون الشعر وأنت ما حفظ عنك شيء، فقال:

يريد المرءُ أن يؤتى مناه ويأبى اللهُ إلا ما أرادا
يقول المرءُ فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

وقيل: التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقيل: التبري عن الحول والقوة. وقيل: التنزه عن كل ما يشغل السِّرَّ عن الحق.

وقيل: تركُ ما حرَّم اللهُ، وأداءُ ما افترض الله، فما رَزق اللهُ بعد ذلك فهو خيرٌ إلى خير.

وقيل هي الاقتداء بالنبي ﷺ.

وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خيرًا من أحد.

وعن ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون أشدَّ محاسبةً لنفسه من الشريك الشحيح، والسلطان الجائر.

وعن أبي تراب: بين يدي التقوى خمس عقبات، لا ينالها من لا يجاوزهن:

إيثار الشدة على النعمة، وإيثار الضعف على القوة، وإيثار الذل على العزة، وإيثار الجهد على الراحة، وإيثار الموت على الحياة.

وعن بعض الحكماء قال: لا يبلغ الرجلُ سنامَ التقوى إلا أن يكون بحيث لو جُعل ما في قلبه في طبق؛ فطِيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر إليه!

وقيل: التقوى أن تزين سرَّك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

وفي هذا الميدان تراكضت أرواح العاشقين، وتفانت مساعي السالكين.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك

۞ ۞ ۞

١٤. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٢-٣].

قال عبدالله التويجري:

كلما قوي الإيمانُ بالغيب زادَ المؤمنُ طاعةً وكرما، وكلما ضعف الإيمان بالغيب عصى وبخل، والإيمان بالغيب يشمل جميع أركان الإيمان الستة، واستشعار الإيمان

بالغيب من أعظم الزواجر عن ارتكاب الكبائر، وهو الحادي للمؤمنين، والمؤنس لهم في تمسكهم بالدين، وزيادة طاعاتهم وأعمالهم.

ومن نماذج الإيمان بالغيب: اليقين والتصديق بوعد الله للمؤمنين في الجنة، ووعيد الله للكافرين في النار، والتصديق واليقين بفضل الله في ثوابه الجزيل على الطاعات وإن بدتْ لنا أعمالا يسيرة.

ومن ثمرات الإيمان بالغيب: أنه يربي المؤمن على الصبر والرضا، وفهم الأحداث على حقيقتها وإن بدا خلاف ذلك. ونتيجة ذلك: السكينة والانشراح والطمأنينة. وإذا أصبح العبد وأمسى على الإيمان بالغيب؛ عرف حقيقة الدنيا، واستيقن أنها متاع قليل، وعلم كيف أنها لا تزن جناح بعوضة!!

والإيمان بالغيب - بما يتضمنه من الإيمان باليوم الآخر - هو العقدة الكبرى والمعضلة العظمى عند كفار قريش وعند زنادقة هذا العصر وملحديه.

قال السعدي: فحقيقة الإيمان بالغيب: التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله.

فهذا الإيمان الذي يُميَّز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديقٌ مجردٌ لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواءٌ شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

قلتُ: كيف ستكون أحوالنا عند قراءة أواخر البقرة كل ليلة، وهي تتضمن الإيمان بالغيب بما فيها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. واليوم الآخر ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

كم من سحائب الرضا ستهطل علينا وعلى قلوبنا لو أننا عقلنا هذه الآيات حين نتلوها كل ليلة؟

۞ ۞ ۞

١٥. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

قال القرطبي:

وقيل: الإيمانُ بالغيب حظُّ القلب، وإقامُ الصلاة حظُّ البدن، ومما رزقناهم ينفقون حظُّ المال. وهذا ظاهر.

۞ ۞ ۞

١٦. قال تعالى جوابا لسؤال الملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].

قال جمال الدين القاسمي:

إذا كان مِن أسرارِ الله تعالى وحِكَمِهِ ما يَخفى على الملائكة، فنحن أولى بأنْ يَخفى علينا؛ فلا مطمعَ للإنسان في معرفةِ جميعِ أسرارِ الخليقةِ وحِكَمِها؛ لأنه لم نؤتَ مِن العلم إلا قليلاً!!

۞ ۞ ۞

١٧. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

قال الثعلبي:

وقال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة والضَّحَّاك: علَّمه اللهُ اسمَ كلِّ شيءٍ، حتى القصعة والقصيعة.

۞ ۞ ۞

١٨. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٣٣].

قال القرطبي:

في هذه الآية دليلٌ على فضلِ العلمِ وأهلِهِ، وفي الحديث: «وإن الملائكة لتضع

أجنحتها رضا لطالب العلم» أي: تخضعُ وتتواضع، وإنما تفعلُ ذلك لأهلِ العلمِ خاصةً مِن بينِ سائرِ عِيال الله؛ لأن اللهَ تعالى ألزمها ذلك في آدمَ عليه السلام، فتأدبتْ بذلك الأدب. فكلما ظهَر لها عِلمٌ في بَشَرٍ خضعتْ له وتواضعتْ وتذللتْ؛ إعظاما للعلم وأهلِه، ورضا منهم بالطَّلَبِ له والشُّغلِ به. هذا في الطلابِ منهم، فكيف بالأحبارِ فيهم والربانيين منهم!! جعلنا الله منهم وفيهم، إنه ذو فضل عظيم.

۞ ۞ ۞

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

قال ابن جزي:

النهيُ عن القُرْبِ يقتضي النهيَ عن الأكلِ بِطريق الأولى؛ وإنما نهى عن القُربِ سدًّا للذريعة، فهذا أصلٌ في سدِّ الذرائع.

رحمة الله علينا وعليك يا ابن جزي.

۞ ۞ ۞

١٩. قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤].

قال القرطبي:

قال سفيان بن عيينة: التوبةُ نعمةٌ مِن الله، أنعمَ اللهُ بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم.

وكانت توبةُ بني إسرائيل القتل!!

وقال ابن جزي:

وإنما خصَّ هنا اسمَ الباري؛ لأنَّ فيه توبيخًا للذين عبدوا العجل؛ كأنه يقول:

كيف عبدتم غير الذي بَرَأكم؟

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٢٠. قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

قال ابن القيم:

فلله كم في تقدير الذنب مِن حكمة؟ وكم فيه مع تحقيقِ التوبةِ للعبد مِن مصلحةٍ ورحمة؟ التوبةُ من الذنب كشرب الدواء للعليل، وربَّ علةٍ كانت سببَ الصحة!!

لعل عتبَك محمودٌ عواقبُه وربما صحَّت الأجسادُ بالعلل

لولا تقديرُ الذنبِ لهلك ابنُ آدمَ مِن العجب!

ذنبٌ يَذِلُّ به العبد إلى ربه أحبُّ إليه مِن طاعةٍ يُدِلُّ بها عليه.

شمعةُ النصرِ إنما تنزل في شمعدان الانكسار.

لا يكرمُ العبدُ نفسَه بمثلِ إهانتِها، ولا يعزُّها بمثل ذُلها، ولا يريحُها بمثل تعبها، كما قيل:

سأتعبُ نفسي أو أصادفُ راحةً فإنَّ هوانَ النفسِ في كرمِ النفسِ

ولا يشبعُها بمثل جوعها، ولا يؤمنُها بمثل خوفها، ولا يؤنسُها بمثل وحشتها من كلِّ ما سوى فاطرِها وبارئها، ولا يحييها بمثل إماتتها كما قيل:

موتُ النفوسِ حياتُها مَن شاءَ أن يحيا يموت!!

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وذرياتنا وأزواجنا وإخواننا وأخواتنا وابن القيم وابن سعدي وسائر علمائنا.

❁ ❁ ❁

٢١. قال تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [البقرة: ٤١].

قال الشيخ محمد بن عرفة:

عَظَّمَ الآياتِ بشيئين: الجمعُ، والإضافةُ إلى ضميرِ الجلالةِ، وحَقَّرَ العِوضَ

بتحقيرين: التنكيرُ والوصفُ بالقلة. اهـ

قال الطاهر ابن عاشور: وفي ذلك تعريضٌ بغَبْنِ صفقتِهم؛ إذ استبدلوا نفيسا بخسيس. ثم قال الطاهر: وأقول: وصفُ ﴿قَلِيلًا﴾ صفةٌ كاشفةٌ؛ لأنَّ الثمنَ الذي تباع به إضاعةُ الآياتِ هو قليلٌ ولو كان أعظمَ متَمولٍ بالنسبة إلى ما أضاعَه آخِذُ ذلك الثمنِ، وعلى هذا المراد ينبغي حملُ كلامِ ابنِ عرفة.

اللهم اجعل تعلمنا وتعليمنا خالصا لوجهك وارحمنا ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وابن عاشور وابن عرفة.

۞ ۞ ۞

٢٢. قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

قال عبدالله التويجري:

صاحبُ الحقِّ منهيٌّ عن أمرين:

الأول: لبسُ الحقِّ بالباطل.

الثاني: كتمُ الحقِّ.

اللهم أحسن منقلبنا إليك

۞ ۞ ۞

٢٣. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال القرطبي:

قال الحسنُ لمطرف بنِ عبد الله: عِظْ أصحابَك، فقال: إني أخاف أن أقولَ ما لا أفعل!!

قال: يرحمك الله! وأيُّنا يفعلُ ما يقول؟ ويودُّ الشيطانُ أنه قد ظفر بهذا، فلمْ يأمرْ أحدٌ بمعروف ولم ينه عن منكر.

وقال مالكٌ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرءُ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيءٌ، ما أمرَ أحدٌ بمعروف ولا نهى عن منكر.

قال مالك: وصدق، مَنْ ذا الذي ليس فيه شيء!!

وقال أبو السعود:

والآيةُ -كما ترى- ناعيةٌ على كلِّ مَن يعظُ غيرَه ولا يتَّعظُ بسوءِ صنيعِه وعدمِ تأثره، وأنَّ فعلَه فعلُ الجاهلِ بالشرع، أو الأحمقِ الخالي عن العقل!! والمرادُ بها: حثُّه على تزكية النفس، والإقبالِ عليها بالتكميل؛ لتقومَ بالحق، فتقيمَ غيرَها، لا منْعَ الفاسقِ عن الوعظ.

يُروى أنه كان عالمٌ مِن العلماء مؤثِّرُ الكلامِ، قويُّ التصرفِ في القلوب، وكان كثيرًا ما يموتُ مِن أهلِ مجلسِه واحدٌ أو اثنان مِن شدَّةِ تأثيرِ وعظه!! وكان في بلده عجوزٌ لها ابنٌ صالحٌ، رقيقُ القلبِ، سريعُ الانفعال، وكانت تحترزُ عليه وتمنعُه مِن حضور مجلسِ هذا الواعظ، فحضره يومًا على حين غفلةٍ منها؛ فوقعَ من أمر الله تعالى ما وقع!! ثمَّ إنَّ العجوزَ لقيتِ الواعظَ يومًا في الطريق، فقالت:

لَتهدي الأنامَ ولا تهتدي ... ألا إنَّ ذلك لا ينفعُ!!
فيا حجرَ الشَّحذِ حتى متى ... تَسِنُّ الحديدَ ولا تقطع؟؟

فلما سمعه الواعظُ شهق شهقةً فخرَّ مِن فرسِه مغشيًا عليه، فحملوه إلى بيته؛ فتوفي إلى رحمة الله سبحانه.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٢٤. قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال ابن عطية:

ومنه ما روي أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عباس نُعي إليه أخوه «قثم» وهو في سفر، فاسترجع، وتنحَّى عن الطريق، وصلى، ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ هذه الآية.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٢٥. قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال الآلوسي:

وإنما لم تثقل الصلاةُ عليهم لأنهم عارفون بما يحصلُ لهم فيها، متوقعون ما ادُّخِر مِن ثوابها، فتهونُ عليهم؛ ولذلك قيل: مَن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومَن أيقن بالخَلف جاد بالعطية.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٢٦. قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال ابن القيم:

الله سبحانه قَرَن الصبرَ بأركان الإسلام ومقاماتِ الإيمان كلها، فقرنه بالصلاة كقوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾، وقرنه بالأعمال الصالحة عموما كقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]. وجعله قرين التقوى كقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [يوسف: ٩٠]. وجعله قرين الشكر كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾ [إبراهيم: ٥]. وجعله قرين الحق: كقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ

وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ٣]. وجعله قرين الرحمة كقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد: ١٧]. وجعله قرين اليقين كقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]. وجعله قرين الصدق كقوله: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه ويكفي بعض ذلك شرفا وفضلا، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

٢٧. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

قال أبو حيان:

وترتيبُ هذه الجُملِ في غاية الفصاحة، وهي على حسب الواقع في الدنيا؛ لأنَّ المأخوذَ بحق، إما: أن يُؤدَّى عنه الحق فيَخْلُص، أو لا يقُضى عنه فيُشْفع فيه، أو لا يُشفع فيه فيُفدَى، أو لا يُفدَى فيُتعاون بالإخوان على تخليصه. فهذه مراتب يتلو بعضها بعضا. فلهذا، والله أعلم، جاءت مترتبة في الذكر هكذا.

۞ ۞ ۞

٢٨. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

قال أبو السعود:

واعلم أنَّ هذه الواقعةَ كما أنها لموسى معجزةٌ عظيمة تخِرُّ لها أطُمُ الجبال، ونعمةٌ عظيمةٌ لأوائل بني إسرائيل، موجبةٌ عليهم شكرَها؛ كذلك فإنَّ اقتصاصَها على ما هي عليه من رسول الله ﷺ معجزةٌ جليلةٌ تطمئنُ بها القلوب الأبية، وتنقادُ لها النفوس الغبية،

موجبةٌ لأعقابهم أنْ يتلقوها بالإذعان. فلا تأثرتْ أوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها، ولا تذكرتْ أواخرهم بتذكيرها وروايتها!! فيا لها مِن عصابةٍ ما أعصاها!! وطائفةٍ ما أطغاها!!

۞ ۞ ۞

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

قال الآلوسي:

هلاكُ العدو نعمة، ومشاهدتُه نعمةٌ أخرى.

اللهم أرنا في الظالمين ما تشفي به صدور قوم مؤمنين وتذهب به غيظ قلوبهم.

۞ ۞ ۞

٢٩. جاء إحياء الموتى في سورة البقرة في خمسة مواضع:

١- في قوم موسى بعد الصعق ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

٢- في قتيل بني إسرائيل ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣].

٣- في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

٤- في قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٥- في قصة إبراهيم والطيور الأربعة ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

۞ ۞ ۞

٣٠. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

قال الشوكاني:

وهذا الخبرُ الذي أخبرنا الله به هو معلومٌ في جميع الأزمنة، فإنَّ اليهودَ -أقْماهُم

الله- أذلُّ الفِـرَقِ، وأشـدُّهم مسـكنةً، وأكثرُهم تصاغـرا؛ لم ينتظم لهـم جمع!! ولا خفقـتْ على رؤوسـهم راية!! ولا ثبتتْ لهم ولاية!! بل مـا زالوا عبيدَ العصى في كل زمـن، وطروقةَ كلِّ فحلٍ في كلِّ عصر!! ومَن تمسَّـك منهـم بنصيبٍ من المال - وإنْ بلغ في الكثرة أيَّ مبلغ- فهو متظاهرٌ بالفقر، مُرْتَدٍ بأثوابِ المسكنة!!

۞ ۞ ۞

٣١. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

قال أبو السعود:

جُعلتا محيطتين بهم إحاطةِ القبَّة بمَن ضُربتْ عليه؛ أو أُلصقتا بهم؛ وجُعلتا ضربةَ لازب؛ لا تنفـكانِ عنهم؛ مجازاةً لهم على كفرانهم؛ مِنْ: ضَرَبَ الطِّينَ على الحائط؛ بطريق الاستعارة بالكناية؛ واليهودُ في غالبِ الأمرِ أذلاءُ مساكين.

۞ ۞ ۞

٣٢. قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦].

قال القاسمي:

«التقوى عصمة من كل محذور».

۞ ۞ ۞

٣٣. قـال تعالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

قال ابن القيم:

ففـي الأمـر بذبح البقـرة تنبيهٌ على أنَّ هذا النـوع من الحيوانِ الـذي لا يمتنعُ مِن الذبح والحرث والسقي، لا يصلحُ أنْ يكون إلها معبودا مِن دون الله تعالى، وأنه إنما يصلحُ للذبح والحرث والسقي والعمل.

رحمة الله عليك يا محمد بن أبي بكر بن أيوب.

۞ ۞ ۞

٣٤. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

قال البغوي:

أي: مِن اليهود أُمِّيُّون لا يُحسنون القراءة والكتابةَ، جمعُ أمِّي، منسوبٌ إلى الأم؛ كأنَّه باقٍ على ما انفصل مِن الأم لم يتعلم كتابةً ولا قراءة.

۞ ۞ ۞

٣٥. قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

قال فهد الحسني:

حسنُ المنطقِ سعادة.

۞ ۞ ۞

٣٦. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

قال أحدهم:

ومن فضله سبحانه أنَّ المرءَ قد يؤجرُ رُغم أنفه!! فليس كل الأجور تأتي بالطاعات وحسب، بل كثيرٌ منها ربما أتى من حيث لا نحب؛ فتأتي مِن سريرِ المرض، ووخزِ الإبر، ورعشةِ الحُمَّى، ومرافقة الحمقى، وقهرِ الضيم، ومشقَّةِ السَّير، وجوعِ الفقر، وسهرِ الهم، ومرارةِ الغُربة، وحُزنِ الفقد، وحُسنِ التَّسليم والاحتساب، وتعبِ المجاهدة، ومغالبة الهوى. والله حسبنا ومولانا ونعم المولى ونعم النصير.

۞ ۞ ۞

٣٧. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال أبو حيان:

دلَّ ذلـك علـى مشـروعيةِ الأدعيةِ الصالحـةِ عند الالتبـاسِ بالعبـادات، وأفعالِ الطاعـات، وأنَّ ذلك الوقتَ مظنـةُ إجابة، وفي ذلك جوازُ الدعـاءِ للملتبسِ بالطاعة، ولِمنْ أحبَّ أنْ يدعو له، وختمُ كلِّ دعاءٍ بما يناسبه مما قبله.

ولم يكن في هذا الدعاءِ شـيءٌ متعلقٌ بأحـوال الدنيا، إنما كان كلُّه دعاءً بما يتعلق بأمور الدِّين، فدلَّ ذلك على عدمِ اكتراث إبراهيمَ وابنِه إسـماعيلَ بأحوال الدنيا حالةَ بناءِ هذا البيتِ ورفعِ قواعده.

۞ ۞ ۞

٣٨. قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

قال أبو السعود:

ظاهرُه النهيُ عن الموتِ على خلاف حال الإسلام، والمقصود: الأمر بالثبات على الإسـلام، إلى حين المـوت؛ أي: فاثبتوا عليه، ولا تفارقوه أبـدا. كقولك: لا تصلِّ إلا وأنت خاشـع؛ وتغييرُ العبارة للدلالة على أنَّ موتهم لا على الإسـلام موتٌ لا خير فيه، وأنَّ حقَّه ألا يحلَ بهم، وأنه يجب أنْ يحذروه غاية الحذر. ونظيره: مت وأنت شهيد.

اللهم أمتنا على التوحيد والسنة والإسلام

۞ ۞ ۞

٣٩. قال تعالـى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قال أهل التفسير:

«صبغة الله» مصدرٌ مؤكِّدٌ منتصب من قوله «آمنا بالله» كأنه قيل: صَبَغَنا اللهُ صبغةً، أي: صبـغ قلوبَنـا بالهداية والبيان صبغةً كاملةً لا ترتفع بماء الشُّـبه، ولا تغلِبُها صبغةُ

غيـره. أو أنها منصوبةٌ بفعل الإغراء؛ أي: الزموا صبغة الله. ووصفُ الإيمانِ بالصبغة لكونه تطهيرًا للمؤمنين مِن أوضار الكفر، وحِليةً تزيِّنهم بآثاره الجميلة، ومتداخلًا في قلوبهم، ولأنه يلزم صاحبَه ولا يفارقه، حيث تظهر أعماله وسمتُه على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره. وإضافةُ الصبغة إلى الله ﷻ للتشريف، والإيذانِ بأنها توفيقٌ وعطيةٌ منه سبحانه.

ولا صبغةَ أحسن من صبغته تعالى؛ لأنها صبغةُ قلبٍ لا تزول؛ لثباتها بما تولاها الحفيظ العليم. ونحن له عابدون؛ شكرا لتلك النعمة ولسائر نعمه. فكيف تذهب عنا صبغتُه؟ ونحن نؤكدها بالعبادة، ونرعاها بالاستقامة؟ وهي تزيلُ رَيْنَ القلبِ ومرضَه، وتقودُه للثبات على الإيمان بالله والإسلام له. اللهم استعملنا في طاعتك وجنبنا أسباب غضبك.

۞ ۞ ۞

٤٠. قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قال ابن سعدي:

وإذا أردتَ أنْ تعرف نموذجًا يبين لك الفرقَ بين صبغةِ الله وبين غيرِها من الصبغ، فَقِسْ الشيءَ بضده، فكيف ترى في عبدٍ آمنَ بربه إيمانًا صحيحًا، أثَّرَ معه خضوعَ القلب وانقيادَ الجوارح، فلم يزلْ يتحلَّى بكل وصفٍ حسن، وفعلٍ جميل، وخلقٍ كامل، ونعتٍ جليل، ويتخلَّى من كل وصفٍ قبيح، ورذيلةٍ وعيب. فوَصْفُه: الصدقُ في قوله وفعله، والصبرُ والحلمُ، والعفةُ، والشجاعةُ، والإحسانُ القولي والفعلي، ومحبةُ الله وخشيتُه، وخوفُه، ورجاؤه؛ فحالُه الإخلاصُ للمعبود، والإحسانُ لعبيده.

فقِسْهُ بعبدٍ كفر بربه، وشرَد عنه، وأقبلَ على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر والشرك، والكذب، والخيانةِ والمكرِ والخداع، وعدمِ العفة، والإساءةِ إلى الخلق، في أقواله وأفعاله، فلا إخلاصَ للمعبود، ولا إحسانَ إلى

عبيده!! فإنه يظهر لك الفرقُ العظيم بينهما، ويتبين لك أنه: لا أحسن صبغةً مِن صبغة الله!! وفي ضمنه أنه: لا أقبح صبغةً ممن انصبغ بغير دينه.

اللهم شآبيب رحمتك ورضوانك فصبها علينا وعلى والدينا وابن سعدي والمسلمين أجمعين.

۞ ۞ ۞

٤١. قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال أبوالسعود:

﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ تقريرٌ للتوحيد؛ فإنه تعالى حيث كان مُوليًا لجميع النعم، أصولِها وفروعِها، جليلِها ودقيقِها، وكان ما سواه كائنا ما كان، مفتقِرًا إليه في وجوده، وما يتفرع عليه من كمالاته، تحققت وحدانيته بلا ريب، وانحصر استحقاقُ العبادةِ فيه تعالى قطعا.

۞ ۞ ۞

٤٢. قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

قال عبدالرحمن الرواف:

أيها الأبناء والبنات:

حذارِ حذارِ من البرِّ الكاذب والعقوقِ الخفي!!

وذلك حين يُضمِرُ الابنُ أو البنتُ عدمَ الاستجابة للوالدين مع التزام الصمت، والاكتفاءِ بتقبيل الرأس واليدين؛ فالبرُّ هو: الحبُّ والتقديرُ مع الطاعةِ والاستجابةِ لهما، والأدبُ والاحترامُ في التعامل معهما. وليس البرُّ في تقبيل اليدين مع العصيان، ولا في تقبيل الجبين مع الخذلان.

قمـةُ الـبر: أنْ تعرف كيف تـبرَّ والديك عندما لايسـاعدان علـى بِرهما!! بالصبر والاحتمـال ومجاهدةِ النفس؛ فأعباءُ الحياةِ، ومـرورُ الأعوامِ، وتغيرُ الزمانِ، وتقلُّبُ الحالِ قد تكون سـببا في تعكُّر مزاجهما، وتُحدِثُ شـيئا من الغَلظةِ أو العجلةِ؛ فارفق بهما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

أيها الأبناء الموفقون.... سيعينكم على البرِّ بإذن الله:

أنْ تتذكر دائما سـنينَ عمرِك الأولى، وأنـت في المهد، وأنت تحبو، وأنت تخطو خطواتك الأولى في الحياة.

مَن رباك؟ ومَن رعاك؟ ومَن كساك؟

ومَـن كان قائمـا على حملك وإرضاعـك وإطعامك وملاحظتك أياما وشـهورا وسنين طويلة؟

يابُنـي: البِرُّ يكون بكلمةٍ حسـنة، وبسـمةٍ جميلـة، وهديةٍ خفيفة، وأخبارٍ سـارة، ومؤانسةٍ وملاطفة.

ومِـن حَـقِّ أبويك أنْ تسـعدَهما وتدخلَ السـرورَ عليهمـا؛ فلقـد كان من أعظم أمانيهم – حين كنتَ طفلا – أن يريانك سعيدا.

ومِـن أعظـم البِر: البرُّ بهما بعـد فقدِهما؛ بالدعاء لهما، وذِكرهمـا بالخير، وتفقُّدِ أصحابِهما. وفقكم الله للبر بآبائكم وأمهاتكم.

۞ ۞ ۞

٤٣. قـال تعالـى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

قال الثعلبي:

قال عبد الله بن مسعود: إنَّ مِن أكبر الذنب عند الله أنْ يقال للعبد: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك!!

اللهم اهدنا وعافنا وارحمنا؛ فإليك أنبنا ولك أسلمنا وبك آمنا.

۞ ۞ ۞

٤٤. قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

قال القرطبي:

ولقد أحسن القائل:

قدِّمْ لنفسك قبل موتِك صالحا — واعمل؛ فليس إلى الخلود سبيلُ

وقال آخر:

قـدِّم لنفسك تـوبـةً مـرجـوةً — قبل الممات وقبل حبسِ الألسُنِ

وقال آخر:

ولدتك إذ ولدتك أمُّك باكيا — والقومُ حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليومٍ تكونُ فيه إذا بكوا — في يـوم موتك ضاحكا مسـرورا

وقال آخر:

سـابـقْ إلـى الـخـيـر وبـادر به — فـإنـمـا خـلـفـك مـا تـعـلـمُ!
وقـدِّمِ الـخـيـر فـكـلُّ امـرئٍ — عـلـى الـذي قـدَّمـه يـقـدمُ

وأحسن من هذا كله قول أبي العتاهية:

اِسْعَدْ بمالك في حياتك إنما — يبقـى وراءك مصلـحٌ أو مفسـدُ
وإذا تـركـتَ لمفسدٍ لـم يبقه — وأخـو الصـلاح قليلـه يتزيـد
وإن استطعتَ فكن لنفسك وارثا — إن الـمـورثَ نفسَـه لمُسـدَّدُ

۞ ۞ ۞

٤٥. قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

قال القرطبي:

قال ابن بحر: معناه: جهل نفسَه وما فيها مِن الدلالاتِ والآياتِ الدالةِ على أنَّ لها صانعًا ليس كمثله شيء، فيعلمَ به توحيدَ الله وقدرتَه، فيفكرَ في نفسه مِن يدين يبطشُ بهما، ورجلين يمشي عليهما، وعينٍ يبصرُ بها، وأذنٍ يسمعُ بها، ولسانٍ ينطقُ به، وأضراسٍ تنبتُ له عند غناهُ عن الرضاع وحاجتِه إلى الغذاء ليطحن بها الطعام، ومعدةٍ أعدَّتْ لطبخ الغذاء، وكبدٍ يصعدُ إليها صفوه، وعروقٍ ومعابرَ ينفذُ فيها إلى الأطراف، وأمعاءٍ يرسبُ إليها ثفلُ الغذاء ويبرزُ مِن أسفل البدن، فيستدلَ بهذا على أنَّ له خالقًا قادرًا عليمًا حكيمًا.

قال أبو السعود: لأنه إذا رغب عما لا يَرغبُ عنه أحدٌ مِن العقلاء فقد بالغ في إذلالِ نفسِه؛ وإذالتِها وإهانتِها؛ حيث خالف بها كلَّ نفسٍ عاقلة.

قال السعدي: أي: جَهِلَها وامتهنَها، ورضيَ لها بالدُّون، وباعها بصفقة المغبون.

اللهم اجعلنا ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا أمة مسلمة لك.

۞ ۞ ۞

٤٦. قال تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البقرة: ١٣٣].

قال البقاعي في قوله تعالى: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾:

ولَمَّا تقدَّمَ ذكرُ الإلهِ في إضافتين، بينوا أنَّ المرادَ به فيهما واحدٌ؛ تحقيقا للبراءة من الشرك، وتسجيلا على أهل الكتاب بتحتم بطلان قولهم، فقال أبناء يعقوب: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾.

۞ ۞ ۞

٤٧. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال القرطبي:

المعنى: وكما أنَّ الكعبةَ وسَطُ الأرضِ، كذلك جعلناكم أمةً وسطا، أي: جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم!! والوسط: العدل. وأصل هذا أنَّ أحْمَدَ الأشياءِ أوسطُها.

الله أكبر رحمك الله أيها القرطبي وحرَّمك على النار...

نحن دون الأنبياء، وفوق الأمم.

✡ ✡ ✡

٤٨. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

قال ابن بطال:

الخيـرُ ينبغي أنْ يُبادَرَ به؛ فإنَّ الآفاتِ تَعرِض، والموانعَ تَمنع، والموتَ لا يُؤمَن، والتسويفَ غيرُ محمود.

اللهم أعنا على أنفسنا.

✡ ✡ ✡

٤٩. قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال ابن كثير:

قال الحسـن البصري، وأبو العالية، والسـدي، والربيع بن أنس: إنَّ اللهَ يذكرُ مَن ذكره، ويزيدُ مَن شكره، ويعذبُ مَن كفره.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

✡ ✡ ✡

٥٠. قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال القرطبي:

وسـئل أبو عثمان، فقيل له: نذكـرُ اللهَ، ولا نجدُ في قلوبنا حلاوة؟ فقال: احمدوا

الله تعالى على أنْ زيَّن جارحةً مِن جوارِكم بطاعته!!

وقال ذو النون المصري رحمه الله: مَن ذَكر اللهَ تعالى ذِكرا على الحقيقة نسيَ في جنب ذكرِه كلَّ شيء، وحفظَ اللهُ عليه كلَّ شيء، وكان له عِوضا مِن كلِّ شيء. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما عمل ابنُ آدمَ مِن عملٍ أنجى له مِن عذاب الله مِن ذكر الله.

اللهم فأعنا على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٥١. قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

قال جمال الدين القاسمي:

وكلٌّ قائمٍ بِحَقٍ، وداعٍ إليه، معَرَّضٌ للابتلاءِ بما ذُكر، كلِّه أو بعضِه. والتنوينُ للتقليل؛ أي: بقليلٍ مِن كلِّ واحدٍ مِن هذه البلايا وطرفٍ منه.

وإنما قلَّلَ لِيؤذنَ أنَّ كلَّ بلاءٍ أصابَ الإنسان -وإنْ جلَّ- ففوقَه ما يَقلُّ إليه، ولِيخففَ عليهم، ويريَهم أنَّ رحمتَه معهم في كلِّ حالٍ لا تُزايلُهم.

وإنما أخبر به قبل الوقوع؛ لِيوطِّنوا عليه نفوسَهم، ويزدادَ يقينُهم، عند مشاهدتِهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنه شيءٌ يسير، له عاقبة حميدة.

اللهم لك الحمد أن جعلتنا: عبيدا لك، مؤمنين بك، متوكلين عليك، وحدك لا شريك لك.

۞ ۞ ۞

٥٢. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

أورد القاسمي في محاسن التأويل كلاما للإمام عز الدين محمد بن عبد السلام -رحمه الله تعالى- على فوائد المحن والرزايا والمصائب والبلايا، وذكر منها ١٧ فائدة.

وقد اخترتُ منها اثنتين، هما:

التاسعة: الفرحُ بها؛ لأجل فوائدِها: قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده، إنْ كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء». وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: حبذا المكروهان: الموت والفقر.

وإنما فرحوا بها إذْ لا وقعَ لشدتِها ومرارتِها بالنسبة إلى ثمرتِها وفائدتِها!! كما يفرحُ مَن عظُمتْ أدواؤه بشربِ الأدويةِ الحاسمةِ لها، مع تجرُّعِه لمرارتها.

العاشرة: الشكرُ عليها؛ لما تضمنته من فوائدها. كما يشكر المريضُ الطبيبَ القاطعَ لأطرافِه، المانعَ مِن شهواته؛ لِما يتوقعُ في ذلك من البرءِ والشفاء.

۞ ۞ ۞

٥٣. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

في البخاري قال عمر رضي الله عنه:

نعم العِدلان، ونعم العلاوة.

۞ ۞ ۞

٥٤. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال ابن عطية:

خطوات: جمعُ خطوة، وهي ما بين القدمين في المشي، فالمعنى: النهيُ عن اتباعِ الشيطانِ وسلوكِ سبلِهِ وطرائقهِ. وكلُّ ما عدا السُّننِ والشرائعِ من البدعِ والمعاصي فهي خطوات الشيطان.

اللهم أجرنا وذرياتنا وأزواجنا من الشيطان الرجيم.

۞ ۞ ۞

٥٥. قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال القرطبي:

قال سفيان بن عيينة: لا يمنعنَّ أحدا مِن الدعاء ما يعلمه مِن نفسه؛ فإن الله قد أجاب دعاءَ شرِّ الخلق إبليس، قال: رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين.

رحمك الله يا سفيان.

۞ ۞ ۞

٥٦. قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال القرطبي:

وقيل شرائط إجابة الدعاء أربع:

أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام.

۞ ۞ ۞

٥٧. قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال القرطبي:

وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانَه قوي، وإن وافق أجنحتَه طار في السماء، وإن وافق مواقيتَه فاز، وإن وافق أسبابَه أنجح؛ فأركانه حضورُ القلب والرأفةُ والاستكانةُ والخشوعُ، وأجنحته الصدق، ومواقيتُه الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

۞ ۞ ۞

٥٨. قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال القرطبي:

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

۞ ۞ ۞

٥٩. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الطبري:

وعن قتادة قال: وكان يقال: مَن مشى مع خصمه وهو له ظالم، فهو آثمٌ حتى يرجع إلى الحق. واعلم يا ابن آدم أن قَضاء القاضي لا يُحلُّ لك حرامًا ولا يُحقُّ لك باطلًا، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرَى ويشهدُ به الشهود، والقاضي بَشرٌ يخطئُ ويصيب. واعلموا أنه مَن قد قُضي له بالباطل، فإن خصومتَه لمْ تنقضِ حتى يجمعَ اللهُ بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبُطلِ للمُحقِّ، بأجودَ مما قُضي به للمُبطلِ على المحقِّ في الدنيا.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

۞ ۞ ۞

٦٠. قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال أبو السعود:

والإظهارُ في مقام الإضمارِ لإظهار كمال الاعتناء بشأن الحج؛ والإشعارِ بعلة الحكم؛ فإنَّ زيارةَ البيتِ المعظَّمِ، والتقربَّ بها إلى الله ﷻ مِن موجباتِ تركِ الأمورِ المذكورة.

وإيثارُ النفي للمبالغة في النهي؛ والدلالةِ على أنَّ ذلك حقيقٌ بألا يكون؛ فإنَّ ما كان مُنْكَرا مستقبَحا في نفسِه ففي تضاعيف الحج أقبح.

وأورد القاسمي قولَ بعضهم: يقال في مجلس الإخوان ما لا يقال في مجلس السلطان. ويجب أن يكون المرءُ في أوقات العبادة والحضورِ مع الله تعالى على أكملِ الآداب، وأفضلِ الأحوال، وناهيك بالحضور في البيت الذي نسبَه اللهُ سبحانه إليه..!

وأما السرُّ فيها على أنها محرمات الإحرام، فهو أن يتمثل الحاجُّ أنه بزيارته لبيت الله تعالى مقبلٌ على الله تعالى، قاصدٌ له، فيتجردَ عن عاداته ونعيمه، وينسلخَ من مفاخره ومميزاته على غيره، بحيث يساوي الغنيُّ الفقيرَ، ويماثلُ الصعلوكَ الأميرُ، فيكون الناس من جميع الطبقات في زيٍّ كزي الأموات، وفي ذلك -من تصفية النفس، وتهذيبِها، وإشعارِها بحقيقة العبودية لله، والأخوة للناس- ما لا يُقدر قدرُه، وإن كان لا يخفى أمرُه...

المراد بالإظهار في مقام الإضمار: أن الله كرر لفظ الحج وأظهره، ولم يكتف بالأولى عن الأخيرة فقال: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾. ولم يقل: فلا رفث ولافسوق ولا جدال فيه.

۞ ۞ ۞

٦١. قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

قال البغوي:

قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيانِ الصغارِ الآباءَ، وذلك أنَّ

الصبيَ أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه، لا بذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر الصبي أباه أو أشد.

وسئل ابن عباس عن قوله ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه؟ قال ابن عباس: ليس كذلك، ولكن أن تغضب لله إذا عُصي أشدَّ من غضبك لوالديك إذا شُتما. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

۞ ۞ ۞

٦٢. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٠٣]

قال عبدالله التويجري:

المناسك والصلوات والعبادات تنقضي، وذكرُ الله باقٍ لا ينقضي ولا ينتهي، بل ذكرا كثيرا، وفي كل أحوالكم: قياما قعودا على وعلى جنوبكم. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

۞ ۞ ۞

٦٣. قال تعالى في آخر آيات الحج: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال البقاعي:

ولمَّا كان الحجُّ حشْرا في الدنيا، والانصرافُ منه يشبه انصرافَ أهلِ الموقفِ بعد الحشر عن الدنيا فريقا إلى الجنة وفريقا إلى السعير، ذكَّرهم بذلك بقولِه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ

أَنَّكُمْ﴾ جميعا ﴿إِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾.

۞ ۞ ۞

٦٤. قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٩].

قال الطاهر ابن عاشور:

وأصلُ الزللِ الزَّلَقُ، أي: اضطرابُ القَدمِ وتحركُها في الموضع المقصودِ إثباتُها به، واستُعمل الزلَلُ هنا مجازا في الضُّرِّ الناشئ عن اتباع الشيطان من بناء التمثيل على التمثيل؛ لأنه لما شُبهتْ هيئةُ مَن يعمل بوسوسة الشيطان بهيئة الماشي على أثر غيرِه شُبه ما يعتريه مِن الضر في ذلك المشي بزلل الرِّجل في المشي في الطريق المزلقة. وقد استفيد من ذلك: أنَّ ما يأمرُ به الشيطان هو أيضا بمنزلة الطريق المزلقة.

وقال البقاعي:

قال الحرَّالي: والتعبيرُ بالماضي إشعارٌ بالرجوع عنه - أي عن الزلل-؛ رحمةً من الله لهم، كرحمته قبلُ لأبويهم، حين أزلهما الشيطان.

وقال الزمخشري:

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ لا يعجزه الانتقام منكم. ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ لا ينتقم إلا بحق.

وروي أن قارئا قرأ: غفور رحيم، فسمعه أعرابيٌ فأنكره، -ولم يقرأ القرآن- وقال: إنْ كان هذا كلامُ الله فلا يقولُ كذا الحكيمُ!! لا يذكرُ الغفرانَ عند الزلل؛ لأنه إغراءٌ عليه. اللهم زدنا علما ووفقنا للعمل الصالح.

۞ ۞ ۞

٦٥. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال السعدي:

«إذا اشتدَّ البأسُ، وكاد أن يستولي على النفوسِ اليأسُ، أنزلَ اللهُ فَرَجهُ ونَصْرَهُ؛ ليَصير لذلك موقعٌ في القلوب، وليَعرِفَ العبادُ ألطافَ عَلامِ الغيوب». اللهم لطفك ونصرك، فأنزلهما على عبادك المسلمين.

۞ ۞ ۞

٦٦. قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال ابن أبي حاتم:

قال ميمون بن مهران: هذه مواضعُ النفقة، ما ذُكِر فيها طبلٌ ولا مزمارٌ ولا تصاويرُ الخشب ولا كسوةُ الحيطان.

۞ ۞ ۞

٦٧. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال الحسن في معنى الآية:

لا تكرهوا المُلِمَّاتِ الواقعة؛ فَلَرُبَّ أمرٍ تكرهُه فيه نجاتُك، ولرُبَّ أمرٍ تحبُّه فيه عطَبُك!!

وأنشد أبو سعيد الضرير:

رُبَّ أمرٍ تتقيهِ جَرَّ أمرًا ترتضيهِ
خَفِيَ المحبوبُ منهُ وبدا المكروهُ فيهِ

۞ ۞ ۞

٦٨. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال سبحانه: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن القيم:

فالآية الأولى في الجهاد الذي هو كمال القوة الغضبية، والثانية في النكاح الذي هو كمال القوة الشهوانية، فالعبدُ يكرهُ مواجهةَ عدوه بقوتِه الغضبية؛ خشيةً على نفسه منه، وهذا المكروهُ خيرٌ له في معاشِه ومعاده، ويُحِبُّ الموادَعةَ والمتارَكةَ، وهذا المحبوبُ شرٌّ له في معاشه ومعاده.

وكذلك يكرهُ المرأةَ لوصفٍ مِن أوصافها، وله في إمساكِها خيرٌ كثيرٌ لا يَعرِفُه، ويُحِبُّ المرأة لوصفٍ من أوصافها، وله في إمساكِها شرٌّ كثيرٌ لا يَعرِفهُ.

فالإنسانُ -كما وصفه به خالقُه- ظَلومٌ جَهولٌ؛ فلا ينبغي أنْ يجعلَ المعيارَ على ما يضرُّه وينفعُه مَيْلَهُ وحُبَّه أونفرتَه وبُغضَه، بل المعيارُ على ذلك ما اختاره اللهُ له بأمرِه ونهيه.

فأنفعُ الأشياءِ له على الإطلاق: طاعةُ ربِّه بظاهرِه وباطنِه. وأضرُّ الأشياء عليه على الإطلاق: معصيتُه بظاهره وباطنه. فإذا قام بطاعتِه وعبوديَّته مخلصًا له؛ فكلُّ ما يَجري عليه مما يكرهُه يكونُ خيرًا له، وإذا تخلَّى عن طاعته وعبوديته فكلُّ ما هو فيه من محبوبٍ هو شرٌّ له.

فمَن صحَّتْ له معرفةُ ربِّه والفقهُ في أسمائه وصفاته؛ عَلِم يقينًا أنَّ المكروهاتِ التي تُصِيبُه والمِحَنَ التي تَنزل به فيها ضروبٌ من المصالح والمنافع التي لا يُحصِيها علمُه ولا فِكرتُه، بل مصلحةُ العبدِ فيما يكره أعظمُ منها فيما يُحِب!! فعامةُ مصالحِ النفوسِ في مكروهاتها؛ كما أنَّ عامةَ مَضارِّها وأسبابَ هَلَكَتِها في محبوباتها.

فانظُرْ إلى غارسِ جَنةٍ مِن الجنات، خبيرٍ بالفلاحة؛ غَرَسَ جنةً، وتعاهدَها بالسقي والإصلاح حتى أثمرتْ أشجارُها، فأقبل عليها يَفصِلُ أوصالَها ويقطعُ أغصانَها؛ لعلمه أنها لو خُلِّيتْ على حالها؛ لم تَطِبْ ثمرتُها، فيُطَعِّمُها مِن شجرةٍ طيبةِ الثمرة. حتى إذا التحمتْ بها واتحدتْ وأعطتْ ثمرتَها؛ أقبل يُقلِّمُها ويقطعُ أغصانَها الضعيفةَ التي تُذهِب قوتَها، ويُذِيقُها ألمَ القطع والحديد لمصلحتها وكمالِها؛ لتَصلُحَ ثمرتُها أنْ تكون بحضرة الملوك. ثم لا يَدَعُها ودواعي طبعِها مِن الشربِ كلَّ وقتٍ، بل يُعطِّشُها وقتًا ويَسقِيها وقتًا، ولا يتركُ الماءَ عليها دائمًا، وإنْ كان ذلك أنضرَ لورقِها وأسرعَ لنباتها.

ثم يَعمِدُ إلى تلك الزينةِ التي زُيِّنت بها من الأوراق، فيُلقي عنها كثيرًا منها؛ لأنَّ تلك الزينة تَحُول بين ثمرتها وبين كمالِ نُضْجِها واستوائها؛ كما في شجر العنبِ ونحوه؛ فهو يقطعُ أعضاءَها بالحديد، ويُلقي عنها كثيرًا من زينتها، وذلك عينُ مصلحتها؛ فلو أنها ذاتُ تمييزٍ وإدراكٍ كالحيوان؛ لتوهمتْ أنَّ ذلك إفسادٌ لها وإضرارٌ بها، وإنما هو عينُ مصلحتها.

وكذلك الأبُ الشفيقُ على ولدِه العالمُ بمصلحته؛ إذا رأى مصلحتَه في إخراجِ الدم الفاسد عنه؛ بَضَّعَ جلدَه وقطعَ عروقَه وأذاقَه الألمَ الشديد، وإنْ رأى شفاءه في قطعِ عضو مِن أعضائه أبانَه عنه؛ كلُّ ذلك رحمةً به وشفقةً عليه. وإنْ رأى مصلحتَه في أنْ يُمسِك عنه العطاءَ لم يُعطِه ولم يُوسِّع عليه؛ لعلمِه أنَّ ذلك أكبرُ الأسباب إلى فسادِه وهلاكِه، وكذلك يمنعه كثيرًا من شهواته حِميةً له ومصلحةً، لا بخلًا عليه.

فأحكمُ الحاكمين، وأرحمُ الراحمين، وأعلمُ العالمين، الذي هو أرحمُ بعبادِه منهم بأنفسهم، ومِن آبائهم وأمهاتهم؛ إذا أنزل بهم ما يكرهون؛ كان خيرًا لهم مِن أنْ لا يُنزِله بهم؛ نظرًا منه لهم، وإحسانًا إليهم، ولطفًا بهم، ولو مُكِّنوا مِن الاختيارِ لأنفسهم لعَجَزوا عن القيام بمصالحهم علمًا وإرادةً وعملًا، لكنه سبحانه تولى تدبيرَ أمورِهم بموجبِ علمِه وحكمتِه ورحمتِه؛ أحبُّوا أم كرهوا.

فعَرفَ ذلك الموقنون بأسمائه وصفاته؛ فلَمْ يتهموهُ في شيءٍ مِن أحكامه. وخفي ذلك على الجهال به وبأسمائه وصفاته؛ فنازعوه تدبيرَه، وقَدَحُوا في حكمتِه، ولم ينقادوا لحكمه، وعارضوا حُكمَه بعقولِهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وسياساتهم الجائرة؛ فلا لربهم عَرفوا، ولا لمصالحهم حَصَّلوا، والله الموفق.

ومتى ظَفِر العبدُ بهذه المعرفة سَكنَ في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يُشبِه نعيمَها إلا نعيمُ جنةِ الآخرة؛ فإنه لا يزال راضيًا عن ربه، والرِّضَى جنةُ الدُّنيا ومُستَراحُ العارفين؛ فإنه طِيبُ النفس بما يَجري عليه من المقادير التي هي عينُ اختيارِ الله له وطمأنينتُها إلى أحكامه الدينية، وهذا هو الرِّضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولًا، وما ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ من لم يَحصُل له ذلك. وهذا الرِّضى هو بحسب معرفته بعدلِ الله وحكمتِه ورحمتِه وحسنِ اختياره؛ فكلَّما كان بذلك أعرفَ كان به أرضَى.

فقضاء الرب سبحانه في عبده دائرٌ بين العدل والمصلحة والحكمة والرحمة، لا يَخرُج عن ذلك البتة؛ كما قال ﷺ في الدُّعاءِ المشهور: «اللهم إنِّي عبدك، ابنُ عبدك، ابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسأُلك بكل اسم هو لك، سَمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك: أن تجعلَ القُرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاء حُزني، وذهابَ همِّي وغمِّي. ما قالها أحدٌ قطُّ إلَّا أذهبَ الله همَّهُ وغمَّهُ، وأبْدلهُ مكانَه فرحًا». قالوا: أفلا نتعلَّمُهنَّ يا رسول الله؟ قال: «بلى! ينبغي لمن سمعَهن أن يتعلمَهُنَّ»

والمقصود قوله: «عدلٌ فيَّ قضاؤك»، وهذا يتناول كل قضاءٍ يَقضِيه على عبده؛ مِن عقوبةٍ أو ألمٍ وسببِ ذلك؛ فهو الذي قضَى بالسببِ وقضى بالمُسَبَّب، وهو عدلٌ في هذا القضاء، وهذا القضاءُ خيرٌ للمؤمن؛ كما قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يَقضِي الله للمؤمن قضاءً؛ إلَّا كان خيرًا له، وليس ذلك إلَّا للمؤمن».

رحمة الله عليك يابن القيم، وعلى شيخك، وعلى والديك، وعلينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين أجمعين

۞ ۞ ۞

٦٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

قال ابن القيم:

هؤلاء أهلُ الرجاء، لا البطالين والفاسقين.

اللهم رحمتك ولطفك فعمَّنا بهما.

۞ ۞ ۞

٧٠. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال عبدالله الصبيحي:

كما نتواصَى بتعقيمِ أبدانِنا بالنظافةِ والطهارة، فإنَّهُ ينبغي أنْ نتواصَى بتعقيمِ قلوبِنا بالتوبةِ من الآثام والاستغفارِ عن الذنوبِ التي هي سببٌ لكلِّ بليةٍ، ومنبعٌ لكلِّ منغِّصٍ. فالتوبةُ تطهيرٌ للروح، والوضوءُ تطهيرٌ للبدن.

رحمه الله رحمة الأبرار الناصحين.

۞ ۞ ۞

٧١. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال الرازي:

والآيةُ دالةٌ على أنَّ كلَّ مَن جُعل أمينًا في شيء فخان فيه فأمرُه عندَ اللهِ شديد.

۞ ۞ ۞

٧٢. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

قال السعدي:

وأيُّ ظلم أعظمُ ممن اقتحم الحلال، وتعدى منه إلى الحرام، فلم يسعه ما أحل الله؟

والظلم ثلاثة أقسام: ظلم العبد فيما بينه وبين الله، وظلم العبد الأكبر الذي هو الشرك، وظلم العبد فيما بينه وبين الخلق.

فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، وحقوق العباد لا يترك الله منها شيئا، والظلم الذي بين العبد وربه فيما دون الشرك تحت المشيئة والحكمة.

۞ ۞ ۞

٧٣. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

قال عبدالله بن بلقاسم:

جاء هذا التهديدُ المرَوعُ في مَن يريد خِطبةَ المعتدة، فكيف بمَن علِم اللهُ من قلبه إرادةَ فتنةِ المؤمنات؟!

اللهم اهد قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٧٤. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قال السعدي:

معاملة الناس فيما بينهم على درجتين:

إما عدلٌ وإنصافٌ واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب.

وإما فضلٌ وإحسان، وهو: إعطاء ما ليس بواجب، والتسامح في الحقوق، والغضُّ مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات،

وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة؛ فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

۞ ۞ ۞

٧٥. قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

من طرائف الاستدلال عند الثعلبي ﵀ أنه قال بأن هذه الآية دليلٌ على أن الوترَ ليس بواجب؛ لأن المسلمين اتفقوا على أعداد الصلوات المفروضات أنها تنقص عن سبعة وتزيد على ثلاثة، وليس بين الثلاثة والسبعة فرد إلا الخمسة، والأزواج لا وسط لها فثبت أنها خمسة.

۞ ۞ ۞

٧٦. قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩].

قال أبو حيان:

وتدل هذه الآيةُ على عظيم قدْرِ الصلاة، وتأكيدِ طلبِها؛ إذ لم تسقط بالخوف؛ فلا تسقطُ بغيره مِن مرض وشغل ونحوه، حتى المريض إذا لم يمكنه فعلها لزمه الإشارة بالعين عند أكثر العلماء، وبهذا تميزت عن سائر العبادات؛ لأنها كلها تسقط بالأعذار ويترخص فيها.

۞ ۞ ۞

٧٧. قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

قال أبو العباس أحمد بن عبدالحليم العبدالسلام الحرَّاني:

الصلاةُ قوتُ القلوبِ، كما أنَّ الغذاءَ قوتُ الجسد؛ فإذا كان الجسدُ لا يتغذَّى باليسيرِ مِن الأكل، فالقلبُ لا يقتاتُ بالنَّقْرِ في الصلاة، بل لا بُدَّ مِن صلاةٍ تامةٍ تُقيتُ القلوب.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞۞۞

٧٨. قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٩].

قال ابن عطية:

أمرَ اللهُ تعالى بالقيام له في الصلاة، بحالة القنوت، وهو: الوقار والسكينة وهدوء الجوارح.

وهذا على الحالة الغالبة من الأمن والطمأنينة.

ثم ذكر تعالى حالةَ الخوفِ الطارئة أحيانا، فرَّخصَ لعبيده في الصلاة رِجالًا متصرِّفين على الأقدام، وركبانًا على الخيل والإبل ونحوهما، إيماءً وإشارةً بالرأس حيث ما توجه.

هذا قول جميع العلماء.

وهذه هي صلاة الفذِّ الذي قد يضايقه الخوفُ على نفسه في حال المسايفة، أو من سَبُعٍ يطلبُه، أو عدوٍ يتبعُه، أو سيلٍ يحملُه.

وبالجملة فكلُّ أمرٍ يخافُ منه على روحه فهو مبيحٌ ما تضمنته هذه الآية.

قلت: لم تسقط الصلاة ولم تؤجل خارج الوقت حتى ولو خلفه من يلحقه بسيفٍ أو سهامٍ أو حراب، أو سيلٍ أو أنياب.

وهنا يعفى عن استقبال القبلة وعن السجود والركوع وعن الطمأنينة وعن انكشاف عورة وعن نجاسة الثوب!!

ولا يعفى عن ترك الصلاة.

اللهم ارحم ضعفنا واجبر كسرنا وأصلحنا وأولادنا وأزواجنا.

اللهم اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي.

۞ ۞ ۞

٧٩. قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال يحيى بن معاذ:

عجبتُ ممن يبقى له مالٌ، وربُّ العرش يستقرضُه!!

وقال القرطبي: واستدعاءُ القرضِ في هذه الآية إنما هو تأنيسٌ وتقريبٌ للناس بما يفهمونه، واللهُ هو الغني الحميد، لكنه تعالى شبَّه عطاءَ المؤمن في الدنيا بما يرجو به ثوابه في الآخرة بالقرض؛ كما شبَّه إعطاءَ النفوسِ والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء.

اللهم املأ قلوبنا بحبك وتعظيمك وإجلالك.

۞ ۞ ۞

٨٠. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال أبو حيان:

أي: يسلب قوما ويعطي قوما، أو يقتر ويوسع، أو يقبض الصدقات، ويخلف البذل مبسوطا، أو يقبض أي: يميت؛ لأن من أماته فقد قبضه، ويبسط أي: يحييه؛ لأن من مدَّ له في عمره فقد بسطه، أو يقبض بعض القلوب فلا تنبسط، ويبسط بعضها فيقدم خيرا لنفسه، أو يقبض بتعجيل الأجل، ويبسط بطول الأمل، أو يقبض بالحظر، ويبسط بالإباحة، أو يقبض الصدر، ويوسعه، أو يقبض يد من يشاء بالإنفاق في سبيله، ويبسط يد من يشاء بالإنفاق، أو يقبض الصدقة، ويبسط الثواب.

اللهم ابسط آجالنا بطاعتك، وابسط قلوبنا برضاك، وابسط أرزاقنا بحلالك، وابسط أعمارنا بعافيتك، واقبضنا إليك غير مفتونين.

۞ ۞ ۞

٨١. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال ابن سعدي:

أعظم جالبٍ لمعونة الله: صبر العبد لله.

۞ ۞ ۞

٨٢. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال فيصل بن تركي:

المخاوفُ كلُّها تتطامنُ في القلب إذا استقرَّ فيه الإيمانُ بالله وبلقائِه وباليومِ الآخر؛ لأنَّ مَن خاف مِن العظيمِ وحدَه هانَ في قلبِه مَن سواه، ومَن قام في قلبِه لِلقاءِ اللهِ مقامٌ لَم يكترثْ بلقاء مَن دونَه.

اللهم ارزقنا خشيتك.

۞ ۞ ۞

٨٣. قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

قال أبو السعود مستفيدا من البيضاوي:

ولقد راعوا في الدعاء ترتيبًا بديعا؛ حيث قدَّموا سؤالَ إفراغ الصبر؛ الذي هو مِلاكُ الأمر، ثم سؤالَ تثبيتِ القدم؛ المتفرع عليه، ثم سؤالَ النصر؛ الذي هو الغاية القصوى.

اللهم فأفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

۞ ۞ ۞

٨٤. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

قال جمال الدين القاسمي:

وهـذه الآيـة تـدل على أنَّ مَـن حزَبَه أمـرٌ، فإنه ينبغي له سـؤال المعونـة من الله، والتوفيق، والانقطاع إليه تعالى.

اللهـم فأفرغ علينا وعلى إخواننا المسـلمين صـبرا وثبت أقدامنـا وانصرنا على القوم الكافرين.

۞ ۞ ۞

٨٥. قال تعالـى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

قال الآلوسي:

وفي هـذا الدعاء مِن اللطافة وحُسـنِ الأسـلوب والنكاتِ مـا لا يخفى؛ أما أولا: فلأنَّ فيه التوسـلَ بوصـف الربوبية المنبئةِ عـن التبليغ إلى الكمال. وأمـا ثانيا: فلأنَّ فيـه الإفـراغَ، وهو يـؤذِنُ بالكثرة، وفيـه جَعْلُ الصبرِ بمنزلة المـاء المنصَبِّ عليهم؛ لثلـجِ صدورِهم، وإغنائهم عن الماء الذي مُنعوا عنـه. وأما ثالثا: فلأنَّ فيه التعبيرَ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ المشـعِرَ بجعـل ذلك كالظرف، وجعلِهم كالمظروفيـن. وأما رابعا: فلأن فيه تنكيـرَ ﴿صَبۡرٗا﴾ المفصـحَ عـن التفخيم. وأما خامسـا: فلأن في الطلـب الثاني، وهو تثبيت الأقدام، ما يرشـح جعلَ الصبرِ بمنزلـة الماء في الطلب الأول؛ إذ مَصابُّ الماءِ مَزالِق، فيحتاج فيها إلى التثبيت. وأما سادسـا: فلأن فيه حسـنَ الترتيب؛ حيث طلبوا أولا: إفـراغَ الصـبر على قلوبهم عند اللقـاء، وثانيا: ثباتَ القدَمِ والقـوةَ على مقاومة العـدو؛ حيـث إن الصبرَ قد يحصل لمن لا مقاومة له، وثالثـا: العمدةَ والمقصودَ من المحاربـة، وهو النصرة على الخصم، حيث إن الشـجاعةَ بـدون النصرة طريقٌ عتبتُه عن النفع خارجةٌ.

۞ ۞ ۞

٨٦. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

قال عبدالله التويجري:

يوم القيامة حيث: لا أحدَ يبيعُ حسناته، ولا خليلَ يتبرعُ بها، ولا صديقَ يشفع ابتداء. اللهم ارحمنا برحمتك واعف عنا يا رحمن.

۞۞۞

٨٧. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إعراب جُمل آية الكرسي:

اللهُ: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة.

وجميعُ الجمل بعده أخبار، وعددها اثنتا عشرة جملة.

اللهُ: لا إله إلا هو.

اللهُ: الحيُّ.

اللهُ: القيومُ.

اللهُ: لا تأخذه سِنة ولا نوم.

اللهُ: له مافي السموات وما في الأرض.

اللهُ: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه.

اللهُ: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.

اللهُ: لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

اللهُ: وسع كرسيه السموات والأرض.

اللهُ: لا يؤوده حفظهما.

اللهُ: هو العلي.

اللهُ: العظيم.

بدأت الآية بلفظ الجلالة الله.

ثم بأعظم كلمة، كلمة التوحيد.

ثم كل جملة بعدها هي برهان من براهين التوحيد.

واسم الله الحي من أعظم وأجل براهين التوحيد؛ لأن كلَّ أحدٍ غير الله إما حيٌّ مات أو حيٌ سيموت أو جمادٌ لا حياة فيه، وكل هؤلاء لا يصلح أحدهم أن يكون إلها معبودا.

لذا قال الله: وتوكل على الحي الذي لا يموت.

وهكذا بقية الجمل في كونها براهين للتوحيد واستحقاق الله وحده للعبادة.

۞ ۞ ۞

٨٨. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال ابن القيم:

ختمَ الآيةَ باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها، وهما الواسع والعليم، فلا يستبعد العبدُ هذه المضاعفةَ ولا يضيقُ عنها عطنُه؛ فإنَّ المضاعِفَ سبحانه واسعُ العطاءِ واسعُ الغنى واسعُ الفضل، ومع ذلك فلا يظنَّ أنَّ سعةَ عطائه تقتضى حصولَها لكل منفِق؛ فإنه عليمٌ بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهلٌ لها، ومَن لا يستحقها

ولا هـو أهلٌ لها؛ فإنَّ كرمَه سـبحانه وفضله تعالـى لا يناقض حكمته، بل يضعُ فضلَه مواضعَه لسعته ورحمته، ويمنعه مَن ليس مِن أهله بحكمته وعلمه.

۞ ۞ ۞

٨٩. قـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال الزمخشري:

طَعْمُ الآلاءِ أحلى مِن المَنِّ، وهو أمَرُّ مِن الآلاءِ عند المَنِّ!!

قال الطاهر ابن عاشور:

الآلاء الأول: النِّعم، والآلاء الثاني: شجرٌ مُرُّ الورق.

والمَنُّ الأول: شـيءٌ شِبهُ العسـل، يقع كالندى على بعض شجر بادية سينا، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾ [البقرة: ٥٧]

والمَنُّ الثاني: تذكيرُ المنعَمِ عليه بالنعمة.

اللهم أغننا بفضلك، واجعلنا من المحسنين، واكفنا شر المن يا ودود يا لطيف.

۞ ۞ ۞

٩٠. قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال ابن جزي:

مثـلُ المرائي في نفقتِه كحَجَرٍ عليه ترابٌ؛ يظنُّه مَن يراه أرضًا منبتةً طيبة، فإذا أُنزِلَ عليها المطرُ انكشـفَ الـترابُ، فيبقى الحجرُ لا منفعةَ فيه؛ فكذلـك المرائي يظنُّ أنَّ له أجرًا، فإذا كان يوم القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعه نفقتُه!! اللهم سترك وعافيتك.

۞ ۞ ۞

٩١. قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

قال ابن القيم:

قال ابن عباس: هذا مثل الذي يُختم له بالفساد في آخر عمره.

قال الحسن: هذا مثلٌ، قلَّ - والله- مَن يعقله من الناس!! شيخٌ كبيرٌ، ضعُفَ جسمُه، وكثُر صبيانُه أفقرَ ما كان إلى جنته، وإنَّ أحدَكم - والله- أفقرُ ما يكونُ إلى عمله إذا انقطعتْ عنه الدنيا.

اللهم ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك.

٩٢. قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال القرطبي:

قال بعض الحكماء: إذا اصطنعتَ المعروفَ فاستره، وإذا اصطُنع إليك فانشره.

قال دعبل الخزاعي:

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم ... وإنْ أنعموا أنعموا باكتتام

وقال سهل بن هارون:

خِلٌّ إذا جئتَه يوما لتسأله ... أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يُخفي صنائعَه، واللهُ يظهرها ... إن الجميلَ إذا أخفيتَه ظهرا

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

لا يتم المعروفُ إلا بثلاث خصال: تعجيلُه وتصغيرُه وسترُه؛ فإذا أعجلتَه هنَّيتَه، وإذا صغَّرتَه عظَّمتَه، وإذا سترتَه أتممته.

وقال بعض الشعراء فأحسن:

زاد معروفَك عندي عظما … أنه عندك مستورٌ حقير!!
تتناساه كأنْ لم تأته … وهو عند الناس مشهورٌ خطير!!

اللهم صبَّ شآبيب رحمتك علينا وعلى والدينا والقرطبي

۞ ۞ ۞

٩٣. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

قال الزمخشري:

يَعمُّونَ الأوقاتَ والأحوالَ بالصدقة؛ لحرصهم على الخير، فكلما نزلتْ بهم حاجةُ محتاجٍ عجَّلوا قضاءها، ولم يؤخروه، ولم يتعللوا بوقتٍ ولا حال.

قلتُ: فيا كلَّ خائفٍ، ويا كلَّ حزينٍ؛ دونكم الأمن والسرور من أربعة أبواب: الصدقة ليلًا سرًا، الصدقة ليلًا علانية، الصدقة نهارًا سرًا، الصدقة نهارًا علانية. اللهم فأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٩٤. قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ابن جزي في تفسيره:

عمومٌ يخرج منه البيوعُ الممنوعةُ شرعًا، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعًا ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ردٌّ على الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا، وفي

ذلك دليل على أنَّ القياسَ يهدمُهُ النصُّ؛ لأنه جعل الدليلَ على بطلانِ قياسِهم تحليلَ الله وتحريمَه.

۞ ۞ ۞

٩٥. قال تعالى: ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال أبو السعود:

جَمَع ما بين الاسمِ الجليل، والنعتِ الجميل؛ للمبالغة في التحذير.

اللهم ارزقنا خشيتك وتقواك.

۞ ۞ ۞

٩٦. قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

قال القرطبي:

حُكي أنَّ بعض العلماء كان يصنع كثيرا من المعروف، ثم يحلفُ أنه ما فعل مع أحدٍ خيرا، فقيل له في ذلك، فيقول: إنما فعلتُ مع نفسي، ويتلو ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾.

۞ ۞ ۞

٩٧. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

هذه آخر آية نزلت، وفيها ذِكْرُ يومِ الرجوعِ إلى الله؛ حيث الرحيلُ مِن هذه الدنيا.

قال صالح بن حميد: الإنسانُ حين يعزمُ على الرحيل فإنه يبدأ في جمع أثاثه ومتاعه!!

اللهم ارحمنا برحمتك.

۞ ۞ ۞

٩٨. قال تعالى: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال ابنُ جُزَي:

قوله: ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله: ﴿وَلۡيَكۡتُب﴾، ويتعلق عند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبُۢ﴾. فعلى الأول: تكون الكتابةُ بالعدل، وإنْ كان الكاتبُ غيرَ مَرْضِي. وعلى الثاني: يجب أنْ يكونَ الكاتبُ مَرْضيًا في نفسه.

قلت: هذه الفائدةُ تبينُ أهميةَ وأثرَ معرفةِ تعلُّقِ الجارِ والمجرورِ وتحديده.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

٩٩. قال تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال القرطبي:

الذهبُ مأخوذةٌ من: الذَّهاب. والفضةُ مأخوذةٌ مِن: اِنْفضَّ الشيءُ إذا تفرَّق. وهذا الاشتقاقُ يُشعر بزوالِهما وعدمِ ثبوتِهما، كما هو مشاهدٌ في الوجود. ومِن أحسنِ ما قيل في هذا المعنى قولُ بعضِهم:

النارُ آخرُ دينارٍ نَطقْتَ به ... والهمُّ آخرُ هذا الدرهمِ الجاري

والمرءُ بينهما إنْ كان ذا ورعٍ ... معذَّبُ القلبِ بين الهمِّ والنارِ

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

۞ ۞ ۞

١٠٠. قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

قال ابن كثير:

قال الحسن البصري: مِن رأفتِه بهم حذَّرهم نفسَه.

۞ ۞ ۞

١٠١. قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

قال النسفي المتوفى عام ٧١٠:

وفيه دليلٌ على أنَّ المراداتِ تُطلبُ بالصلوات، وفيها إجابةُ الدعوات، وقضاءُ

الحاجات. وقال ابن عطاء: ما فتحَ اللهُ تعالى على عبدٍ حالةً سَنِيَّةً إلا باتباعِ الأوامر، وإخلاصِ الطاعات، ولزومِ المحاريب.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين.

۞ ۞ ۞

١٠٢. قال تعالى لزكريا حين طلب آية على وجود الغلام مع أنه قد بلغه الكبر وامرأته عاقر: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ﴾ [آل عمران: ٤١].

قال ابن سعدي:

وفيه مناسبةٌ عجيبة، وهي كما أنَّ اللهَ يمنعُ نفوذَ الأسبابِ مع وجودها، فإنه يوجدُها بدونِ أسبابها؛ ليدلَّ ذلك أنَّ الأسبابَ كلَّها مندرجةٌ في قضائه وقدرِه.

قلت: هذا الاستنباط العجيب من ابن سعدي ﷺ، لم أجده عند غيره من المفسرين، رحمهم الله جميعا.

وفائدة ابن سعدي مع الآيتين أعلاه تكاد تكون شرحا واقعيا لقولنا: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعْطيَ لما مَنعت.

۞ ۞ ۞

١٠٣. قال تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ٤١].

قال القرطبي:

قال محمد بن كعب القرظي: لو رُخِّصَ لأحدٍ في تركِ الذِّكرِ لَرُخِّص لزكريا بقول الله ﷻ: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾، ولرُخِّص للرَّجُل يكونُ في الحرب بقول الله ﷻ: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥].

اللهم فأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

١٠٤. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥].

قال القرطبي:

قال الحسن وابن جريح: معنى متوفيك: قابضُكَ ورافعُك إلى السماء مِن غيرِ موت، مثلُ: توفَّيْتُ مالي مِن فلان، أي: قبضتُه.

۞ ۞ ۞

١٠٥. قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١﴾ [آل عمران: ٦١].

قال ابن عطية:

وفي تركِ النصارى الملاعنةَ لعلمهم بنبوة محمد، شاهدٌ عظيمٌ على صحة نبوته ﷺ.

۞ ۞ ۞

١٠٦. قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

قال الثعلبي:

وقال أبو بكر الوراق: دلَّهم بهذه الآية على الفتوة، وقال: لن تنالوا بِري بكم إلا ببركم إخوانكم والإنفاقِ عليهم من أموالكم وجاهكم وما تحبون، فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي.

ويقال: ضاف أبا ذر الغفاري ضيفٌ، فقال أبو ذر للضيف: إني مشغول، فاخرج إلى أبواء، فإنَّ لي بها إبلا فأتني بخيرها، فذهب وجاء بناقةٍ مهزولة، فقال له أبو ذر:

جئتني بشرها!! فقال: وجدتُ خيرَ الإبل فحلَها، فتذكرتُ يوم حاجتكم إليه. فقال أبو ذر: إنَّ يومَ حاجتي إليه لَيوم أوضعُ في حفرتي!! اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك واختم لنا بخير.

۞ ۞ ۞

١٠٧. قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال الطبري:

قال قتادة: عَلَمان بيِّنان: وُجْدان نبي الله ﷺ، وكتابُ الله، فأما نبيُّ الله فمضى ﷺ، وأما كتابُ الله، فأبقاه اللهُ بين أظهُركم؛ رحمة من الله ونعمة، فيه حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.

۞ ۞ ۞

١٠٨. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الثعلبي:

وقال يحيى بن معاذ: هذه الآيةُ مِدحةٌ لأمَّةِ محمدٍ ﷺ، ولم يكن ليمدحَ قومًا ثم يعذبهم.

اللهم رحمتك ولطفك فعمَّنا بهما، وزدنا من فضلك.

۞ ۞ ۞

١٠٩. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١].

حكى الزمخشري أنَّ أبا حنيفة رحمه الله كان يقول:

هذه الآيةُ أخوفُ آيةٍ في القرآن؛ حيث أوعدَ اللهُ المؤمنين بالنار المعدَّةِ للكافرين إنْ لم يتقوه في اجتناب محارِمه.

اللهم ربنا إننا آمنا فاعفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

۞ ۞ ۞

١١٠. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

قال ابن تيمية:

«وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب؛ فإن هذا لو كان كذلك لم يكن في الأمة مُتَّقٍ، بل مَن تاب مِن ذنوبه دخل في المتقين». منهاج السنة (٢/ ٨٢)

رَحَمَاتُ اللهِ عليك تترى -يا ابن تيمية- إلى يُبعثون.

۞ ۞ ۞

١١١. قال تعالى في صفات أهل الجنة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال البقاعي:

ولمَّا ذَكَرَ أشقَّ ما يُبذل؛ أتبعه أشقَّ ما يُحبس!!

اللهم اجعلنا من المنفقين الكاظمين العافين المحسنين.

۞ ۞ ۞

١١٢. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥].

قال القرطبي:

قال سهل بن عبد الله: الجاهلُ ميتٌ، والناسي نائمٌ، والعاصي سكرانٌ، والمُصِرُّ هالكٌ، والإصرارُ هو التسويف، والتسويفُ أن يقول: أتوبُ غدا، وهذا دعوى النفس، كيف يتوبُ غدا؟ وغدا لا يملكه!!

نعوذ بالله من الغفلة، ونستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه.

۞ ۞ ۞

١١٣. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قال علي الطنطاوي:

نحن المسلمين..... سلوا عنا ديار الشام ورياضها، والعراق وسوادها، والأندلس وأرباضها، سلوا مصر وواديها، سلوا الجزيرة وفيافيها، سلوا الدنيا ومن فيها، سلوا بطاح إفريقيا، وربوع العجم، وسفوح القفقاس، سلوا حفافي الكنج، وضفاف اللوار، ووادي الدانوب، سلوا عنا كل أرض في الأرض، وكل حيٍّ تحت السماء. إنَّ عندهم جميعا خبراً من بطولاتنا وتضحياتنا ومآثرنا ومفاخرنا وعلومنا وفنوننا.. نحن المسلمين!!

هل روى رياضَ المجد إلا دماؤنا؟ هل زانت جنَّات البطولة إلا أجسادُ شهدائنا؟ هل عرفت الدنيا أنبل منا أو أكرم، أو أرأف أو أرحم، أو أجلَّ أو أعظم، أو أرقى أو أعلم؟ نحن حملنا المنار الهادي والأرضُ تتيه في ليل الجهل، وقلنا لأهلنا: هذا الطريق! نحن نصبنا موازين العدل، يوم رفعت كل أمة عصا الطغيان. نحن بنينا للعلم دارًا يأوي إليها، حين شرَّده الناسُ عن داره. نحن أعْلَنَّا المساواة، يوم كان البشر يعبدون ملوكهم، ويؤلِّهون ساداتهم. نحن أحيينا القلوب بالإيمان، والعقول بالعلم، والناسَ كلَّهم بالحرية والحضارة.

نحن المسلمين! نحن بنينا الكوفة، والبصرة، والقاهرة، وبغداد. نحن أنشأنا حضارة الشام، والعراق، ومصر، والأندلس. نحن شِدنا بيت الحكمة، والمدرسة النظامية، وجامعة قرطبة، والجامع الأزهر. نحن عمرنا الأموي وقبة الصخرة، وسُرَّ من رأى، والزهراء، والحمراء، ومسجد السلطان أحمد، وتاج محل. نحن علَّمنا أهلَ الأرض وكنا الأساتذة وكانوا التلاميذ.

نحن المسلمين! منَّا أبو بكر، وعمر، ونور الدين، وصلاح الدين، وأورنك زيب. منَّا خالد، وطارق، وقتيبة، وابن القاسم، والملك الظاهر. منَّا البخاري، والطبري، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حزم، وابن خلدون. منَّا معبد وإسحاق وزرياب.. منا كل خليفة كان الصورة الحيَّة للمثُل البشرية العليا. وكل قائد كان سيفًا من سيوف الله مسلولًا، وكل عالم كان من البشر كالعقل من الجسد، منَّا مائة ألف عظيم وعظيم.

نحن المسلمين! قوتنا بإيماننا، وعزنا بديننا، وثقتنا بربنا. قانوننا قرآننا، وإمامنا نبينا، وأميرنا خادمنا، وضعيفنا المحقُّ قويٌّ فينا، وقويُّنا عون لضعيفنا، وكلنا إخوان في الله، سواءٌ أمام الدين.

نحن المسلمين! مَلَكنا فعدلنا، وبنينا فأعلينا، وفتحنا فأوغلنا، وكنا الأقوياء المنصفين، سننَّا في الحرب شرائع الرأفة، وشرعنا في السلم سنن العدل، فكنا خير الحاكمين، وسادة الفاتحين. أقمنا حضارة كانت خيرًا كلها وبركات، حضارة روح وجسد، وفضيلة وسعادة، فعمَّ نفعها الناس، وتفيأ ظلالها أهل الأرض جميعا، وسقيناها نحن من دمائنا، وشدناها على جماجم شهدائنا! وهل خلت الأرض من شهيد لنا قضى في سبيل الإسلام والسلام، والإيمان والأمان؟

نحن المسلمين! هل تحققت المثُل البشرية العليا إلا فينا؟ هل عرف الكون مجمعًا بشريًّا إلا مجمعنا، قام على الأخلاق والصدق والإيثار؟ هل اتفق واقع الحياة، وأحلام الفلاسفة، وآمال المصلحين، إلا في صدر الإسلام؟ يوم كان الجريح

المسلم يجود بروحه في المعركة، يشتهي شربةً من ماء، فإذا أخذ الكأس رأى جريحا آخر فآثره على نفسه، ومات عطشان. يوم كانت المرأة المسلمة يموت زوجها وأخوها وأبوها، فإذا أخبرت بهم سألت: ما فعل رسول الله؟ فإذا قيل لها: هو حيٌّ، قالت: كل مصيبةٍ بعده هيِّنة. يوم كانت العجوز ترد على عمر، وهو على المنبر في الموقف الرسمي، وعمر يحكم إحدى عشرة حكومة من حكومات اليوم. يوم كان الواحد منَّا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويؤثره عليها ولو كان به خصاصة. وكنَّا أطهارًا في أجسادنا وأرواحنا ومادتنا والمعنى. وكنَّا لا نأتي أمرًا ولا ندعه، ولا نقوم ولا نقعد، ولا نذهب ولا نجيء إلا لله. قد أَمَتْنَا الشهوات من نفوسنا، فكان هوانا تبعًا لما جاء به القرآن. لقد كنَّا خلاصة البشر، وصفوة الإنسانية. وجعلنا حقًّا واقعًا ما كان يراه الفلاسفة والمصلحون أملًا بعيدًا.

نحن المسلمين! تُنظم في مفاخرنا مائة إلياذة وألف شاهنامة. ثم لا تنقضي أمجادنا ولا تفنى، لأنها لا تُعدُّ ولا تُحصى. من يعدُّ معاركنا المظفرة التي خضناها؟... من يحصي مآثرنا في العلم والفن؟ من يستقري نابغينا وأبطالنا؟ إلا الذي يعدُّ نجوم السماء، ويحصي حصى البطحاء!! اكتبوا (على هامش السيرة) ألف كتاب.. و(على هامش التاريخ) مثلها. وأنشئوا مائة في سيرة كل عظيم، ثم تبقى السيرة ويبقى التاريخ كالأرض العذراء، والمنجم البكر.

نحن المسلمين! لسنا أمة كالأمم تربط بينها اللغة، ففي كل أمة خيِّر وشرير. ولسنا شعبًا كالشعوب، يؤلف بينهم الدم، ففي كل شعب صالح وطالح، ولكننا جمعية خيرية كبرى، أعضاؤها كل فاضل من كل أمة، تقي نقي. تجمع بيننا التقوى إن مصل الدم، وتوحِّد بيننا العقيدة، إن اختلفت اللغات، وتُدنينا الكعبة إن تناءت بنا الديار؛ أليس في توجُّهِنا كل يومٍ خمس مرات إلى هذه الكعبة، واجتماعنا كل عام مرة في عرفات، رمزًا إلى أن الإسلام قومية جامعة، مركزها الحجاز العربية، وإمامها النبي العربي، وكتابها القرآن العربي؟

نحن المسلمين! ديننا الفضيلة الظاهرة، والحق الأبلج.. لا حُجُب ولا أستار، ولا خفايا ولا أسرار، هو واضح وضوح المئذنة، أفليس فيها ذلك المعنى؟ هل في الدنيا جماعة أو نِحلة تكرر مبادئها وتُذاع عشر مرات كل يوم، كما تُذاع مبادئ ديننا -نحن المسلمين- على ألسنة المؤذنين:

أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

نحن المسلمين! لا نهون ولا نحزن ومعنا الله.. ونحن نسمع كل يوم ثلاثين مرة هذا النداء العلوي المقدس، هذا النشيد القوي: الله أكبر.. البطولة سجية فينا، وحب التضيحة يجري في عروقنا.. لا تنال من ذلك صروف الدهر، ولا تمحوه من نفوسنا أحداث الزمان.. لنا الجزيرة التي يشوى على رمالها كل طاغ يطأ ثراها، ويعيش أهلها من جحيمها في جنات. لنا الشام وغوطتها التي سُقيت بالدم، لنا فيها الجبل الأشم.. لنا العراق لنا (الرميثة) وسهول الفرات.. لنا فلسطين التي فيها جبل النار. لنا مصر دار العلم والفن ومثابة الإسلام.. لنا المغرب كله، لنا (الريف) دار البطولات والتضحيات. لنا القسطنطينية ذات المآذن والقباب، لنا فارس والأفغان والهند وجاوة. لنا كل أرض يُتلى فيها القرآن، وتصدح مناراتها بالأذان. لنا المستقبل.. المستقبل لنا إن عُدنا إلى ديننا. نحن المسلمين!

۞ ۞ ۞

١١٤. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قال القرطبي:

وفي هذه الآية بيانُ فضلِ هذهِ الأمة؛ لأنه خاطبهم بما خاطَبَ به أنبياءَه، لأنه قال لموسى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٨]. وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾. وهذه اللفظةُ مشتقةٌ مِن اسمه الأعلى، فهو سبحانه العلي، وقال للمؤمنين: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾.

حرَّمك اللهُ على النار أيها القرطبي.

۞ ۞ ۞

١١٥. قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال ابن الجوزي:

اعلم أنَّ الزمانَ لا يثبتُ على حال؛ فتارةً فقر، وتارةً غنى، وتارةً عز، وتارةً ذل، وتارةً يفرح الموالي، وتارةً يشمت الأعادي!!

فالسعيد مَن لازم أصلًا واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل؛ فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فَتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمَّت النعمة عليه، وإن ابتلي حَملته، ولا يضره إن نزل به الزمانُ أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه؛ لأنَ جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصلُ السلامة حارسٌ لا ينام.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

١١٦. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال القرطبي:

هذه الآية أدلُّ دليلٍ على شجاعةِ الصِّدِّيق وجرأتِه؛ فإنَّ الشجاعة والجرأة حدُّهما ثبوتُ القلبِ عند حلول المصائب، ولا مصيبةَ أعظمُ مِن موتِ النبيِّ ﷺ، فظهرتْ عنده شجاعتُه وعلمُه. قال الناس: لم يمتْ رسول الله ﷺ، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح، الحديث، كذا في البخاري.

۞ ۞ ۞

١١٧. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال محمد الرطيان:

الخوفُ مِن الله أمان. الخوفُ من الله فقط.. هو الشـيءُ الوحيدُ الذي يحررك من بقية المخاوف!!

أُدخل إلى القرآن وفكَّ أولَ قيدٍ مِن قيود مخاوفك، وتحرَّر.

كن شجاعًا.. فأيامُك في الحياة لن تنقص، ولن يزيدَها الجبن!

كن كريمًا.. فرزقُك المكتوبُ لك لن ينقص، والبخلُ لن يزيده!!

۞ ۞ ۞

١١٨. قال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: ١٥٨].

قال الرازي:

قولـه: ﴿تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ فِعـلُ ما لَم يُسَـمَّ فاعلُه، مع أنَّ فاعلَ ذلك الحشـرِ هو الله، وإنَّمـا لـم يقع التصريحُ به لأنه تعالى هو العظيمُ الكبيرُ الذي شـهدت العقول بأنه هو الله الـذي يبدئ ويعيد، ومنه الإنشـاء والإعادة؛ فتركُ التصريـحِ في مثل هذا الموضع أدلُّ على العظمة.

ونظيرُهُ قولُه تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤].

سبحانك ربنا ما أعظمك!!

۞ ۞ ۞

١١٩. قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال عبدالرزاق البدر:

كنتُ أصلي في المسـجد النبوي صلاة النافلة يوم الثلاثاء ٢٣/ رمضان/ ١٤٤٥ فـأراد رجـلٌ أن يمرَّ بين يدي وأنا جالسٌ بين السـجدتين فمَددتُ يـدِي لأمنعه، لكنه – جزاه الله خيرًا وأحسن إليه – ضرب يدِي بقدمه بقوة، ومرَّ!!

يقول الشيخ: فسجدتُ، ودعوتُ اللهَ له!!

ثم دعا له الشيخ في الدرس مرة ثانية. وقال: ينبغي أن يكون في القلوب رحمة؛ فليس كلُّ مَن أخطأ تدعو عليه أو تغضب عليه، بل التمس لأخيك المعاذير؛ لعله أن يكون: مضطرًا، أو جاهلًا، أو معه فتوى بصحة عمله.

ثم قال الشيخ عبدالرزاق: قال الشيخ ابن باز: زماننا هذا زمان الرفق.

قلتُ:

ومن تطبيقات هذه القصة في حياتنا اليومية:

قد يجتهد الطبيبُ في بذل الأسباب لعلاج المريض فيعطيه برنامجًا طبيًا لا بد أنْ يسير على وفقه، فيأتي المريضُ بعد عشرة أيام ولم يعمل منه شيئًا!! فاعف عنه واستغفر له ووجهه ثانية واصبر عليه وارفق به.

قد يختلف الأخ الأكبر مع أخيه الصغير، فيكون ردُّ الصغير ردا غير موفق، وهو غرٌّ جاهلٌ؛ فاعف عنه واستغفرْ له ووجهه وارفق به.

قد يطلب المعلم من طلابه حلَّ مسألةٍ من المسائل فيأتي أحدُهم بالحلِّ الخطأ، والآخرُ لم يحلَّها؛ فاعفُ عنهما واستغفرْ لهما ووجهما واصبرْ عليهما.

قد تذهب للدُّكان لشراء بعض الحاجيات، فتكتشف أنَّ فيها بضاعةً فاسدة، فأخبر صاحب الدكان، واعفُ عنه واستغفر له ووجهه واصبر عليه.

قد يتأخر الابنُ في الحضور لمناسبة عند الأب بسبب الزحام، فاعفُ عنه واستغفرْ له ووجهه واصبر عليه.

قد يُحضِر الزوجُ بعض الطلبات لزوجته ويعجزُ عن البعض الآخر، فليُعفَ عنه وليستغفرْ له وليشكرْ على الذي قدر عليه.

قـد يَطلب الزوجُ مـن زوجته إعداد سـلةِ القهوة والشـاي وما يتبعهمـا فتعدُّهما الزوجـة وتجتهدُ في ذلك وتنسـى إضافةَ التمر، فاعفُ عنها واسـتغفرْ لها واشـكرها على ما قدمت.

قد يأتي أحدُ الزبائن للمحل فيجمع ما يحتاج شراءه، وعند الحساب لم يكن معه إلا أقلَّ من المبلغ المطلوب بشيء يسير، فاعف عنه واستغفر له وكن سمحا في بيعك.

أيهـا الأب، أيهـا الـزوج، أيهـا الأخ، أيها المعلـم، أيها الموظف، أيهـا الطبيب، أيها البائع، رحمكم الله جميعا وعفا عنكم ويسَّـر أموركم، عليكم بالسـماحة واليسر مع أولادكـم، وأزواجكـم، وإخوانكم، وطلابكـم، ومراجعيكـم، ومرضاكم، ومع الناس أجمعين.

أطلقوهـا مدوية في الأرجاء كما فعل رسـولنا الكريم ﷺ: اذهبـوا فأنتم الطلقاء، وكما فعل يوسف عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم.

رحم الله امرءا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى، ورحم الله معلما سـمحا إذا علـم، وطبيبـا سـمحا إذا داوى، ورحم الله أخا سـمحا مع إخوتـه. اللهم فارحمنا برحمتك الواسعة وعبدالرزاق البدر وذاك الرجل والمسلمين أجمعين.

۞ ۞ ۞

١٢٠. قـال تعالـى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قال أبو حيان:

جـاء جـوابُ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ بصريـح النفـي العـام. ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾، وجاء جواب ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ بالاسـتفهام المتضمن للنفي ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾، وهـذا مِـن تنويعِ الـكلام في الفصاحةِ والتلطُّفِ بالمؤمنيـن؛ حتى لا يُصرَّح

لهم بأنه {لا ناصر لهم}، بل أبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يقتضي السؤال عن الناصر، وإن كان المعنى على نفي الناصر.

لكن هناك فرقٌ بين الصريح والمتضمن، فلم يُجْرِ المؤمنين في ذلك مَجرى الكفارِ الذي نصَّ عليه بالتصريح أنه لا ناصرَ لهم كقوله في سورة محمد عن الكفار: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١٣].

۞ ۞ ۞

١٢١. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال أبو الفداء ابن كثير:

وقد رُوينا في مسند الإمام أحمد حديثا فيه البشارةُ لكل مؤمن، بأنَّ روحَه تكون في الجنة تسرحُ أيضا فيها، وتأكلُ من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهدُ ما أعدَّه اللهُ لها من الكرامة، وهو بإسنادٍ صحيحٍ عزيزٍ عظيمٍ؛ اجتمع فيه ثلاثةٌ من الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتَّبعة؛ فإن الإمام أحمد، رحمه الله، رواه عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله، عن الإمام مالك بن أنس الأصبحي، رحمه الله، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نسمةُ المؤمنِ طائرٌ يعلَقُ في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه».

قوله: «يعلق» أي: يأكل. وفي هذا الحديث: «إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة». وأما أرواح الشهداء، فكما تقدم في حواصل طيرٍ خضْرٍ، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يثبتنا على الإيمان.

۞ ۞ ۞

١٢٢. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

قال بندار:

الدعاء الذي استغاث به يونس ﷺ كان ثناءً على الله!! ودعاء إبراهيم ﷺ عندما ألقي في النار كان ثناءً على الله!! ودعاء الكرب الذي كان يدعو به نبينا ﷺ كان ثناءً على الله!! ما من بلاءٍ عظيمٍ إلا واللهُ أعظمُ منه!! ومَن استطال أيام بلائه فليلهج بأدعية الثناء؛ فإنَّ الثناءَ فالقُ البلاء!!

❁ ❁ ❁

١٢٣. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

قال القرطبي:

روي عن ابن مسعود أنه قال: ما مِن أحدٍ، برٍ ولا فاجرٍ إلا والموتُ خيرٌ له!! لأنه إنْ كان برًا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وإنْ كان فاجرًا فقد قال الله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وفقهنا في ديننا.

❁ ❁ ❁

١٢٤. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال ابن القيم:

السَّيرُ في طلب الدنيا سيرٌ في أرضِ مَسْبَعَةٍ، والسباحةُ فيها سباحةٌ في غدير التماسيح، المفروحُ به منها هو عينُ المحزونِ عليه، آلامُها متولدةٌ من لذاتِها، وأحزانُها من أفراحها.

مآربُ كانت في الشباب لأهلها ... عَذْبا فصارت في المشيب عذابا

❁ ❁ ❁

١٢٥. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال القرطبي:

قال الحسن: الدنيا متاع كخضرة النبات، ولعبِ البنات، لا حاصل له. وقال قتادة: هي متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها، فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع. ولقد أحسن من قال:

هي الدار دار الأذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغِير

فلو نلتَها بحذافيرها ... لمُتَّ ولم تقضِ منها الوطر

أيا مَن يؤمل طولَ الخلود ... وطولُ الخلود عليه ضرر

إذا أنت شبتَ وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

اللهم أنزل علينا رحماتك ورضوانك

۞ ۞ ۞

١٢٦. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال ابن عطية:

الغرور: الخَدعُ والترجيةُ بالباطل، والحياةُ الدنيا وكلُّ ما فيها من الأموال فهي متاعٌ قليلٌ، تخدعُ المرءَ وتمنيِّه الأباطيل.

قال عبد الرحمن بن سابط: متاع الغرور كزاد الراعي، يتزودُ الكَفَّ مِن التَّمرِ أو الشيء مِن الدقيقِ يشربُ عليه اللبَن!! اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

١٢٧. قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال ابن عطية:

والعـزمُ: إمضاءُ الأمرِ المُرَوى المنَقَّح. وليس ركـوبُ الأمرِ -دونَ رويةٍ- عزمًا، إلا على مقطع المُشِيحين مِن فُتَّاك العرب، كما قال:

إذا هَـمَّ ألقى بينَ عينيهِ عزمَهُ ... ونكَّبَ عـن ذِكرِ الحوادثِ جانبا

۞ ۞ ۞

١٢٨. قـال تعالـى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال القرطبي:

قال الحسـن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شـيء من الكتاب؛ فمن علم شـيئا فليعلمـه، وإياكـم وكتمان العلم فإنه هلكة. وقال محمد بـن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله. وقال الحسن بن عمارة: أتيت الزهـري بعد ما ترك الحديث، فألفيتـه على بابه، فقلت: إنْ رأيت أن تحدثني؟ فقال: أما علمتَ أني تركتُ الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدِّثك؟ قال حدثني. قلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سـمعت علي بن أبي طالب يقول: ما أخذ اللهُ على الجاهلين أن يتعلَّموا حتى أخذ على العلماء أن يُعلِّموا!!

قال: فحدثني أربعين حديثا.

۞ ۞ ۞

١٢٩. قـال تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قال القرطبي:

ذكـر تعالـى ثلاثَ هيئـاتٍ لا يخلوا ابـنُ آدمَ منهـا في غالب أمـره، فكأنها تحصرُ

زمانَه. ومن هذا المعنى قولُ عائشة ﵂: كان رسولُ الله ﷺ يذكر اللهَ على كل أحيانه. أخرجه مسلم.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

١٣٠. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قال أبو حيان في تفسيره لأواخر آيات سورة آل عمران:

وتكرر لفظُ (ربنا) خمسَ مرات، كلٌّ ذلك على سبيل الاستعطاف وتطلُّبِ رحمة الله تعالى بندائه بهذا الاسم الشريف الدَّالِ على التربية والملك والإصلاح.

وكذلك تكرر هذا الاسم في قصة آدم ونوح وغيرهما.

وفي تكرار (ربنا... ربنا... ربنا) دلالةٌ على جوازِ الإلحاح في المسألة، واعتمادِ كثرة الطلب من الله تعالى. وفي الحديث: «ألظوا بـ يا ذا الجلال والإكرام»، وقال الحسن: ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم.

وهذه مسألة أجمع عليها علماء الأمصار خلافا لبعض الصوفية.

ربنا اغفر لنا، ربنا ولوالدينا، ربنا ارحمنا، ربنا ووالدينا، وذرياتنا وأزواجنا ياربنا.

۞ ۞ ۞

١٣١. قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قال أبو سليمان الداراني:

إني لأخرجُ من منزلي، فما يقعُ بصري على شيءٍ إلا رأيتُ لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة.

۞ ۞ ۞

١٣٢ . قال تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

قال القاسمي:

وأضاف الثواب إليه تعالى؛ ليدلَّ على أنه ثوابٌ عظيم؛ لأنَّ العظيمَ الكريمَ لا يعطي إلا جزيلا كثيرا. كما قيل:

إنْ يعاقبْ يكن غراما وإنْ يعطِ جزيلا فإنه لا يبالي

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

١٣٣ . قال تعالى في أواخر سورة آل عمران: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

قال القرطبي:

قال الحسن: ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم. وقال جعفر الصادق: مَن حَزبَهُ أمرٌ، فقال خمسَ مرات: ربنا، أنجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد. قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١]. – إلى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

۞ ۞ ۞

١٣٤ . قال تعالى: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

قال القرطبي:

وسمَّاه قليلا لأنه فان، وكلُّ فانٍ وإنْ كان كثيرا فهو قليل.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

۞ ۞ ۞

١٣٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

قال القرطبي:

أي لا يحتاج إلى تفكرٍ وعقدِ يَدٍ كما يفعله الحُسَّاب؛ لأنه العالِمُ الذي لا يعزب عن علمه شيءٌ، فلا يؤخرُ جزاءَ أحدٍ للاشتغال بغيره، وكما يرزقهم في ساعةٍ واحدةٍ يحاسبُهم كذلك في ساعة واحدة.

وفي الخبر: ولا ينتصف النهار حتى يقيل أهلُ الجنةِ في الجنة وأهلُ النار في النار.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٣٦. قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢].

وقال: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

قال الطاهر ابن عاشور:

جانبان مستضعفان في الجاهلية: اليتيم، والمرأة. وحقَّان مغبونٌ فيهما أصحابُهما: مالُ الأيتام، ومالُ النساء؛ فلذلك حرسهما القرآنُ أشدَّ الحراسة، فابتدأ بالوصاية بحقِّ مالِ اليتيم، وثنَّى بالوصاية بحقِّ المرأة في مالٍ ينجرُّ إليها لا محالة.

❁ ❁ ❁

١٣٧. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

قال عبدالله الصبيحي:

كلُّ كافرٍ تراه في الدنيا هو دلالةٌ وآيةٌ على حِلْمِ الله سبحانه!!

❁ ❁ ❁

١٣٨. قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

قال أبو حيان:

وقَلَّ أنْ تَرى متعاشِرَين يرضى كلُّ واحدٍ منهما جميعَ خُلقِ الآخَر.

ويقال: ما تعاشَرَ اثنان إلا وأحدُهما يتغاضى عن الآخَر.

وفي صحيح مسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقا رضي منها آخر).

وأنشدوا في هذا المعنى:

ومَن لا يُغمِّضْ عينَه عن صديقِه وعن بعضِ ما فيه يمتْ وهو عاتبُ!!
ومَـن يتتبعْ جاهـدًا كـلَّ عثرةٍ يجدْها، ولا يسلَمْ له الدهرَ صاحبُ!!

۞ ۞ ۞

١٣٩. قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

قال القرطبي:

قال ابن المسيب: لقد أتى علي ثمانون سنة، وذهبتْ إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى، وصاحبي أعمى أصمُّ، وإني أخاف من فتنة النساء.

وقال عبادة بن الصامت ﵁: ألا تروني لا أقوم إلا رفدا، ولا آكل إلا ما لُوق لي - يعني لُين وسُخن - وقد مات صاحبي منذ زمان، وما يسرني أني خلوتُ بامرأة لا تحل لي، وأنَّ لي ما تطلع عليه الشمس؛ مخافة أن يأتيني الشيطان فيحركه علي، إنه لا سمع له ولا بصر!!

۞ ۞ ۞

١٤٠. قال عبدالله بن مسعود ﵁:

خمسُ آياتٍ من سورة النساء: لَهُنَّ أحبُّ إليَّ مِن الدنيا جميعا:

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١].

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٢].

۞ ۞ ۞

١٤١. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [النساء: ٣٢].

وقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

قال فيصل بن تركي:

كلُّ عمليةِ مقارنة تدخُلها في أمرٍ من أمور الدنيا فالغالبُ أنك ستخرجُ منها ضيقَ الصدر، متكدرَ الخاطر، زاهدا في نعمةِ الله عليك، حاسدا لغيرك؛ ولذلك كان من قوانين السعادة الحياتية؛ قول النبي ﷺ: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولاتنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله».

۞ ۞ ۞

١٤٢. قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤].

قال القاسمي:

فاحذروه؛ تهديدٌ للأزواج على ظلم النسوان مِن غير سبب، فإنهنَّ - وإنْ ضعفْنَ عن دفع ظلمكم، وعجزْنَ عن الانتصاف منكم - فاللهُ سبحانه عليٌّ قاهرٌ كبيرٌ قادرٌ، ينتقمُ ممن ظلمهنَّ وبغى عليهنَّ. فلا تغتروا بكونكم أعلى يدًا منهنَّ وأكبرَ درجةً منهنَّ؛ فإنَّ اللهَ أعلى منكم، وأقدرُ منكم عليهنَّ. فختمُ الآيةِ بهذين الاسمين فيه تمامُ المناسبة.

۞ ۞ ۞

١٤٣. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ٣٧].

اختلفت أقوال المفسرين بالمعني بالآية إلى ثلاثة أقوال:

١- المراد بهم اليهود؛ بخلوا أن يعترفوا بما عرفوا مِن نعتِ محمدٍ - عليه الصلاة والسلام - وصفتِه في التوراة، وأمروا قومهم أيضا بالكتمان.

٢- وقيل المراد به: البخل بالمال؛ لأنَّ اللهَ ذكَرَه عقيب الآية التي أوجب فيها رعايةَ حقوق الناس بالمال، ومعلومٌ أنَّ الإحسانَ إلى أولئك إنما يكون بالمال.

٣- وقيل عام في البخل بالعلم والدين، وفي البخل بالمال؛ لأنَّ اللفظ عام، والكلُّ مذموم، فوجب كونُ اللفظِ متناولا للكل.

۞ ۞ ۞

١٤٤. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ٣٧].

قال الزمخشري:

وفي أمثال العرب: أبخلُ مِن الضَّنين بِنائلِ غيرِه.

قال الشاعر:

وإنَّ امْرَءًا ضَنَّتْ يَدَاهُ على امْرِئٍ ... بِنَيْلِ يَدٍ مِنْ غَيْرِهِ لَبَخِيلُ

ولقد رأينا مِمَن بُلي بداء البخل، مَن إذا طرَق سمعَه أنَّ أحدا جاد على أحدٍ، شَخَصَ به، وحلَّ حبوتَه، واضطرب، ودارت عيناه في رأسه، كأنما نُهِب رحلُه، وكُسرتْ خزانتُه، ضجرًا من ذلك وحسرةً على وجوده.

وقال الرازي: الله تعالى ذكر في هذه الآية مِن الأحوال المذمومة ثلاثا:

أولها: كونُ الإنسان بخيلا، وهو المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾.

وثانيهـا: كونهـم آمرين لغيرهـم بالبخل، وهذا هـو النهاية في حـب البخل، وهو المراد بقوله: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾.

وثالثهـا: قولـه: ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾. فيوهمـون الفقرَ مع الغنى، والإعسارَ مع اليسار، والعجزَ مع الإمكان.

ثـم إن هـذا الكتمان قد يقعُ على وجـهٍ يوجبُ الكفرَ، مثل أنْ يُظهر الشـكايةِ عن الله تعالـى، ولا يرضـى بالقضاء والقدر، وهذا قد ينتهي إلـى حد الكفر؛ فلذلك قال: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

۞ ۞ ۞

١٤٥. قال تعالى: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: ٣٧].

قال الشوكاني:

وهـؤلاء المذكـورون في هذه الآية ضموا إلـى ما وقعوا فيه مـن البخل الذي هو أشـر خصال الشـر ما هو أقبح منه وأدل على سـقوطِ نفس فاعله، وبلوغِه في الرذالة إلـى غايتها، وهو أنهم مع بخلهم بأموالهم وكتمِهـم لما أنعم الله به عليهم من فضله، كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجا ومضاضة!! فلا كثَّر في عباده مـن أمثالكم!! هذه أموالكم قد بخلتم بها لكونكم تظنون انتقاصها بإخراج بعضها في مواضعـه، فما بالكم بخلتم بأموال غيركم؟ مع أنـه لا يلحقكم في ذلك ضرر!! وهل هذا إلا غايةُ اللؤم، ونهايةُ الحمق والرقاعة، وقبحُ الطباعِ، وسوءُ الاختيار؟

۞ ۞ ۞

١٤٦. قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٧].

قال أبو السعود:

مَن كان كافرا بنعمة اللهِ تعالى فله عذابٌ يهينُه؛ كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء.

۞ ۞ ۞

١٤٧. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

قال القرطبي:

قال أبو هريرة: وإذا قال الله ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ فمن الذي يقدر قدره!!

وقد تقدم عن ابن عباس وابن مسعود: أن هذه الآية إحدى الآيات التي هي خيرٌ مما طلعت عليه الشمس.

۞ ۞ ۞

١٤٨. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩].

قال القرطبي:

فقد دلَّ الكتابُ والسنةُ على المنع مِن تزكية الإنسان نفسَه، ويجري هذا المجرَى ما قد كثُر في هذه الديارِ المصريةِ من نعتِهم أنفسَهم بالنعوت التي تقتضي التزكية، كزكي الدين ومحي الدين وما أشبه ذلك، لكن لما كثُرتْ قبائحُ المسَمَّيْن بهذه الأسماء ظهرَ تخلُّفُ هذهِ النعوتِ عن أصلِها، فصارت لا تفيد شيئًا.

فلذا كان النووي رحمه الله يقول: ليس في حلٍّ مَن سماني محي الدين!!

۞ ۞ ۞

١٤٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

قال القرطبي:

وقال ابن عباس: لم يرخص اللهُ لمعسرٍ ولا لموسرٍ أنْ يمسك الأمانة. ثم قال: وهذا إجماع. وأجمعوا على أنَّ الأمانات مردودةٌ إلى أربابها، الأبرارِ منهم والفجار، قاله ابن المنذر.

۞ ۞ ۞

١٥٠ . قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الآلوسي: وقد عُلِم مِن قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أنه عند عدمِ النزاع يُعمل بما اتُفق عليه، وهو الإجماع.

۞ ۞ ۞

١٥١ . قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ما الدنيا كلها في الآخرة إلا كنفجة أرنب. [يعني: مثل وثبة الأرنب].

۞ ۞ ۞

١٥٢ . قال تعالى: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

قال ابن الجوزي:

ولا خيرَ -واللهِ- في سَعَةٍ من الدنيا ضيَّقت طريقَ الآخرة.

اللهم رحمتَك وعفوك.

۞ ۞ ۞

١٥٣ . قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩].

قال ابن القيم:

فالحسنةُ والسيئةُ ها هنا: النعمةُ والمصيبةُ؛ فالنعمةُ مِن اللهِ مَنَّ بها عليك، والمصيبةُ إنما نشأتْ مِن قِبَلِ نفسِك وعملِك، فالأولُ فضلُه، والثاني عدلُه. والعبدُ يتقلبُ بين فضلِه وعدلِه، جارٍ عليه فضلُه، ماضٍ فيه حكمُه، عدلٌ فيه قضاؤه.

۞ ۞ ۞

١٥٤. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

قال أبو حيان:

قال القشيري: في الآية تعليمٌ لهم حُسنَ العِشرة، وآدابَ الصحبة. وأنَّ مَن حَمَّلك فضلًا صار ذلك في ذمتك قرضًا، فإنْ زِدتَ على فعلِه، وإلا فلا تنقصْ عن مثلِه.

اللهم ارحمنا ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا والقشيري وأباحيان.

۞ ۞ ۞

١٥٥. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

قال القرطبي:

وفي هذا مِن الفقه بابٌ عظيم، وهو: أنَّ الأحكامَ تُناطُ بالمَظانِّ والظواهر، لا على القطعِ واطِّلاعِ السرائر.

۞ ۞ ۞

١٥٦. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

قال الطاهر ابن عاشور:

أي: كنتم كفارا، فدخلتم الإسلام بكلمة الإسلام، فلو أنَّ أحدًا أبى أنْ يصَدِّقَكم في إسلامكم، أكان يرضيكم ذلك؟

وهذه تربيةٌ عظيمة، وهي أنْ يستشعرَ الإنسانُ عند مؤاخذتِه غيرَه أحوالًا كان هو عليها تساوي أحوالَ مَن يؤاخذه!! كمؤاخذةِ المعلمِ التلميذَ بسوء، إذا لم يقصِّرْ في إعمالِ جهده.

ثم قال: وكذلك الآباءُ مع أبنائهم إذا بلغتْ بهم الحماقةُ أنْ ينتهروهم على اللعب المعتاد، أو على الضجر من الآلام.

۞ ۞ ۞

١٥٧. قال تعالى في آخر آية صلاة الخوف: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ﴾ [النساء: ١٠٢].

قال عبدالله التويجري:

تأمل الآية... فقد نفى اللهُ الجناحَ عن مَن وضع السلاح في حال الصلاة في حالِ الخوف ومواجهةِ الأعداء!!

ولم تكن الحربُ ولا المرضُ ولا الخوفُ سببا في ترك الصلاة. ألا فلنتق الله في صلواتنا ومن تحت أيدينا بأمرهم بالصلاة.

۞ ۞ ۞

١٥٨. قال تعالى: ﴿وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

قال السعدي:

تدل الآية الكريمة على أنَّ الأولى والأفضل أن يُصلوا بإمام واحد، ولو تضمن ذلك الإخلالَ بشيءٍ لا يُخلُّ به لو صلوها بعِدة أئمة؛ وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين واتفاقِهم وعدمِ تفرقِ كلمتهم، وليكون ذلك أوقعَ هيبةً في قلوب أعدائهم.

اللهم اجمع شمل المسلمين ووحد صفهم يارب العالمين.

۞ ۞ ۞

١٥٩. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

قال ابن القيم:

اشتركوا في الألم!! وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفى من الله تعالى.

۞ ۞ ۞

١٦٠. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦].

قال عبدالله التويجري:

هذه الآيةُ جنةٌ وارفةُ الظِّلال، باذخةُ الجلال!! فاللهُ يأمرُ كلَّ واحدٍ منا أنْ يستغفره؛ لأنَّ اللهَ كان غفورا رحيما!! وحاشَ لله أنْ يأمرَنا ويعدَنا ثم لا يغفر لنا.

ياعباد الله: أزيلوا وحشة قلوبكم بالاستغفار، وأمِّنوا أرواحكم وأبدانكم وأبناءكم وأموالكم وبلادكم بالاستغفار؛ فماكان الله معذبا عبادَه المستغفرين.

۞ ۞ ۞

١٦١. قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

قال الزمخشري:

وكفى بهذه الآيةِ ناعيةً على الناس ما هم فيه مِن قِلَّةِ الحياءِ والخشيةِ مِن ربهم!! مع علمهم -إن كانوا مؤمنين- أنهم في حضرتِه. لا سترةَ، ولا غفلةَ، ولا غَيبةَ، وليس إلا الكشفُ الصريحُ والافتضاح.

اللهم املأ قلوبنا من خشيتك، وعُمَّنا بعافيتك وسترك.

۞ ۞ ۞

١٦٢. قال الله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٣١].

قال القرطبي:

قال بعضُ العارفين: هذِه الآيةُ هي رَحَى آيِ القرآن؛ لأنَّ جميعَه يدور عليها.

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين.

۞ ۞ ۞

١٦٣ . قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

قال عبدالله التويجري:

والقرآن الذي جاء فيه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قد أخبرنا أنَّ المنافقين يُصلون ويُنفقون ويَذكرون اللهَ ويشهدون للرسول ﷺ بالرسالة. لكنَّهم: يقومون للصلاة كسالى، وينفقون وهم كارهون، ولا يذكرون الله إلا قليلا، ويشهدون بالرسالة وهم بها كاذبون؛ فلنحذر كلَّ الحذر من الكسل عند القيام للصلاة، ومن الإنفاق مع الكراهة، ولنحرص كلَّ الحرص على الإكثار من ذكر الله، وليكن إيماننا بالله ورسوله ﷺ إيمان صدق واتباع.

۞ ۞ ۞

١٦٤ . قال تعالى: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

قال الثعلبي:

قال الضحاك عن ابن عباس: ودخل في هذه الآية كلُّ مُحْدِثٍ في الدين، وكلُّ مبتدِعٍ إلى يوم القيامة. اللهم قنا فتنة كل مخذول منقود.

۞ ۞ ۞

١٦٥ . قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

قال الرازي:

فإن قيل: لِمَ سَمَّى ظفَرَ المسلمين فتحا، وظفَرَ الكفارِ نصيبا؟

قلنا: تعظيما لشأن المؤمنين، واحتقارا لحظ الكافرين؛ لأنَّ ظفَرَ المؤمنين أمرٌ عظيمٌ تُفتَّح له أبوابُ السماء حتى تنزلَ الملائكةُ بالفتح على أولياء الله. وأما ظَفرُ الكافرين فما هو إلا حظٌ دنيء ينقضي ولا يبقى منه إلا الذمُّ في الدنيا والعقوبةُ في العاقبة.

وقال الطاهر ابن عاشور:

وجَعلَ ما يحصلُ للمسلمين فتحا؛ لأنه انتصارٌ دائم، ونُسِبَ إلى اللهِ؛ لأنه مُقَدِّرُه ومُريدُه، بأسبابٍ خفية ومعجزات بينة. وجَعلَ ما يحصلُ للكافرين من النصر نصيبا؛ تحقيرا له.

۞ ۞ ۞

١٦٦. قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

قال ابن القيم:

إنَّ كثرةَ ذكرِ اللهِ ﷻ أمانٌ من النفاق؛ فإنَّ المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ. وقال كعب: مَن أكثرَ ذكرَ اللهِ ﷻ برئ من النفاق.

ولهذا -والله أعلم- ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]. اللهم طهر قلوبنا وأعمالنا من النفاق، واجعلها خالصة لك يا رحمن.

۞ ۞ ۞

١٦٧. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

قال ابن سعدي:

فهذه الأوصافُ المذمومةُ تدلُّ بتنبيهِها على أنَّ المؤمنين متصفون بضدها، مِن الصدق ظاهرا وباطنا، والإخلاص، وأنهم لا يُجهل ما عندهم، وتدل على نشاطِهم

في صلاتهم وعباداتهم، وكثرةِ ذكرهم لله تعالى. وأنهم قد هداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم. فليعرِض العاقلُ نفسَه على هذين الأمرين، وليختر أيهما أولى به. وبالله المستعان.

۞ ۞ ۞

١٦٨ . قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال عماد الدين أبو الفداء:

هذِهِ صفةُ ظواهِرهم، ثم ذكر تعالى صفةَ بواطِنِهم الفاسدة، فقال: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]. نعوذ بالله من النفاق وأهله.

۞ ۞ ۞

١٦٩ . قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

قال الطاهر ابن عاشور:

فعمَّمَ في مجيء البرهانِ وإنزالِ النورِ جميعَ الناس، وخصَّص في الرحمة والفضلِ والهدايةِ المؤمنين. وهذا منتهى البلاغة وصحةِ التقسيم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ المَائِدَةِ

١٧٠. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المائدة: ١].

ورد هذا النداء العظيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في سورة المائدة ١٦ مرة.

قال الثعلبي:

قال الحسن: إذا سمعتَ الله -تعالى- يقول: «يا أيها الذين آمنوا»، فادع لها سمعك؛ فإنها لأمرٍ تُؤمر به أو لنهي تُنهى عنه. وقال جعفر الصادق: لذةُ «يا» في النداء أزال تعب العبادة والعناء.

۞ ۞ ۞

١٧١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

قال الشوكاني:

هذه الآية التي افتتح الله بها هذه السورة، فيها من البلاغة ما تتقاصر عنده القوى البشرية، مع شمولها لأحكام عدة، منها: الوفاء بالعقود، ومنها تحليل بهيمة الأنعام، ومنها استثناء ما سيتلى مما لا يحل، ومنها تحريم الصيد على المحرم، ومنها إباحة الصيد لمن ليس بمحرم.

وقد حكى النقاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم، اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم، أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياما كثيرة، ثم خرج فقال: والله ما أقدر!! ولا يطيق هذا أحد؛ إني فتحتُ المصحف فخرجتْ سورة المائدة،

فنظرتُ فإذا هو قد نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلَّل تحليلا عاما، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا.

❁ ❁ ❁

١٧٢. قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن القيم:

تأملْ كيف وصفَ الدِّينَ الذي اختاره لهم بالكمال، والنعمةَ التي أسبغها عليهم بالتمام؟ إيذانا في الدِّين بأنه لا نقصَ فيه ولا عيبَ ولا خلل، ولا شيءَ خارجا عن الحكمة بوجه، بل هو الكاملُ في حسنِه وجلالتِه.

ووصفَ النعمةَ بالتمام؛ إيذانا بدوامها واتصالِها، وأنه لا يسلبُهم إياها بعد إذ أعطاهموها، بل يُتمها لهم بالدوام في هذا الدار وفي دار القرار.

وتأملْ حُسنَ اقترانِ التمامِ بالنعمة، وحُسنَ اقتران الكمال بالدِّين، وإضافةَ الدِّين إليهم؛ إذ همُ القائمون به المقيمون له، وأضاف النعمةَ إليه؛ إذ هو وليُّها ومسديها والمنعمُ بها عليهم، فهي نعمة حقا، وهم قابلوها.

وأتى في الكمال باللام المؤذنةِ بالاختصاص، وأنه شيءٌ خُصوا به دون الأمم. وفي إتمام النعمةِ بعلى المؤذنةِ بالاستعلاء والاشتمال والإحاطة. فجاء: «أتممت» في مقابلة ﴿أَكۡمَلۡتُ﴾ و﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ في مقابلة ﴿لَكُمۡ﴾ و﴿نِعۡمَتِي﴾ في مقابلة ﴿دِينَكُمۡ﴾. وأكد ذلك وزاده تقريرا وكمالا وإتماما للنعمة بقوله ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

❁ ❁ ❁

١٧٣. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

قال البيضاوي:

والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى: طهارتان: أصل وبدل، والأصل اثنان: مستوعب وغير مستوعب، وغير المستوعب باعتبار الفعل: غسل ومسح، وباعتبار المحل محدود وغير محدود، وأن آلتهما: مائع وجامد، وموجبهما: حدث أصغر وأكبر، وأن المبيح للعدول إلى البدل: مرض أو سفر، وأن الموعود عليهما: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

۞ ۞ ۞

١٧٤. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

استنبط منها ابن العربي ٥٢ مسألة، واستنبط منها القرطبي ٣٢ مسألة، واستنبط منها السعدي ٥١ مسألة. رحم الله أهل العلم.

۞ ۞ ۞

١٧٥. قال تعالى في سياق الحديث عن المنافقين واليهود: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن القيم:

مما يدل على أنَّ العبدَ إذا اعتاد سماعَ الباطلِ وقبولَه أكسبَه ذلك تحريفا للحق عن مواضعه؛ فإنه إذا قبِل الباطلَ أحبَّه ورضيه، فإذا جاء الحقُّ بخلافه ردَّه وكذَّبه إنْ قدِر على ذلك، وإلا حرَّفه.

۞ ۞ ۞

١٧٦. قال تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

قال عبدالله التويجري:

إنْ أردتَ النجاةَ لنفسك، فتجنبْ: مجالسَ الكذب، وحواراتِ الكذب، ولقاءاتِ الكذب.

۞ ۞ ۞

١٧٧. قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

قال ابن جرير:

وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آيةٌ أشدَّ توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوفَ عليهم منها. وقال الضحاك بن مزاحم: ما في القرآن آية أخوف عندي منها: أنَّا لا ننهى. وعن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشدَّ توبيخًا من هذه الآية.

۞ ۞ ۞

١٧٨. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال الشوكاني:

وقد كان ذلك بحمد الله، فإنه بيَّن لعبادِ الله ما نُزل إليهم على وجه التمام، ثم حَمَل مَن أبى مِن الدخول في الدِّين على الدخول فيه طوعًا أو كرهًا، وقتَلَ صناديدَ الشركِ، وفرَّق جموعهم وبدَّد شملهم، وكانت كلمةُ الله هي العليا، فأسلم كلُّ مَن نازعه ممن لم يسبق فيه السيفُ العذلَ!! حتى قال يوم الفتح لصناديد قريش وأكابرهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ اذهبوا فأنتم الطلقاء!!

وهكذا مَن سبقت لـه العناية مِن علماء هذه الأمة يعصمُـه اللهُ مِن الناس، إنْ قام ببيان حجج الله، وإيضاحِ براهينه، وصرَخ بين ظهراني مَن ضادَّ اللهَ وعانده ولم يمتثل لشرعه، كطوائف المبتدعة، وقد رأينا مِن هذا في أنفسنا، وسمعناه في غيرنا ما يزيدُ المؤمنَ إيمانًا وصلابةً في دين الله، وشدَّةَ شكيمة في القيام بحجة الله.

وكلُّ ما يظنه متزلزلو الأقدام، ومضطربو القلوب، مِن نزولِ الضرر بهم، وحصولِ المحن عليهم فهو خيالاتٌ مختلة، وتوهماتٌ باطلة، فإنَّ كلَّ محنةٍ في الظاهر هي منحةٌ في الحقيقة؛ لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى.

اللهم اعصمنا من كل حاسد وكذاب ومبير.

❁ ❁ ❁

١٧٩. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣].

قال القرطبي:

وهذه أحوال العلماء: يَبكون ولا يُصعقون، ويَسألون ولا يصيحون، ويتحازنون ولا يتماوتون؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

❁ ❁ ❁

١٨٠. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

قال القرطبي:

جاء رجل إلى الحسن البصري، فقال: إنَّ لي جارًا لا يأكل الفالوذج!! فقال: ولم؟ قال: يقول لا يؤدي شكرَه!! فقال الحسن: أفيشربُ الماءَ البارد؟ فقال:

نعم. فقال: إنَّ جارَك جاهل؛ فإنَّ نعمةَ الله عليه في الماء البارد أكثرُ مِن نعمته عليه في الفالوذج!!

اللهم أكرمتنا بالإيمان والإسلام فلك الحمد، ونعمك علينا تترى لا تنقطع فلك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما تحب وترضى، حمدا يملأ السماء والأرض وما بينهما.

۞ ۞ ۞

١٨١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المائدة: ٩٤].

قال ابن كثير:

يعني: أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سِرًّا وجهرا؛ لتظهرَ طاعةُ مَن يطيع منهم في سِرِّه وجهره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك: ١٢]. اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.

۞ ۞ ۞

١٨٢. قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

قال البيضاوي:

هذا حكمٌ عام في نفي المساواةِ عند الله ﷻ بين الرديء مِن الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها، رغَّبَ به في مصالح العمل وحلال المال؛ فإن العبرة بالجودة والرداءةِ دون القلة والكثرة؛ فإن المحمودَ القليلَ خيرٌ من المذمومِ الكثير، والخطابُ لكل معتبرٍ؛ ولذلك قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

۞ ۞ ۞

١٨٣. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١].

قال ابن كثير:

وظاهرُ الآية النهيُ عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته، فالأولى الإعراضُ عنها وتركُها.

وما أحسنَ الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا يُبلغني أحدٌ عن أحدٍ شيئا؛ فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» الحديث.

وقال ابن القيم:

ولم ينقطع حكمُ هذه الآية، بل لا ينبغي للعبد أنْ يتعرض للسؤال عما إنْ بدا له ساءه، بل يستعفي ما أمكنه، ويأخذ بعفو الله.

ومِن هاهنا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا صاحب الميزاب، لا تخبرنا!! لَمَّا سأله رفيقه عن مائه، أطاهرٌ أم لا؟

وكذلك لا ينبغي للعبد أن يسأل ربَّه أن يبدي له من أحواله وعاقبته ما طواه عنه وستره؛ فلعله يسوؤه إن أبدي له، فالسؤال عن جميع ذلك تعرُّضٌ لما يكرهه الله؛ فإنه سبحانه يكره إبداءها، ولذلك سكت عنها، والله أعلم. رحمكما الله ياعمادَ الدين وشمسَه، ورحم الله أربعة خلَّفوكم.

۞ ۞ ۞

١٨٤. قال تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال ابن القيم:

وتأمل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابَهم وسؤالَهم. كيف تجدها كلها مشحونة بالأدب قائمة به!!

قال المسيح عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ ولم يقل: لم أقله. وفرقٌ بين الجوابين في حقيقة الأدب. ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره؛ فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ [المائدة: ١١٦]، ثم برَّأ نفسَه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه؛ فقال: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ثم أثنى على ربه، ووصفه بتفرده بعلم الغيوب كلها؛ فقال ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ثم نفى أن يكون قال لهم غيرَ ما أمره ربُّه به - وهو محض التوحيد - فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد وفاته لا اطلاع له عليهم، وأن الله عز وجل وحده هو المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم؛ فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ثم وصفه بأن شهادته سبحانه فوق كل شهادة وأعم؛ فقال: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، ثم قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]. وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام، أي: شأنُ السيد رحمةُ عبيده والإحسانُ إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدًا لغيرك، فإذا عذبتهم -مع كونهم عبيدك- فلولا أنهم عبيدُ سوء مِن أبخس العبيد، وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم له - لم تعذبهم؛ لأن قربةَ العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، فلماذا يعذب أرحمُ الراحمين، وأجودُ الأجودين، وأعظمُ المحسنين إحسانا عبيده؟ لولا فرطُ عتوِّهم، وإباؤهم عن طاعته، وكمالُ استحقاقهم للعذاب.

وقد تقدم قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. أي: هم عبادك، وأنت أعلم بسرهم وعلانيتهم، فإذا عذبتهم: عذبتهم على علمٍ منك بما تعذبهم عليه، فهم عبادك وأنت أعلم بما جَنَوه واكتسبوه. فليس في هذا استعطافٌ لهم، كما يظنه الجهال. ولا تفويضٌ إلى محض المشيئة والملكِ المجرَّدِ عن الحكمة، كما تظنه القدرية.

وإنما هو إقرارٌ واعترافٌ وثناءٌ عليه سبحانه بحكمته وعدله، وكمالِ علمه بحالهم، واستحقاقِهم للعذاب. ثم قال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. ولم يقل: الغفور الرحيم!! وهذا من أبلغ الأدب مع الله -تعالى- فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمرِ بهم إلى النار؛ فليس هو مقامُ استعطافٍ ولا شفاعة، بل مقامُ براءةٍ منهم. فلو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم؛ لأشعر باستعطافه ربَّه على أعدائه الذين قد اشتدَّ غضبُه عليهم، فالمقامُ مقامُ موافقةٍ للرب في غضبه على من غضِب الربُّ عليهم.

فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يُسأل بهما عطفُه ورحمتُه ومغفرتُه إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم. والمعنى: إن غفرت لهم؛ فمغفرتُك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجزٍ عن الانتقام منهم، ولا عن خفاءٍ عليك بمقدار جرائمهم، وهذا لأن العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته إليه. والكمال: هو مغفرة القادر العالم. وهو العزيز الحكيم. وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب.

رحمات الله عليك يابن القيم وعلينا وعلى والدينا وإخواننا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين أجمعين يارب العالمين.

۞ ۞ ۞

١٨٥. قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

قال ابن القيم:

والرضا بالله أصلُ الرضا عنه، والرضا عنه ثمرةُ الرضا به، وسرُّ المسألة: أنَّ الرضا به متعلقٌ بأسمائه وصفاته، والرضا عنه متعلقٌ بثوابه وجزائه.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الأَنْعَامِ

١٨٦ . قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

قال البغوي:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح اللهُ الخلقَ بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وختم الخلقَ بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

اللهم لك الحمد كله، أوله وآخره، سره وعلانيته.

لـكَ الحمـدُ حمدًا نستلذُّ بـه ذكرا ... وإن كنـتُ لا أحصـي ثناءً ولا شـكرا
لـكَ الحمدُ حمـدًا طيبًا يملأ السـما ... وأقطارَهـا والأرضَ والبـرَّ والبحـرا
لـكَ الحمدُ حمـدًا سـرمديًا مباركًا ... يقـلُّ مـدادُ البحرِ عـنْ كتبـهِ حصرا
لـكَ الحمـدُ تعظيمًا لوجهـكَ قائمًا ... يخصـكَ فى السـراءِ منـي وفي الضرا
لكَ الحمـدُ مقرونًـا بشـكركَ دائمًا ... لكَ الحمدُ فى الأولى لك الحمدُ فى الأخرى
لـكَ الحمـدُ موصـولًا بغيـرِ نهاية ... وأنـت إلهـى مـا أحـقَّ ومـا أحرى
لكَ الحمـدُ يا ذا الكبريـاءِ ومنْ يكنْ ... بحمـدكَ ذا شـكرٍ فقد أحرزَ الشـكرا
لـكَ الحمدُ حمـدًا لا يعـدُّ لحاصرٍ ... أيُحصي الحصى والنبتَ والرملَ والقطرا
لكَ الحمـدُ ما أولاكَ بالحمـدِ والثنا ... علـى نعـمٍ أتبعتهـا نعمًـا تتـرى
لـكَ الحمـدُ حمـدًا أنـتَ وفَّقتنا لهُ ... وعلَّمتنـا مـنْ حمـدكَ النظـمَ والنثرا
لـكَ الحمـدُ حمـدًا نبتغيهِ وسـيلة ... إليـكَ لتجديـدِ اللطائـفِ والبشـرى
لكَ الحمـدُ كـمْ قلدتنا مـنْ صنيعة ... وأبدلتنـا بالعسـرِ يـا سـيدى يسـرا

لـكَ الحمدُ كمْ مـنْ عثرة قـدْ أقلتنا ... ومـنْ زلـة ألبسـتنا معهـا سـترا
لكَ الحمدُ حمدًا فيه وردي ومشرعي ... إذا خابـتِ الآمـالُ فى السَّـنة الغبـرا
لكَ الحمدُ حمدًا ينسـخُ الفقرَ بالغنى ... إذا حـزتُ يا مـولاي بعـدَ الغنى فقرا

۞ ۞ ۞

١٨٧. قال تعالـى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

قال عبدالله التويجري:

أيها المبتلى، لا تيأس؛ فربك الله وحده كاشـف الضر، وهو على كل شـيء قدير. لا تيأس، وتأمَّلْ كتابَ ربك؛ فقد جاء فيه أنَّ:

طفـلًا تكلَّم في المهد، وعجوزًا عاقـرًا أنجبتْ، وأُلوفًا أماتهم اللهُ ثم أحياهم، وفئةً قليلةً غلبتْ فئةً كثيرة، وقمرًا انشـق، وسـجينًا صار وزيرًا، ونارًا غدتْ بردًا وسـلامًا علـى من فيها، وطفلًا يُقتل الأطفالُ خشـيةً منه، فيتربى عنـد زوجةِ القاتلِ المأفون!! ويتيمًا غدا سيد ولد آدم.

۞ ۞ ۞

١٨٨. قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٧].

يقول د.أحمد عبدالمنعم:

«الآيه دِي ماتِنْشِرِحشْ!! الآيه دِي تِنْعاش!!»

هذه الآية لا تُشرح، بل تُعاش.

۞ ۞ ۞

١٨٩. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢].

قال القرطبي:

سؤال إفضاحٍ لا إفصاح.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت ولا تفضحنا ولا تخزنا.

۞ ۞ ۞

١٩٠. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦].

قال عبدالله التويجري:

الناس قسمان: الأول أحياءٌ طائعون، والثاني غير ذلك.

۞ ۞ ۞

١٩١. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال قتادة:

بَغَتَ القومَ أمرُ اللهِ! وما أخذَ اللهُ قوما قطُّ إلا عند سكرتِهم وغِرتِهم ونعمتِهم؛ فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

۞ ۞ ۞

١٩٢. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال ابن القيم:

وقال بعض السلف: رُبَّ مستدرَجٍ بنعم اللهِ عليه، وهو لا يعلم، ورُبَّ مغرورٍ بسترِ اللهِ عليه، وهو لا يعلم، ورُبَّ مفتونٍ بثناء الناس عليه، وهو لا يعلم.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وعافنا واعف عنا.

۞ ۞ ۞

١٩٣. قال تعالى: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال القرطبي:

المُبْلِس: الباهتُ الحزينُ الآيسُ مِن الخير، الذي لا يُحير جوابا؛ لشدة ما نزل به من سوء الحال. ومن ذلك اُشتُق اسم إبليس، يقال: أبلس الرجلُ، أي: سكت.

۞ ۞ ۞

١٩٤. قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤].

قال الرازي:

والمقصودُ أنَّه عند اجتماع الأسباب الموجبةِ للخوف الشديد لا يرجعُ الإنسانُ إلا إلى الله تعالى، وهذا الرجوعُ يحصل ظاهرًا وباطنًا؛ لأنَّ الإنسانَ في هذه الحالة يعظمُ إخلاصُه في حضرة الله تعالى، وينقطعُ رجاؤه عن كلِّ ما سوى الله تعالى!!

وهو المراد من قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فبيَّن تعالى أنه إذا شهدتْ الفطرةُ السليمة والخِلقة الأصلية في هذه الحالة بأنه لا ملجأَ إلا إلى الله، ولا تعويلَ إلا على فضل الله، وجبَ أن يبقى هذا الإخلاصُ عند كل الأحوال والأوقات، لكنه ليس كذلك؛ فإنَّ الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة يحيلُ تلك السلامةَ إلى الأسباب الجسمانية، ويقدِمُ على الشرك.

ومن المفسرين من يقول: المقصود من هذه الآية الطعنُ في إلهية الأصنام والأوثان. وأنا أقول: التعلق بشيءٍ مما سوى الله في طريق العبودية يقرُبُ من أنْ يكون تعلقًا بالوثن؛ فإنَّ أهل التحقيق يسمونه بالشرك الخفي، ولفظُ الآية يدلُّ على أنه عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسانُ بأمور: أحدها: الدعاء، وثانيها: التضرع، وثالثها: الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾، ورابعها: التزام

الاشتغال بالشكر، وهو المراد من قوله: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ [يونس: ٢٢]. ثم بين تعالى أنه ينجيهم من تلك المخاوف، ومن سائر موجبات الخوف والكرب. ثم إنَّ ذلك الإنسانَ يُقدِمُ على الشرك، ونظيرُ هذه الآية قوله: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، وبالجملة فعادةُ أكثرِ الخلق ذلك، إذا شاهدوا الأمرَ الهائلَ أخلصوا، وإذا انتقلوا إلى الأمن والرفاهية أشركوا به. انتهى كلام الرازي عفا الله عنه.

۞ ۞ ۞

١٩٥. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

قال عبدالله التويجري:

مِن أعظم مقويات التوحيدِ والإيمانِ واليقينِ بالله: النظرُ والتفكُّر في السموات والأرض وما فيهما من آيات الله الكونية.

۞ ۞ ۞

١٩٦. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣].

قال الطاهر ابن عاشور:

وقد اشتمل قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ إلى قوله ﴿وَلُوطًا﴾ [الأنعام: ٨٦]. على أسماء ثمانية عشر منهم، وذكر أسماء سبعة آخرين في آيات أخرى وقد جمعها مَن قال:

حتمٌ على كل ذي التكليف معرفةٌ ... بأنبياءَ على التفصيل قد عُلموا
في «تلك حجتنا» منهم ثمانيةٌ ... من بعد عشْرٍ ويبقى سبعةٌ وهُمُ
إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذا ... ذو الكفلِ آدمُ بالمختار قد خُتموا

۞ ۞ ۞

١٩٧ . قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨].

قال أبو السعود:

لحبط عنهم – مع فضلِهم وعُلُو طبقاتِهم – ما كانوا يعملون من الأعمال المرضية الصالحة، فكيف بِمَن عَدَاهم؟ وهمْ همْ، وأعمالُهم أعمالُهم!

۞ ۞ ۞

١٩٨ . قال تعالى: ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢﴾ [الأنعام: ٩٢].

قال أبو حيان:

والصلاة أشرفُ العبادات بعد الإيمان بالله؛ ولذلك لم يُوقَع اسمُ الإيمان على شيءٍ من العبادات إلا عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي: صلاتكم. ولم يقعِ الكفرُ على شيءٍ من المعاصي إلا على تركها. روي: «من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر».

۞ ۞ ۞

١٩٩ . قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ٩٤].

قال عبدالله التويجري:

حين نتبعُ الجنازةَ ونسيرُ خلفَها أفهمُ هذه الآيةَ حقَّ فهمِها! وأرى ذاك المجيءَ الفرديَ رأيَ العين، ولكن أين من يتعظ؟ ونحن لا بد أنْ نجيءَ يومًا مثله.. فرادى بلا أهلٍ ولا ولدٍ! تاركين ما خولَنا اللهُ من متاع الدنيا وراءَ ظهورنا؛ بلا مالٍ ولا خدمٍ ولا متاعٍ!! قال الحسن البصري: يؤتى بابن آدمَ يومَ القيامة كأنه بَذَج[1]، فيقولُ الله ﷻ:

(١) البَذَج: هو ولدُ الضَّأن، أضعف ما يكون من الحملان.

أيـن ما جمعتَ؟ فيقولُ: يـا ربِّ، جمعتُه وتركتُه أوفرَ ما كان!! فيقول: فأين ما قدمتَ لنفسك؟ فلا يراه قدَّم شيئا، وتلا هذه الآية.

فالصدقـةُ التي نبذلها اليوم هي خيرٌ نقدِّمه لأنفسـنا غدًا: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]. ولَنِعم القومُ السُّعاةُ على الأرامل واليتامى والمساكين؛ يَحملون زادَنا إلى الآخرة. اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٢٠٠. قال تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩].

قال الرازي:

وتكون الحبَّاتُ متراكبةً بعضُها فوقَ بعض، ويحصلُ فوقَ السـنبلةِ أجسـامٌ دقيقةٌ حـادَّةٌ كأنَّهـا الإبر!! والمقصودُ مِن تخليقها أنْ تمنعَ الطيـورَ مِن التقاطِ تلك الحبَّاتِ المتراكبة.

سبحانك ما خلقتَ هذا باطلا فقنا عذاب النار.

۞ ۞ ۞

٢٠١. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال القرطبي:

قـال العلماء: حكمُهـا باقٍ في هذه الأمة علـى كل حال، فمتـى كان الكافرُ مَنَعةً، وخِيف أنْ يسُـبَّ الإسلامَ أو النبيَ ﷺ أو اللهَ ﷻ، فلا يحل لمسلمٍ أنْ يسبَّ صلبانَهم ولا دينهـم ولا كنائسـهم، ولا أن يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلـك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية.

۞ ۞ ۞

٢٠٢. قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قال يوسف العقل:

تنوعتِ الشهواتُ وأُشرِعتْ أبوابُها عبرَ التقنية الذكية؛ فالمؤمنُ الذي يفرُّ بدينه يهربُ من الفواحشِ الباطنةِ كما يهربُ مِن الفواحشِ الظاهرة.

وكثيرٌ من الناسِ يجتنبون الظواهرَ منها ويبتعدون عنها، لكنَّ البواطنَ قد تفوتُ عليهم، وهي بوابةٌ للظواهر، فالكلامُ والمراسلةُ والخلوةُ والصورُ ومقاطعُ الرذيلةِ والإعجابُ بين رجلٍ وامرأةٍ أجنبيةٍ عنه، كلُّ هذا مِن بواطنِ الفواحش، وهو بوابةٌ للفاحشة الظاهرة.

ولهذا نهى سبحانه عن القربِ من الزنى، وهذا يتضمنُ النهيَ عن مقدماتِه. قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ [الإسراء: ٣٢]. فعلينا جميعا أنْ نفِرَّ بديننا وألَّا نقربَ شيئا منها.

۞ ۞ ۞

٢٠٣. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال فيصل بن تركي:

الورقة... يُكتب عليها آياتٌ من القرآن فتكتسبُ من القداسة ما لا يكتسبه نظيرُها من جنسها! أفَترى القلبَ -محلُ نظرِ الرب- إذا امتلأ بالقرآن ومعانيه يكونُ صاحبُه كغيرِه من الناس؟! كلا والله!!

۞ ۞ ۞

٢٠٤. قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قال الطبري:

والحرج: أشدُّ الضيق، وهو الذي لا يُنفذ من شدة ضيقه، وهو ههنا: الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان؛ لرين الشرك عليه. وأصله من «الحرج»، والحرج جمع حَرَجَة، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها.

ثم أورد بسنده عن أبي الصلت الثقفي: أن عمر بن الخطاب -رحمة الله عليه- قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بنصب الراء. قال: وقرأ بعضُ مَن عنده مِن أصحاب رسول الله ﷺ: «ضيقا حرِجا». قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا، وليكن مدلجيا. قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرَجة؟ قال: «الحرجة» فينا، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلب المنافق، لا يصل إليه شيء من الخير.

اللهم اشرح صدورنا ويسر أمورنا واهدنا سبل السلام.

۞ ۞ ۞

٢٠٥. قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأنعام: ١٤١].

قال البقاعي:

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ هذا النهيُ يتضمنُ أفرادَ الإسراف، فيدخل فيه الإسرافُ في أكل الثمرةِ حتى لا يبقى شيءٌ منها للزكاة. ويدخل فيه: الإسرافُ في الصدقة حتى لا يُبقي لنفسه ولا لعياله شيئا. ويؤيده قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]. وقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

رحمة الله علينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا والبقاعي ومن نحب.

۞ ۞ ۞

٢٠٦. قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

قال البقاعي:

ولمَّا أخبر عن رحمتِه، نوَّه بعظيم سطوتِه؛ فلا يغترَّ أحدٌ بإمهاله في سوء أعماله وتحقيقِ ضلاله. وفي هذه الآية مِن شديد التهديدِ مع لطيفِ الاستعطاف ما هو مسبوكٌ على الحد الأقصى من البلاغة.

۞ ۞ ۞

٢٠٧. ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قال ابن عطية:

و﴿تَعَالَوْا۟﴾ معناه: أقبلوا؛ وأصله من «العلو».

وقال البقاعي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ أي: أقبِلوا إليَّ صاعدين من حضيضِ الجهلِ والتقليدِ وسوءِ المذهبِ إلى أوجِ العلم ومحاسنِ الأعمال.

۞ ۞ ۞

٢٠٨. قال تعالى في أواخر سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال النسفي:

ذكـر أولا تعقلون، ثم تذكرون، ثـم تتقون؛ لأنهم إذا عقلوا تفكَّـروا، ثم تذكَّروا، أي: اتعظوا فاتقوا المحارم.

اللهم ارحمنا ووالدينا والنسفي وابن سعدي والمسلمين.

❁ ❁ ❁

٢٠٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

قال الطاهر ابن عاشور:

ومـن لطائـف القـرآن: الاقتصـارُ في وصفِ سـريعِ العقـاب على مؤكـد واحد، وتعزيزُ وصـفِ الغفور الرحيـم بمؤكدات ثلاثة، وهـي: إنَّ، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظـي؛ لأن الرحيم يؤكد معنى الغفـور. ليطمئن أهلُ العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليستدعي أهلَ الإعراضِ والصدوف، إلى الإقلاع عما هم فيه.

اللهم اجز علماء التفسير خير ما جزيت عبادك الصالحين.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَعْرَافِ

٢١٠. قـال تعالـى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

قال البغوي:

وقـال قتادة: أتاهم مِن بين أيديهم فأخبرهم أنـه لا بعثَ ولا جنةَ ولا نار، وأتاهم مِـن خلفهـم مِن أمور الدنيا يزينها لهـم ويدعوهم إليها، وأتاهم عـن أيمانهم مِن قِبلِ حسـناتهم بَطَّأهم عنها، وأتاهم عن شـمائلهم زَيَّن لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليهـا. أتـاك يا ابنَ آدمَ مِن كلِّ وجـهٍ غيرَ أنه لَم يأتك مِن فوقك؛ لَم يسـتطع أن يحولَ بينك وبين رحمةِ الله.

اللهم رحمتك وسترك وعفوك.

۞ ۞ ۞

٢١١. قـال تعالـى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قال القرطبي:

وفي الآيـة دليلٌ على قبحِ كشـفِ العـورة، وأنَّ اللهَ أوجب عليهما السـتر، ولذلك ابتدرا إلى سترها.

۞ ۞ ۞

٢١٢. قـال تعالـى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قال الزجاج المتوفى عام ٣١١:

في هذه الآية دليلٌ على أنَّ أمرَ التكشـفِ، وإظهارَ السـوءَةِ قبيحٌ مِن لدُنْ آدم!! ألا تـرى أنه ذكرَ عِظمَ شـأنِها في المعصية، فقـال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]. وأنهما بادرا يستتران لقبح التكشف؟

۞ ۞ ۞

٢١٣. قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قال القرطبي:

أوقعهمـا في الهلاك. قال ابن عباس: غرَّهما باليمين، وكان آدمُ يظنُّ أنه لا يحلف أحدٌ بالله كاذبا، فغررهما بوسوسته وقَسَمِه لهما. كان بعض العلماء يقول: مَنْ خادعنا بالله خدعنا. وأنشد نفطويه:

إن الكريمَ إذا تشاءُ خدعتَه ... وتـرى اللئيـمَ مجرِّبـا لا يُخـدَعُ

۞ ۞ ۞

٢١٤. قـال تعالـى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال البقاعي:

وسَـمَّيا ذنبَهمـا ظلمًـا، كمـا هي عـادةُ الأكابـرِ في اسـتعظامِ الصغيـرِ منهم، ولم يُجـادلا كما فعـل إبليس، وفي ذلك إشـارةٌ إلى أنَّ المبـادرةَ إلى الإقـرارِ بالذنب مِن فِعال الأشـراف؛ لكونه مِـن معالي الأخلاق، وأنَّه لا مثيلَ لـه في اقتضاءِ العفو وإزالةِ الكـدر، وأنَّ الجدالَ مِن فِعال الأرذالِ، ومن مسـاوئ الأخلاق، وموجباتِ الغضب المقتضي للطرد.

اللهم اهدنا واهد بنا واهد لنا.

۞ ۞ ۞

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال القرطبي:

وسُئل بعضُ السلف عما ينبغي أنْ يقوله المذنب؟ فقال: يقول ما قاله أبواه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وما قاله موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

وماقاله يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

۞ ۞ ۞

٢١٥. قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال أبو حيان:

وقيل: سَعِدَ آدمُ بخمسة أشياء: اعترف بالمخالفة، وندم عليها، ولام نفسَه، وسارع إلى التوبة، ولم يقنط من الرحمة.

وشقي إبليسُ بخمسة أشياء: لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يلُم نفسَه، بل أضاف إلى ربه الغواية، وقنط من الرحمة.

اللهم رحمتك ورضاك وعفوك.

۞ ۞ ۞

٢١٦. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قال السيوطي في الإكليل:

أُستدل بهذه الآية أيضا على وجوب ستر العورة.

وقال الطاهر ابن عاشـور: وفي الآية إشارةٌ إلى أن الشيطان يهتمُّ بكشف سوأة ابن آدم؛ لأنه يسرُّه أنْ يراه في حالة سوء وفظاعة.

اللهم استرنا وارحمنا برحمتك.

۞ ۞ ۞

٢١٧. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قال الثعلبي:

وقـال الضحاك: إذا حَضَرَتِ الصلاةُ وأنتم عند المسـجد فصلُّوا فيه، ولا تقولن: أحبُّ أنْ أصلي في مسـجدي، وإذا لم يكن عند مسجد فليأت أيَّ مسجدٍ فليصلِّ فيه. وفي الآية أقوال أخرى...

اللهم اهد قلوبنا لطاعتك.

۞ ۞ ۞

٢١٨. قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ابن القيم:

وقـال ثابـت بن قـرة: راحة الجسـم في قلة الطعـام، وراحة الروح في قلـة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

۞ ۞ ۞

٢١٩. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ابن القيم:

الأدبُ هو الدِّينُ كله، فإنَّ ستر العورة من الأدب، والوضوءَ وغسلَ الجنابة من الأدب، والتطهُّرَ من الخبث من الأدب، حتى يقف بين يدي الله طاهرا؛ ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمَّل الرجلُ في صلاته؛ للوقوف بين يدي ربه. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: أَمَرَ اللهُ بقدرٍ زائدٍ على ستر العورة في الصلاة، وهو: أخذ الزينة؛ فقال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ فعلَّق الأمر بأخذ الزينة، لا بستر العورة؛ إيذانا بأنَّ العبدَ ينبغي له أنْ يلبسَ أزين ثيابه، وأجملَها في الصلاة.

وكان لبعض السلف حُلَّةٌ بمبلغٍ عظيمٍ من المال!! وكان يلبسها وقت الصلاة، ويقول: ربي أحقُّ مَن تجملتُ له في صلاتي. ومعلومٌ أنَّ الله سبحانه وتعالى يحبُّ أنْ يرى أثر نعمته على عبده؛ لاسيما إذا وقف بين يديه، فأحسنُ ما وقف بين يديه بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرا وباطنا. ومن الأدب: نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم المصلي: «أن يرفع بصره إلى السماء».

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: هذا من كمال أدبِ الصلاة: أن يقف العبد بين يدي ربه مطرِقًا، خافضًا طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق. قال: والجهمية - لمَّا لم يفقهوا هذا الأدب، ولا عرفوه - ظنوا أن هذا دليلٌ أنَّ الله ليس فوق سمواته على عرشه، كما أخبر به عن نفسه، واتفقت عليه رسله وجميع أهل السنة.

قال: وهذا من جهلهم، بل هذا دليلٌ لمن عقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم على نقيض قولهم؛ إذ من الأدب مع الملوك: أنَّ الواقفَ بين أيديهم يطرقُ إلى الأرض، ولا يرفع بصره إليهم، فما الظن بملك الملوك سبحانه؟

وسمعته يقول - في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع والسجود-: إنَّ القرآنَ هو أشرفُ الكلام، وهو كلام الله، وحالتا الركوع والسجود حالتا ذلٍّ وانخفاضٍ مِن

العبـد؛ فمـن الأدب مـع كلام الله: أن لا يُقرأ في هاتين الحالتيـن، ويكون حال القيام والانتصاب أولى به.

ومن الأدب مع الله: أن لا يسـتقبل بيته ولا يسـتدبره عند قضاء الحاجة، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث أبي أيوب وسلمان وأبي هريرة، وغيرهم ﭭ والصحيح: أن هذا الأدب: يعم الفضاء والبنيان. كما ذكرنا في غير هذا الموضع.

ومـن الأدب مع الله في الوقـوف بين يديه في الصلاة: وضع اليمنى على اليسـرى حال قيام القراءة، ففي الموطأ لمالك عن سـهل بن سـعد أنه من السـنة، وكان الناس يؤمـرون بـه، ولا ريـب أنه مـن أدب الوقوف بيـن يدي الملـوك والعظمـاء؛ فعظيم العظماء أحقُّ به.

ومنهـا: السـكون في الصـلاة، وهـو الـدوام الذي قـال الله تعالى فيـه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. قـال عبـد الله بـن المبـارك عن ابن لهيعـة: حدثني يزيد بن أبـي حبيـب: أن أبا الخيـر أخبره قال: سـألنا عقبة بن عامر عـن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ أهـم الذين يصلون دائما؟ قـال: لا، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه، ولا عن شماله ولا خلفه.

قلـت: هما أمـران: الـدوام عليهـا، والمداومة عليها؛ فهـذا الـدوام، والمداومة في قولـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]. وفسـر الدوام بسـكون الأطراف والطمأنينة.

وأدبه في استماع القراءة: أن يلقي السمع وهو شهيد، وأدبه في الركوع: أن يستوي، ويعظم الله تعالى، حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم منه، ويتضاءل ويتصاغر في نفسه، حتى يكون أقلَّ من الهباء!!

والمقصـود: أن الأدب مـع الله تبـارك وتعالى: هـو القيام بدينه، والتـأدب بآدابه ظاهرا وباطنا، ولا يسـتقيم لأحدٍ قطُّ الأدبُ مع الله إلا بثلاثة أشـياء: معرفتِه بأسمائه

وصفاته، ومعرفتِه بدينه وشـرعه وما يحبُّ وما يكره، ونفسٍ مستعدةٍ قابلةٍ لينةٍ متهيئةٍ لقبول الحق عِلمًا وعملًا وحالًا. والله المستعان.

اللهم أحسـن منقلبنا إليك واجز ابن تيمية وابن القيم وابن سـعدي ووالدينا ومن نحب خير الجزاء وأوفاه.

۞ ۞ ۞

٢٢٠. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ وَلَا تُسۡرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال الثعلبي:

قال مجاهد: الإسـراف ما قصـرتَ به عن حق الله. وقال: لـو أنفقتَ مثل أحدٍ في طاعة الله لم يكن سَرَفًا، ولو أنفقتَ درهمًا أو مُدًّا في معصية الله كان إسرافًا.

۞ ۞ ۞

٢٢١. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ وَلَا تُسۡرِفُوٓا۟ۚ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال البقاعي:

ولمـا أمرَ بكسـوة الظاهر بالثيـاب؛ لأن صحة الصلاة متوقفة عليها، أمر بكسـوة الباطن بالطعام والشراب؛ لتوقف القدرة عادة عليها.

۞ ۞ ۞

٢٢٢. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢].

قال الرازي:

وفيـه تنبيـهٌ للكفار على أنَّ الجنة مع عِظم محلِّها يوصلُ إليها بالعمل السـهل من غير تحمل الصعب. اللهم نسألك جنتك ورضاك ورحمتك.

۞ ۞ ۞

٢٢٣. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤].

قال أبو السعود عند تفسيره لها:

تبجُّحًا[١] بحالهم! وشماتةً بأصحاب النار! وتحسيرًا لهم! لا لمجرد الإخبار بحالهم، والاستخبار عن حال مخاطبيهم. ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٤]. حيث نلنا هذا المنال الجليل. ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الأعراف: ٤٤]. حذف المفعول من الفعل الثاني إسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد.

۞ ۞ ۞

٢٢٤. قال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

قال القرطبي:

يُروى أنَّ طاوسَ دخل على هشام بنِ عبدالملك، فقال له: اتق الله، واحذر يوم الأذان! فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فصعق هشام. فقال طاوس: هذا ذلُّ الصفة، فكيف ذلُّ المعاينة؟! اللهم رحمتك.

۞ ۞ ۞

٢٢٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال مطر الوراق:

استنجِزوا موعودَ اللهِ بطاعته؛ فإنه قضى أنَّ رحمتَه قريبٌ من المحسنين.

۞ ۞ ۞

٢٢٦. قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [الأعراف: ٦٩].

---

(١) جاء في مقاييس اللغة: يقال: بجح بالشيء: إذا فرح به.

قال عبدالله التويجري:

ذِكرُ آلاءِ الله يعني: ذِكرَ نِعَمِ الله في البدنِ والمال والبيت والذرية والأهل، وغيرها من النعم، وهذا الذِّكرُ للنعمِ يستوجبُ عبادةَ المنعِم سبحانه، وهنا يكون الفلاحُ الذي ينشده الناسُ اليوم وكل يوم.

۞ ۞ ۞

٢٢٧. قال تعالى عن شعيب عليه السلام أنه قال: ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [الأعراف: ٩٣].

قال الشنقيطي:

أنكر نبيُّ اللهِ شعيبٌ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الأسى، أي: الحزن، على الكفار إذا أهلكهم اللهُ بعد إبلاغِهم، وإقامةِ الحجة عليهم مع تماديهم في الكفر والطغيان لِجاجًا وعنادًا. وإنكارُه لذلك يدلُّ على أنه لا ينبغي.

وقد صرَّح تعالى بذلك، فنَهى نبيَّنا ﷺ عنه في قوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

۞ ۞ ۞

٢٢٨. قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧].

قال الزمخشري:

وعن الربيع بن خثيم، أن ابنته قالت له: ما لي أرى الناس ينامون، ولا أراك تنام؟ فقال: يا بنتاه، إن أباكِ يخافُ البيات!!

اللهم ارحمنا واغفر لنا واسترنا واعف عنا.

۞ ۞ ۞

٢٢٩. قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال ابن الجوزي:

ولقد رأينا مَن أفنى عمرَهُ في العِلمِ والجِدِّ، فلما قاربتْ سفينةُ عمرِهِ الساحلَ آثرَ المعاصي القِباح، وضُرِب على أذنه، حتى أُخِذَ على أسمجِ حال!

آهٍ لِمَرْكَبٍ لَمَّا وصلَ الشاطئَ غرِق!!

اللهم ثبتنا على دينك.

❁ ❁ ❁

٢٣٠. قال تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

قال ابن أبي العز الحنفي:

مَن لا يَقدِرُ على أنْ يَخلقَ يكونُ عاجزًا، والعاجزُ لا يَصلحُ أنْ يكونَ إلهًا.

❁ ❁ ❁

٢٣١. قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ [هود: ٥].

قال القرطبي:

قال قتادة: أخفى ما يكون العبدُ إذا حَنى ظهرَه، واستغشى ثوبَه، وأضمرَ في نفسِه همَّه.

قلت: حسبُك في تفسير هذه الآية أنْ تعيدَها أكثرَ مِن مرة.

❁ ❁ ❁

٢٣٢. قال تعالى في آخر قصة هلاك فرعون: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال العلامة ابن عاشور:

والخطابُ في قوله ﴿رَبِّكَ﴾ للنبي ﷺ، أُدمِج في ذِكرِ القصةِ؛ إشارةً إلى أنَّ الذي حقَّق نصْرَ موسى وأمَّتِه على عدوهم هو ربُّك، فسينصرُكَ وأمَّتَك على عدوكم؛ لأنه ذلك الربُّ الذي نصرَ المؤمنين السابقين، وتلك سُنَّتُه وصُنعُه.

✿✿✿

٢٣٣. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

قال ابن عيينة:

هي لكلِّ مفترٍ مِن هذه الأمة إلى يوم القيامة.

اللهم أحسن منقلبنا إليك

✿✿✿

٢٣٤. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

قال صِدِّيق حسن خان:

وفي الآية دليلٌ على أنَّ السيئاتِ بأسرِها صغيرِها وكبيرِها مشتركةٌ في التوبة، وأن الله تعالى يغفرها جميعًا بفضله ورحمته، وهذا من أعظم البشائر للمذنبين التائبين.

اللهم آمنا بك، وتبنا إليك.

✿✿✿

٢٣٥. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال ابن جزي:

افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق:

فرقة عَصَتْ يوم السبت بالصيد.

وفرقةٌ نهتْ عن ذلك واعتزلت القوم.

وفرقةٌ سكتتْ واعتزلت، فلم تنه ولم تعص.

وأن هـذه الفرقة الأخيرة لمَّـا رأتْ مُهاجرةَ الناهيةِ وطغيـانَ العاصيةِ قالوا للفرقة الناهية: لِمَ تعظون قوما يريدُ اللهُ أن يهلكَهم أو يعذبَهم، فقالت الناهية: ننهاهم معذرةً إلى الله، ولعلهم يتقون.

فهلكتِ الفرقةُ العاصية، ونجتِ الناهيةُ، واختُلفَ في الثالثةِ هل هلكتْ لسكوتها، أو نَجتْ لاعتزالها وتركها العصيان.

۞ ۞ ۞

٢٣٦. قال تعالى عن الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقـال عن الذين حُملـوا التوراة ثم لم يحملوهـا: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥].

قال أحمد عبدالمنعم:

يجد المتأمِّل في تشـبيهات القرآن أنَّ أشدَّها في الوصف تلك التي شبَّهت الإنسان بالحيوانات كالكلب والحمار.

ثم يُفاجأ بأنها جاءت في سياق ذمِّ الإعراض عن الوحي والانسلاخ منه، والتحذيرِ من هجران فهمه والعمل به.

وكأنَّ الإنسان يفقد إنسانيتَه ببُعده عن الوحي!!

۞ ۞ ۞

٢٣٧. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال أحمد عبدالمنعم:

واعلم أنَّ المناطقَ المُظلمةَ في حياتك وفي نفسك هي مناطق لم تشرقْ عليها الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العلى، فأنت تحتاجُ إلى كلِّ اسمٍ من أسمائه ﷻ.

انظر إلى حياةِ إنسانٍ غاب عنه اسمُ اللهِ: اللطيفُ والوكيلُ والرزاقُ والكريمُ والقهارُ والجبار، كيف يعيش وكيف يحيا؟!

❁ ❁ ❁

٢٣٨. قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢].

قال القرطبي:

قال سفيان الثوري: نسبغُ عليهم النعمَ، وننسيهم الشكر. وقال الحسن: كم مستدرَجٍ بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه!! وقال أبو روق: كلما أحدثوا خطيئةً جدَّدنا لهم نعمةً، وأنسيناهم الاستغفار.

اللهم عفوك وغفرانك.

❁ ❁ ❁

٢٣٩. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢].

قال الضحاك: كلما جدَّدوا لنا معصية جددنا لهم نعمة.

وقيل لذي النون: ما أقصى ما يُخدع به العبد؟

قال: بالألطاف والكرامات؛ لذلك قال ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ نسبغُ عليهم النعم، وننسيهم الشكر.

وأنشدوا:

أحسنتَ ظنَّك بالأيامِ إذْ حسُنتْ ... ولم تَخَفْ سوءَ ما يأتي به القَدرُ
وسالمتْك الليالي فاغتررتَ بها ... وعند صفو الليالي يحدثُ الكدرُ

۞ ۞ ۞

٢٤٠. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قال القرطبي:

وقد حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّلَ لك الخطايا؟

قال: أجاهده.

قال: فإن عاد؟

قال: أجاهده.

قال: فإن عاد؟

قال: أجاهده.

قال: هذا يطول!! أرأيتَ لو مررتَ بغنم فنبَحَك كلبُها ومَنَعك من العبور، ما تصنع؟

قال: أكابدُه وأردُّه جهدي.

قال: هذا يطول عليك، ولكن استغثْ بصاحبِ الغنمِ يكُفُّه عنك.

۞ ۞ ۞

٢٤١. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قال أبو السعود:

وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويلٌ لأمر الشيطان، وتنبيهٌ على أنه مِن الغوائل الصعبة التي لا يُتخلَّصُ من مضرتها، إلا بالالتجاء إلى حَرمِ عصمتِه ﷻ. اللهم أعذنا من الشيطان الرجيم.

❁ ❁ ❁

٢٤٢. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال ابن القيم:

والذكر: هو التخلُّصُ مِن الغفلة والنسيان.

والفرقُ بين الغفلة والنسيان:

أنَّ الغفلةَ تركٌ باختيار الغافل، والنسيانُ تركٌ بغير اختياره؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ ولم يقل: ولا تكن من الناسين؛ فإنَّ النسيانَ لا يدخلُ تحت التكليف، فلا يُنهى عنه.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَنفَالِ

٢٤٣. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١].

قال ابن العربي:

وهـذه الوصيـةُ هي العمـدةُ التي يكونُ معهـا النصـر، ويظهرُ بها الحق، ويسـلَمُ معها القلب، وتسـتمرُّ معها على الاسـتقامةِ الجوارحُ؛ وذلك بـأن يكون عملُ المرء كلُّـه بالطاعـة في امتثال الأمر واجتنـابِ النهي؛ فإنمـا يقاتلُ المسـلمون بأعمالهم لا بأعدادهم، وباعتقادهم لا بأمدادهم.

فلقد فتحَ اللهُ الفتوحَ على قومٍ ما كانت حِليةُ سيوفِهم إلا العلابي [الجلود قبل الدبغ].
اللهم آمنا بك فاستعملنا في طاعتك.

۞ ۞ ۞

٢٤٤. قـال تعالى في سـورة الأنفـال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٤].

قال أبو حيان:

لمَّـا تقدمتْ للمؤمنين ثلاثُ صفاتٍ: قلبيةٍ وبدنيةٍ وماليةٍ؛ ترتبَّ عليها ثلاثةُ أشـياء: فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات. والبدنية بالغفران. وقوبلت المالية بالرزق الكريم.

۞ ۞ ۞

٢٤٥. قـال تعالـى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن كثير:

قوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي: مِن حدثٍ أصغر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر.

وقولـه: ﴿وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: مِن وسوسـةٍ أو خاطرٍ سـيئ، وهو تطهير الباطن.

وقوله: ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن.

وقوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ وهو شجاعة الظاهر.

❁ ❁ ❁

٢٤٦. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

قال ابن كثير:

هذا بشارةٌ أخرى، مع ما حصل من النصر، فإنه أعلمهم بأنه مُضْعِفُ كيدَ الكافرين فيما يُستقبل، مُصغِّرٌ أمرَهم، وأنه في تبارٍ ودمـارٍ! وقد وُجد المُخبَرُ على وفق الخَبر، فصار معجزةً للنبي ﷺ، ولله الحمد والمنة.

❁ ❁ ❁

٢٤٧. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

قال ابن سعدي:

ومَن كان اللهُ معه فهو المنصورُ، وإنْ كان ضعيفًا قليلًا عدَدُه.

وهـذه المعيـةُ التي أخبر اللهُ أنـه يؤيدُ بها المؤمنين، تكونُ بحسـب ما قاموا به مِن أعمال الإيمان.

فـإذا أديـل العدو علـى المؤمنين في بعض الأوقـات، فليس ذلـك إلا تفريطًا مِن المؤمنيـن، وعدمَ قيامٍ بواجبِ الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمرَ اللهُ به مِن كل

وجه، لَما انهزمتْ لهم رايةٌ انهزامًا مستقرًا، ولا أُدِيل عليهم عدوهم أبدا.

۞ ۞ ۞

٢٤٨. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

قال الطبري:

قال قتادة: كان هذا الحيُّ من العرب أذلَّ الناسِ ذلًا، وأشقاه عيشًا، وأجوعَه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينَه ضلالا. مكعومين على رأسِ حَجَرٍ بين الأسدين: فارسَ والروم. ولا واللهِ ما في بلادهم يومئذٍ مِن شيءٍ يُحسدَون عليه!! مَن عاش منهم عاش شقيًا. ومَن مات منهم رُدِّي في النار. يُؤكَلون ولا يَأكُلون!! واللهِ ما نعلمُ قبيلًا مِن حاضرِ أهلِ الأرض يومئذٍ كانوا أشرَّ منهم منزلًا، حتى جاء الله بالإسلام، فمكَّن به في البلاد، ووسَّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس. فبالإسلام أعطى اللهُ ما رأيتم؛ فاشكروا اللهَ على نعمه، فإنَّ ربَّكم مُنعِمٌ يحبُّ الشكر، وأهلُ الشكرِ في مزيدٍ من الله تبارك وتعالى.

اللهم فلك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، والأمن والأمان، والخيرات الحسان.

۞ ۞ ۞

٢٤٩. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال ابن القيم:

قال مالك للشافعي رضي الله عنهما في أول ما لقيه: إني أرى اللهَ قد ألقى على قلبك نورا؛ فلا تطفئه بظلمة المعصية.

۞ ۞ ۞

٢٥٠. قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قال البقاعي:

فالنافذُ إنما هو مكرُه، والعالي إنما هو نصرُه.

۞ ۞ ۞

٢٥١. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال ابن عطية:

قال أبو موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهم: إن الله جعل من عذاب الدنيا أمنتين: كونُ الرسول ﷺ مع الناس، والاستغفار، فارتفعت الواحدة وبقي الاستغفار إلى يوم القيامة.

وقال القرطبي:

والاستغفار وإنْ وقع من الفجّار، يُدفع به ضرب من الشرور والأضرار.

اللهم غفرانك ورضوانك

۞ ۞ ۞

٢٥٢. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال المفسرون: المكاءُ الصفير. والتصدية التصفيق.

وقيل: المُكاء ضَرْبٌ بالأيدي، والتصديةُ صياح.

وهذا الصفيرُ قد يكون بالفم. وقد يكون بالأصابع والكفِّ في الفم.

قال ابن عطية: ومَكَتْ استُ الدابة إذا صفرت، يقال: ولا تمكو إلا استٌ مكشوفة، ومن هذا قيل للاست: مكوة.

قـال القرطبـي: فيـه ردٌّ على الجهَّـال مِـن الصوفية الذيـن يرقصـون ويصفقون ويصعقـون. وذلـك كلُّه منكَرٌ يتنزهُ عن مثلِه العقلاءُ، ويتشـبه فاعلُه بالمشـركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت.

وقـال البقاعـي: فقبَّح اللهُ قوما ادَّعـوا أنهم أعرضوا عن الدنيا ثـم اتخذوا الطبول والغناء والتصدية شعارَهم، ثم ضربوا به حتى فعلوه في المساجد!!

وزادوا على فعل الجاهلية الرقصَ الذي ابتدعه قومُ السـامري لمَّا عبدوا العجل، فأخذوا أنواعا من أفعال الكفرة وجعلوها عادتهم وشـعارَهم وديانَتهم، فلقد انتهكوا حرماتِ الشريعة وبدَّلوها واستهانوا بها واسترذلوها.

✿✿✿

٢٥٣. قـال تعالـى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

قال الثعلبي:

قـال يحيى بن معاذ: إنِّـي لأرجو أنَّ توحيدا لم يَعجزْ عن هـدمِ ما قبْلَه مِن كفر لا يعجزُ عن هدمِ ما بعده من ذنب.

اللهم اغفر لنا وللثعلبي وليحيى بن معاذ.

✿✿✿

٢٥٤. قـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

قال قتادة:

افترض اللهُ ﷻ ذِكْرَه على عبادِه، أشغلَ ما يكونون عندَ الضِّرابِ بالسيوف!!

لا إله إلا الله والله أكبر.

✿✿✿

٢٥٥. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

قال القاسمي:

وفي الآية إشعارٌ بأن على العبد ألَّا يفتر عن ذكر ربه، أشغلَ ما يكونُ قلبا، وأكثرَ ما يكون هَمَّا، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل إليه بكليته، فارغَ البال، واثقًا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

❁ ❁ ❁

٢٥٦. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

قال أبوجهل:

لا نرجع حتى نأتي بدرًا، فننحر بها الجُزُر، ونسقي بها الخمر، وتعزف علينا فيه القيان، وتسمع بنا العرب.

قال القاسمي:

فذلك بطرُهم ورئاؤهم الناسَ بإطعامهم، فوافوها، فسُقوا كؤوسَ المنايا مكانَ الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان.

العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

❁ ❁ ❁

٢٥٧. قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قال مبارك بن سعيد:

أتيتُ الأعمش، فدَقَقْتُ عليه بابَه، فخرج إليَّ فشبَّك أصابعَه في أصابعي، ثم قال

لـي: يا مبارك، أتيتُ الشـعبي فخرج إلي فشـبَّكَ أصابعَه في أصابعـي كما فعلتُ بك. ثم قال لي:

إنَّ المودةَ بين كرامِ الناسِ أشدُّ شيءٍ اتصالا، وأبطأُ شيءٍ انقطاعا، ومثلُ ذلك مثلُ الكوزِ مِن الفضة؛ بطيءِ الانكسـار، سـريعِ الانجبار. وإنَّ مثلَ المودةِ بين لئامِ الناس مثلُ الكوزِ مِن الفخار؛ سريعِ الانكسارِ، بطيءِ الانجبار.

اللهم أصلح قلوبنا وأعمالنا وأخلاقنا.

۞ ۞ ۞

٢٥٨. قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قال د. خالد الجابر:

من أهم الانفعالات النفسـية في الإسـلام سـلامة الصدر؛ بأن يكون خاطرك طيبا على الناس، فلا تكن قِدرا مغليا، ولا مِرْجلا يفور على الآخرين.

۞ ۞ ۞

٢٥٩. قـال تعالـى: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣].

روى ابن جرير بإسـناده عن عبدة بن أبي لبابة أنه لقي مجاهدًا فأخذ مجاهد بيده وقـال: إذا تراءى المتحابَّان في الله، فأخذ أحدهمـا بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتَّت خطاياهما كما يتحاتُّ ورق الشجر.

فقال عبدة: إنَّ هذا ليسير!

قـال مجاهـد: لا تقـل ذلـك، فـإن الله يقـول: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾.

قال عبدة: فعرفتُ أنه أفقه مني.

۞ ۞ ۞

٢٦٠. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قال ابن القيم:

الكفايةُ والحسْبُ تكون بقدر الإيمان؛ فالله حسبُك وحسبُ أتباعِك، أي: كافيك وكافيهم؛ فكفايته لهم بحسب اتباعِهم لرسوله، وانقيادِهم له، وطاعتِهم له؛ فما نقصَ مِن الإيمان عاد بنقصان ذلك كله؛ ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ التَّوْبَةِ

٢٦١. قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥].

قال الآلوسي:

﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ منها:

وقعةُ بدر، التي ظهرت بها شمسُ الإسلام، ووقعةُ قريظة، والنضير، والحديبية.

وأنهاها بعضُهم إلى ثمانين.

وروي أنَّ المتوكلَ اشتكى شكايةً شديدةً؛ فنذر أنْ يتصدَّقَ إنْ شفاه اللهُ تعالى بمالٍ كثير. فلما شُفي سألَ العلماءَ عن حدِّ الكثير؟

فاختلفت أقوالهم، فأشير إليه أنْ يسألَ أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم رضي الله تعالى عنهم -وقد كان حبسه في داره- فأمرَ أنْ يُكتب إليه.

فكتبَ رضي الله تعالى عنه: يتصدَّقُ بثمانين درهما. ثم سألوه عن العلة، فقرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ وقال: عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين.

اللهم يا ناصر نبيه في حنين انصرنا وانصر إخواننا المسلمين في كل مكان.

٭٭٭

٢٦٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

قال ابن كثير:

وإنما كانت الأشهرُ المحرَّمة أربعة، ثلاثةٌ سَردٌ وواحدٌ فردٌ؛ لأجل أداءِ مناسك الحج والعمرة.

فحُرِّم قبل شهرِ الحجِ شهرٌ، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحُرِّم شهرُ ذي الحجة؛ لأنهم يوقعون فيه الحجَّ ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحُرِّم بعده شهرٌ آخر، وهو المحرَّم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادِهم آمنين، وحُرِّم رجب في وسط الحول؛ لأجل زيارةِ البيت والاعتمارِ به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا.

۞ ۞ ۞

٢٦٣. قال تعالى: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال القاضي ابن العربي المالكي:

المسألة الرابعة: وهي عظمى في الفقه من قوله تعالى ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهو خرجَ بنفسه، فارًّا عن الكافرين بإلجائهم له إلى ذلك حتى فعله؛ فنسبَ الفعلَ إليهم، ورتَّبَ الحكم فيه عليهم، وذمَّهم عليه، وتوعَّدهم؛ فلهذا يُقتلُ المكرِهُ على القتل، ويضمنُ المالَ المكرِهُ على إتلاف المال؛ لإلجائه القاتلَ والمتلِفَ إلى القتل والإتلاف، وكذلك شهودُ الزنا المزوِّرون باتفاق من المذهب، وشهودُ القصاص إذا شهدوا بالقتل باطلًا باختلافٍ بين علمائنا.

والمسألةُ عسيرة المأخذ، وقد حققناها في مسائل الخلاف.

وجملة الأمر: أنَّ نسبةَ الفعل إلى المكرِه لا خلافَ فيه، وكذلك تعلُّقُ الإثمِ به مع القصد إليه لا خلاف فيه.

فأما ما يترتبُ عليه من حكمٍ فإنَّ ذلك يختلفُ بحسب اختلاف المحال والأسباب، حسبما تقتضيه الأدلة؛ فلينظر هنالك.

۞ ۞ ۞

٢٦٤. قال تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

أورد الـرازي -في تفسـيره- اثني عشـر وجهًا في الاسـتدلال من هـذه الآية على فضيلة أبي بكر الصديق ﵁، ثم قال:

واعلم أنَ الروافضَ احتجوا بهذه الآية، وبهذه الواقعة على الطعن في أبي بكر، مِن وجوهٍ ضعيفةٍ حقيرة، جاريةٍ مَجرى إخفاءِ الشمس بكفٍّ مِن الطين!!

اللهم ارض عن أبي بكر وسائر الصحابة ومن اهتدى بهديهم.

۞۞۞

٢٦٥. قـال تعالـى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

قال الرازي:

وهذا يدلُّ على أنَّ الأيمانَ الكاذبةَ توجبُ الهلاك.

اللهم اهدنا ويسر الهدى لنا.

۞۞۞

٢٦٦. قال تعالى ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

قال الزمخشري:

فإن قلتَ: كيف خُطَّ في المصحف: «ولا اوضعوا» بزيادة ألف؟

قلـتُ: كانـت الفتحةُ تكتبُ ألفًا قبلَ الخـطِّ العربي، والخطُّ العربـيُ اُخترِعَ قريبًا مـن نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألِفِ أثرٌ في الطبـاع، فكتبوا صورةَ الهمزةِ ألفًا، وفتحتَها ألفًا أخرى، ونحو: «او لا اذبحنه». انتهى كلام الزمخشري.

قلـتُ: والآيـة في المصاحـف المطبوعـة اليـوم بدون ألـف ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾. لكن الفائدةَ تجيبُ عن التساؤلِ الواردِ في زيادة الألف في قوله ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١].

۞۞۞

٢٦٧. قال تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال ابن القيم:

مَن عرَف اللهَ أحبَّه ولا بد، ومَن أحبه انقشعتْ عنه سحائبُ الظلمات، وانكشفتْ عن قلبه الهمومُ والغمومُ والأحزان، وعمَرَ قلبَه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفودُ التهاني والبشائر من كل جانب؛ فإنه لا حزن مع الله أبدًا، ولهذا قال تعالى حكاية عن نبيه ﷺ أنه قال لصاحبه أبي بكر: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾. فدل على أنه لا حُزن مع الله، وأنَّ مَن كان الله معه فما له وللحزن؟ وإنما الحزنُ كلُّ الحزنِ لمن فاته الله! فمن حَصَلَ اللهُ له فعلى أي شيء يحزن؟ ومَن فاته اللهُ فبأي شيء يفرح؟

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل المقرب إلى حبك.

❁ ❁ ❁

٢٦٨. قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال الثعلبي:

قال الشعبي: لقد عاتبَ اللهُ في هذه الآية، أهلَ الأرضِ جميعا غيرَ أبي بكر رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

٢٦٩. قال تعالى في المنافقين: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [التوبة: ٥٥].

قال البغوي:

قيل: يعذبهم بالتَّعب في جمعه، والوجَلِ في حفظِه، والكُرهِ في إنفاقِه، والحسرةِ على تخليفِه عند مَن لا يحمدُه، ثم يقدُمُ على مَلِكٍ لا يعذرُه.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

٢٧٠. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

قال ابن كثير:

فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبًا عظيمًا وسرًّا شريفًا؛ حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله، وجعل التوكل على الله وحده، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول وامتثال أوامره، وترك زواجره، وتصديق أخباره، والاقتفاء بآثاره.

وقال ابن القيم:

تأمل كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله، وجعل الحسْب له وحده، فلم يقل: وقالوا: حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ ولم يقل: وإلى رسوله، بل جعل الرغبة إليه وحده، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود لله وحده، والنذر والحلف لا يكون إلا لله سبحانه.

قلتُ:

هذه الآية فيها دلالة واضحة على وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة لا شريك له. وفيها رد على غلاة المبتدعة أصحاب الغلو والشرك.

۞ ۞ ۞

٢٧١. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قال القرطبي:

هذه الآيةُ أصلٌ في سقوطِ التكليف عن العاجز؛ فكلُّ مَن عجز عن شيءٍ سقط عنه؛ فتارةً إلى بدَلٍ هو فعل، وتارةً إلى بدلٍ هو غُرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال.

اللهم فأنزل شآبيب رحمتك علينا وعلى والدينا والقرطبي.

۞ ۞ ۞

٢٧٢. قال تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: ٩١].

قال الشهاب الخفاجي:

الإحسان: النصحُ لله والرسول. والإثمُ المنفيُ إثمُ التخلُّف، فيكونُ تأكيدًا لِما قبله بعينه على أبلغِ وجهٍ، وألطفِ سبك. وهو مِن بليغ الكلام؛ لأنَّ معناه: لا سبيلَ لعاتبٍ عليه، أي: لا يَمُرُّ به العاتبُ، ولا يجوزُ في أرضه، فما أبعدَ العتاب عنه!! فتفطَّنْ للبلاغة القرآنية؛ كما قيل:

سُقيًا لأيامنا التي سلفتْ ... إذ لا يَمُرُّ العذولُ في بلدي

۞ ۞ ۞

٢٧٣. قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

قال ابن سعدي أسعده الله في الآخرة:

ومن مغفرته سبحانه: أنَّ المسرفين على أنفسِهم الذين قطَّعوا أعمارَهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا -ولو قبيل موتهم بأقل القليل- فإنَّه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم.

فهـذه الآيةُ دلَّت علـى أنَّ المخلِّطَ المعترفَ النادمَ الذي لم يتب توبةً نصوحًا، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب.

وأما المخلِّطُ الذي لم يعترف ولم يندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرًا على الذنوب، فإنه يُخاف عليه أشدَّ الخوف.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

۞ ۞ ۞

٢٧٤. قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

قال ابن سعدي:

وإذا أردتَ أن تعـرف مقـدار الصفقة، فانظر إلى المشـتري من هو؟ وهو الله ﷻ، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان، وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشـرف الرسل، وبأي كتاب رُقِم، وهي كتب الله الكبار المنزَّلة على أفضل الخلق.

۞ ۞ ۞

٢٧٥. قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

قال الطيبي: هذا بيعُ سَلَم.

۞ ۞ ۞

٢٧٦. قـال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال برهان الدين البقاعي:

وسمَّاها ساعةً؛ تهوينا لأوقات الكروب، وتشجيعًا على مُواقعةِ المكاره؛ فإنَّ أمدَها يسير، وأجرَها عظيمٌ خطير.

۞ ۞ ۞

٢٧٧. قال تعالى في شأن غزوة تبوك: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال القرطبي:

وكذلك سنةُ الحقِّ مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب، ووطنوا أنفسهم على الهلاك، أمطرَ عليهم سحائبَ الجود فأحيا قلوبهم.

وينشد:

منك أرجو ولستُ أعرف ربا ... يُرتجى منه بعض ما منك أرجو

وإذا اشتدتِ الشدائدُ في الأرضِ ... على الخلق فاستغاثوا وعجُّوا

وابتليتَ العباد بالخوف والجوعِ ... وصروا على الذنوب ولجوا

لم يكن لي سواك ربي ملاذٌ ... فتيقنتُ أنني بك أنجو

اللهم أنج المستضعفين من المسلمين.

۞ ۞ ۞

٢٧٨. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨].

قال ابن عطية:

وإنما عظُمَ ذنبُهم واستحقُّوا عليه ذلك؛ لأنَّ الشرعَ يطلبُهم مِن الجِدِّ فيه بحسب منازلِهم منه وتقدمِهم فيه، إذ هم أسوةٌ وحجةٌ للمنافقين والطاعنين!!

إذ كان كعبٌ مِن أهل العقبة، وصاحباه مِن أهل بدر!!

وفي هذا ما يقتضي أنَّ الرجلَ العالمَ والمقتدَى به أقلُّ عذرًا في السقوط مِن سواه!!

وكتب الأوزاعي رحمه الله إلى المنصور أبي جعفر في آخر رسالة: «واعلم أنَّ قرابتَك مِن رسولِ الله ﷺ لن تزيد حقَّ اللهِ عليك إلا عظمًا، ولا طاعتَه إلا وجوبًا، ولا الناسَ فيما خالف ذلك منك إلا إنكارًا، والسلام».

ولقد أحسن القاضي التنوخي في قوله: والعيبُ يعلَقُ بالكبيرِ كبيرُ!

اللهم آمنا بك وبكتابك ورسولك ﷺ فاغفر لنا ولوالدينا وأزواجنا وذرياتنا والثلاثة الذين خلفوا وابن عطية وأبي جعفر المنصور والأوزاعي والتنوخي ومن له حق علينا.

❁ ❁ ❁

٢٧٩. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال عبدالله التويجري:

أيها الأبناء أيتها البنات، الصدقُ مع الأب شجاعة، والشجاعةُ صفة محمودة على كل حال، وفي الصدق نجاةٌ من الكروب والويلات مهما كانت النتائج. والكذبُ خيانةٌ وليس ذكاءً ولا ذهانة؛ فأبوك حين يسألك فقد ائتمنك على الجواب، فلا تخنه بالكذب عليه؛ فضرر الكذب عليك عائدٌ لا محالة، ولا يكذبُ في أخباره إلا الجبان، فعليك بالصدق وكن مع الصادقين. وفقك الله وسددك.

❁ ❁ ❁

٢٨٠. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال القرطبي:

هذا الأمرُ بالكونِ مع أهلِ الصدق حسنٌ بعد قصة الثلاثة؛ حين نفعهم الصدقُ وذهب بهم عن منازل المنافقين.

قال مطرف:

سمعت مالك بن أنس يقول: قلَّما كان رجلٌ صادقًا لا يكذب إلا مُتِّع بعقله، ولم يصبه ما يصيب غيرَه من الهرم والخرف.

اللهم اجعلنا من المتقين الصادقين.

۞ ۞ ۞

٢٨١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال عبدالله التويجري:

الكذب بوابة الرذائل، ومن أراد حماية أبنائه عن كل رذيلة فليغرس في نفوسهم الصدق، ويكفيك أن تعلم أنَّ الإيمانَ بالله كله صدق، والشركَ بالله كله كذب.

۞ ۞ ۞

٢٨٢. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾ [التوبة: ١٢٠].

قال ابن بلقاسم:

الألمُ بكل أشكاله، والتعبُ بكل أنواعه، والمرضُ بكل صنوفه، والمكدِّراتُ والمنغصاتُ والمزعجاتُ، وكلُّ درجات الألم، كلُّ فقدانٍ لحالة الراحة: دخولٌ في منطقة التكفير والتطهير وتساقط الذنوب ومحو الخطايا.

۞ ۞ ۞

٢٨٣. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال السعدي:

وفي هذه الآية أيضًا دليلٌ وإرشـادٌ وتنبيهٌ لطيفٌ لفائدةٍ مهمةٍ، وهي: أنَّ المسلمين ينبغي لهم أنْ يُعِدُّوا الكل مصلحةٍ مِن مصالحهم العامةِ مَن يقوم بها، ويوفِّرُ وقتَه عليها، ويجتهدُ فيها، ولا يلتفتُ إلى غيرها؛ لتقومَ مصالحُهم، وتتمَّ منافعُهم، ولتكونَ وجهةَ جميعِهم، ونهايةَ ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو:

قيامُ مصلحةِ دينِهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرقُ وتعددت المشـاربُ؛ فالأعمالُ متباينة، والقصدُ واحد. وهذه مِن الحكمة العامَّةِ النافعةِ في جميع الأمور.

اللهم فأنزل رحماتك على ابن سعدي وأدخله جناتك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ يُونُسَ

٢٨٤. قال تعال: ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤].

قال ابن سعدي:

فالقـادرُ على ابتداءِ الخلق قادرٌ على إعادته، والذي يرى ابتداءَه بالخلق، ثم ينكرُ إعادتَـه للخلق، فهـو فاقدُ العقلِ منكرٌ لأحدِ المِثلَين مع إثبـاتِ ما هو أولى منه، فهذا دليلٌ عقليٌ واضحٌ على المعاد.

۞ ۞ ۞

٢٨٥. قـال الحـق تعالـى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

قال العلماء:

هـذا فيه دلالةٌ علـى أنَّ اللهَ تعالى هو المحمودُ أبدا، المعبـودُ على طول المدى؛ ولهذا حمدَ نفسَـه عنـد ابتداء خلقه واسـتمراره فقـال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: ١]، وفي ابتداء كتابه فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وعنـد ابتـداء تنزيلـه فقـال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]. والخلاصة كما قال: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]

فالحمـدلله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السـموات ومـلء الأرض وما بينهما وملء ماشئت من شيء بعدُ.

۞ ۞ ۞

٢٨٦. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

قال الآلوسي:

وفي الآية ذمٌّ لمن يترك الدعاءَ في الرخاء ويهرعُ إليه في الشدة. واللائقُ بحال الكامل: التضرعُ إلى مولاه في السراء والضراء؛ فإنَّ ذلك أرجى للإجابة؛ ففي الحديث: «تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٢٨٧. قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

قال عبدالله التويجري:

المعضلةُ الكبرى والعقدةُ العظمى لمشركي قريش وكلِّ الزنادقةِ من بعدهم إلى اليوم: عدمُ الإيمانِ باليومِ الآخر.

۞ ۞ ۞

٢٨٨. قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

قال القرطبي:

وهذه غاية الجهالة منهم، حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال.

۞ ۞ ۞

٢٨٩. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

قال ناصر الدين أحمد بن المنير:

وفي تعقيب الزيادةِ بهذه الجملة ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ مصداقٌ لصحةِ تفسيرِ الزيادةِ بالرؤية الكريمة؛ فإنَّ فيه تنبيها على إكرام وجوهِهم بالنظر إلى وجهِ الله تعالى، فجديرٌ بهم أنْ لا يرهقَ وجوهَهم قترُ البعد، ولا ذلةُ الحجاب، عكس المحرومين المحجوبين، فإنَّ وجوهَهم مرهقةٌ بقتر الطردِ وذلةِ البعد.

اللهم اجعلنا من حزبك المتقين وعبادك المحسنين.

۞ ۞ ۞

٢٩٠. قال تعالى: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [يونس: ٣١].

قال القرطبي:

أي النبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والسنبلة من الحبة، والطير من البيضة، والمؤمن من الكافر. لا إله إلا الله وحده.

۞ ۞ ۞

٢٩١. قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢].

قال ابن القاسم: سألتُ مالكًا عن الغناء، فقال: قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾. أفحقٌّ هو؟!

وسُئل القاسمُ بن محمد عن الغناء، فقال للسائل: أنهاك عنه وأكرهُهُ لك.

فقال السائل: أحرامٌ هو؟

قال: انظر يا ابن أخي إذا ميَّز اللهُ تعالى الحقَّ من الباطل، في أيِّهما يجعلُ سبحانه الغناء؟!

ميزان حق ومعيار صدق. رحمهم الله.

۞ ۞ ۞

٢٩٢. قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾ [يونس: ٥٤].

قال الزمخشري:

لأنهم بُهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم! وعاينوا مِن شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم، فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا، ولا ما يفعله الجازع، سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب!!

كما ترى المقدَّمَ للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب، ويُغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا. اللهم رحمتك وعفوك ولطفك.

۞ ۞ ۞

٢٩٣. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

قال ابن بلقاسم:

عشرة أشفية للحزن في القرآن العظيم:

أولها: استحضارُ معيةِ الله، وتقويةُ اليقين بها، وتذكيرُ القلبِ باستدامة تلك المعية. قال الله تعالى في قصة رسوله وصاحبه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]

ثانيها: الإيمانُ التامُّ بأسبقية القضاء والقدر، وحتميتِه ونفاذِه واستحالةِ تغيير ما كُتب للعبد فيه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ...﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

ثالثها: الثقة التامة بوعد الله بالفرج والقطع به. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]. فحين أمرها الله بعدم الحزن ذكر سبب ذلك وهو وعده؛ فكل من استقرَّ اليقينُ في قلبه بوعد الله ذهبَ عنه الحزن بقدر يقينه، وقال تعالى في قصة لوط: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

رابعها: التشاغلُ عن أسباب الحزن بالالتفات إلى ما حول المحزون من النعم، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

خامسها: تجريدُ الشكوى وحصرُها في الله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

سادسها: تذكُّرُ ازدحامِ الدنيا بالأسى والغموم وما هو أعظم مِن سبب حزنك؛ فإنَّ مزاحمةَ الحزن بالحزن تخففه، قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

سابعها: شكرُ اللهِ تعالى في كل حزنٍ يذهبه؛ فإنَّ اللهَ شكور يزيد العبدَ مِن جنس النعمة التي شكرها. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

ثامنها: التأملُ في أسبابِ الحزن وتصحيحُها، فقد سلَّى اللهُ رسولَه في حزنه من قومه بأنهم لا يكذبونه لضعف حجته أو بيانه ولكنهم مكابرون جاحدون. فقد يكون سببُ حزننا ظنًا يحتاج للتصحيح! قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

تاسعها: الاستعاذةُ المتكررة من الشيطان، وخاصة عند الحزن؛ فإن عامة الحزن منه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

عاشرها: اليقينُ أنَّ كلَّ مَن يحزنك اللهُ أعلمُ به منك وأقدر عليه. قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

اللهم اجعلنا ووالدينا وابن بلقاسم من السعداء في الدارين.

۞ ۞ ۞

٢٩٤. قال تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

قال ابن بلقاسم:

كلُّ ما تشعر به من ألمٍ وخوفٍ وتوترٍ وضيق؛ ففي القرآن شفاؤه!!

ناضلْ بصدقٍ في البحث عن دوائك. والله لتجدنَّه.

۞ ۞ ۞

٢٩٥. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

قال عبدالله التويجري:

فضلُ اللهِ عظيمٌ وكبيرٌ ومبين. هكذا جاء وصفُ فضل اللهِ في القرآن في كثير من الآيات، وجاء الأمرُ بالفرح بفضل الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وما بنا من نعمة فمن فضل الله ورحمته.

وانظر لنبي الله يوسف كيف عَدَّ التوحيدَ فضلا مِن الله حين قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

فتوحيدُ الله فضلٌ عظيمٌ يجب أن نفرح به وأن نشكر الله عليه.

أرأيت كيف فضَّلك اللهُ بتوحيده، في حين ضلَّت الآلاف والملايين بعبادة غير الله؟ افرح ثم افرح واشكر اللهَ ولا تنقطع عن الشكر؛ فهذا خير مما يجمعون.

۞ ۞ ۞

٢٩٦. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨].

قال ابن القيم:

فالفرحُ بفضله ورحمتِه تبعٌ للفرح به سبحانه. فالمؤمنُ يفرح بربه أعظمُ مِن فرحِ

كلِّ أحدٍ بما يفرح به: مِن حبيبٍ أو حياة، أو مال، أو نعمة، أو مُلك.

يفرح المؤمن بربه أعظمُ من هذا كله، ولا ينال القلب حقيقة الحياة حتى يجد طعم هذه الفرحة والبهجة، فيَظهرُ سرورُها في قلبه، ونضرتُها في وجهه، فيصير له حالٌ من حال أهل الجنة حيث لقَّاهم الله نضرة وسرورًا.

فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فهذا هو العلم الذي شمَّر إليه أولو الهمم والعزائم، واستبق إليه أصحاب الخصائص والمكارم.

تلك المكارمُ لا قعبانِ مِن لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

✡✡✡

٢٩٧. قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

قال عبدالله الصبيحي رحمه الله:

تأمل الإحاطةَ بما يصدرُ منك! ولو كان أصغرَ مِن الذرة، فهو مثبتٌ بالشهادة، ومدونٌ في كتاب مبين! اللهم عافيتك وسترك ربنا.

✡✡✡

٢٩٨. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠].

قال القاسمي مستفيدا من أبي السعود:

والآية الثانية لبيان أنَّ ما يتراءى مِن فوزهم بالحظوظ الدنيوية بمعزلٍ مِن أنْ يكون مِن جنس الفلاح.

كأنه قيل: كيف لا يفلحون، وهم في غبطة ونعيم؟

فقيل: هو متاعٌ يسيرٌ في الدنيا، وليس بفوز بالمطلوب.

رحمة الله علينا وعلى آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا والقاسمي وأبي السعود وسائر علمائنا والمسلمين أجمعين.

۞ ۞ ۞

٢٩٩. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠].

قال أبو حيان:

وفي قوله: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ استطالةٌ عليهم، وعدمُ مبالاةٍ بهم!! وفي إبهامِ ﴿مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ تخسيسٌ له وتقليلٌ!! وإعلامٌ أنه لا شيءَ يُلتفتُ إليه.

رحمك الله أباحيان رحمة العلماء العظام.

۞ ۞ ۞

٣٠٠. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

قال ابن سعدي:

وهكذا كلُّ مفسدٍ عمل عملًا، واحتال كيدًا، أو أتى بمكرٍ، فإنَّ عملَه سيبطلُ ويضمحل، وإنْ حصل لعمله روجانٌ في وقتٍ ما، فإنَّ مآله الاضمحلالُ والمَحق.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجهَ الله تعالى، وهي أعمالٌ ووسائلُ نافعة، مأمورٌ بها، فإنَّ الله يصلحُ أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام.

اللهم أصلحنا وأصلح لنا وأصلح بنا يا رب العالمين.

۞ ۞ ۞

٣٠١. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

قال القرطبي:

قال ابن عباس: مَن أخذ مضجعه من الليل ثم تلا هذه الآية، لم يضرَّهُ كيدُ ساحر، ولا تُكتب هذه الآية على مسحورٍ إلا دفعَ الله عنه السحر.

۞ ۞ ۞

٣٠٢. قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

قال الطاهر:

وفرَّع على إجابةِ دعوتِهما أَمْرَهُما بالاستقامة، فعُلم أنَّ الاستقامةَ شُكرٌ على الكرامة؛ فإنَّ إجابةَ اللهِ دعوةَ عبدِه إحسانٌ للعبد وإكرامٌ، وتلك نعمةٌ عظيمةٌ تستحق الشكرَ عليها، وأعظمُ الشكرِ طاعةُ المنعِم.

۞ ۞ ۞

٣٠٣. قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

قال البيضاوي:

وفيه تنبيهٌ على أنَّ كلَّ مَن خالجته شبهةٌ في الدِّين ينبغي أن يسارع إلى حلِّها بالرجوع إلى أهل العلم.

۞ ۞ ۞

٣٠٤. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤].

قال الشوكاني:

وخصَّ صفةَ المتوفي مِن بين الصفات؛ لما في ذلك مِن التهديد لهم، أي: أعبدُ الله الذي يتوفاكم فيفعلُ بكم ما يفعلُ مِن العذاب الشديد، ولكونه يدلُّ على الخلْق

أولًا، وعلى الإعادة ثانيًا، ولكونه أشدَّ الأحوالِ مهابةً في القلوب، ولكونه قدْ تقدم ذكرُ الإهلاك والوقائعِ النازلة بالكفار مِن الأمم السابقة، فكأنه قال: أعبد الله الذي وعدني بإهلاككم.

اللهم فأهلك كفرة أهل الكتاب الصادين عن سبيلك المكذبين كتابك.

۞ ۞ ۞

٣٠٥. قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

قال أبو حيان:

﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: سَمَّى الخيرَ فضلا؛ إشعارا بأنَّ الخيورَ مِن الله تعالى، هي صادرةٌ على سبيل الفضلِ والإحسانِ والتفضل.

۞ ۞ ۞

٣٠٦. قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

قال أحدهم:

لا يضرُّك زُهدُ مَن زهد فيك إنْ أراد اللهُ رِفْعَتك. ولا ينفعُك تعظيمُ مَن يُعظِّمك إنْ أراد اللهُ خَفْضَك؛ فهذا يوسف عليه السلام بيع بثمنٍ بخسٍ، ثم أُوتِيَ النُّبوة وخزائن الأرض. وفرعون قد أُوتي المُلْك، ثم مات غريقًا، ولم يَنفعْهُ جُنْدٌ ولا أعوان! الأمر لله من قبل ومن بعد.

۞ ۞ ۞

٣٠٧. قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

قال بعضهم:

سأصبرُ حتى يعجزَ الصبرُ عن صبري ... وأصبرُ حتى يحكمَ اللهُ في أمري

سـأصبرُ حتـى يعلـمَ الصبـرُ أننـي صبـرتُ على شـيءٍ أمرَّ مِـن الصبرِ

اللهم أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

۞ ۞ ۞

٣٠٨. قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ﴾ [يونس: ١٠٩].

قال البقاعي:

أعْلَمتْ هذه الآيةُ أنَّ مَن اتبع الوحيَ أُبتلي بما ينبغي الصبرُ عليه. وأفهمتْ أنَّ مَن كان له أشدَّ اتباعًا كان أشدَّ بلاءً.

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

۞ ۞ ۞

٣٠٩. قال عبدالله التويجري:

مَن يشكو مِن ضَعفِ إيمانه، ومن يرِد تجديدَ توحيده، ومن يسعى إلى تعظيمِ اللهِ في قلبه، ومَن يرغب في بث الطمأنينة في نفسه، ومَن يبحث عن رَدِّ الأسئلة الإبليسية والوساوس الشيطانية؛ فليقرأ سورة يونس مثنى وثلاث ورباع، ثم ليقرأ التفسير المختصر معها.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ هُودٍ

٣١٠. قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

قال الثعلبي:

وقال أبو العالية: مَن زادت طاعتُه في الدنيا زادت درجاتُه في الجنة؛ لأنَّ الدرجاتِ تكونُ بالأعمال.

۞ ۞ ۞

٣١١. قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣].

قال المفسرون في بيان معنى المتاع الحسن:

الرضا بالميسور والصبر على المقدور، أو: حسن العمل وقطع الأمل، أو: النعمة الكافية مع الصحة والعافية، أو: الحلال الذي لا طلب فيه ولا تعب، أو: لزوم القناعة والتوفيق للطاعة، أو: يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، وعيشة واسعة، ونعمة متتابعة، أو: تركُ الخلق، والإقبالُ على الحق، أو: القناعة بالموجود، وترك الحزن على المفقود، أو: يتفضل عليكم بالرزق والسعة، أو: يعمركم، أو: طيب النفس وسعة الرزق.

اللهم متعنا متاعًا حسنًا، واختم لنا بخير.

۞ ۞ ۞

٣١٢. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

قال عبدالله التويجري:

هـذه آيةٌ عظيمـةُ القدر، جليلـةُ النفع. وما أشـدَّ حاجتنا نحن وأبناؤنـا وبناتنا لها مـع اسـحضار معناها حينما يخلو الواحد منا بجواله ويستغشـي غطـاءه، حيث نظنُّ -وبـكلِّ جهل- أنه لا أحدَ يرانا؛ فَتَجُولُ العينُ إلى مالا يصلحُ أن يُرى، وتمتدُّ الأذن إلى ما يربأُ المرءُ مِن سـماعه لو كان بحضرةِ مخلوقٍ يأكلُ الطعام ثم يذهبُ للخلاء. اللهم املأ قلوبنا خشية وإجلالا.

۞ ۞ ۞

٣١٣. قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

قال القرطبي:

وقيـل لبعضهم: مِن أين تـأكل؟ قال: الذي خلق الرَّحـى يأتيها بالطحين، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق.

وقيـل لأبـي أسـيد: مِن أيـن تأكل؟ فقـال: سـبحان الله، والله أكـبر! إن الله يرزق الكلب، أفلا يرزق أبا أسيد؟!

وقيـل لحاتـم الأصم: مِـن أين تأكل؟ فقال: مِـن عند الله. فقيل لـه: آللهُ ينزل لك دنانير ودراهم من السـماء؟ فقال: كأنَّ ما له إلا السـماء! يا هذا، الأرضُ له، والسماءُ له، فإنْ لم يؤتني رزقي من السماء، ساقه لي من الأرض!

وأنشد:

وكيف أخـاف الفقرَ واللهُ رازقي ... ورازقُ هذا الخلقِ في العسـر واليسرِ

تكفَّـل بـالأرزاق للخلـقِ كلِّهـم ... وللضَّبِ في البيداءِ والحوتِ في البحرِ

اللهـم ارزقنـا حـلاوة الطاعـة وقـوة الإيمـان والثبـات علـى دينـك، وأغننـا بفضلك عمن سواك.

۞ ۞ ۞

٣١٤. قال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧].

قال ابن كثير:

أي: ليختبركم. ولم يقل: أكثر عملا، بل: ﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله ﷻ، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العملُ واحدًا من هذين الشرطين بطل وحبط.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٣١٥. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

قال الزمخشري:

ومجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول؛ للدلالة على الجَلالِ والكبرياء!! وأنَّ تلك الأمورَ العظامَ لا تكون إلا بفعلِ فاعلٍ قادرٍ، وتكوينِ مُكَونٍ قاهرٍ، وأنَّ فاعلَها فاعلٌ واحدٌ لا يُشارَك في أفعاله.

فلا يذهبُ الوهمُ إلى أنْ يقول غيرُه: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي!! ولا أنْ يقضيَ ذلك الأمرَ الهائلَ غيرُه. ولا أنْ تستويَ السفينةُ على متنِ الجودي وتستقرَّ عليه إلا بتسويته وإقراره!!

وقال أبو حيان:

وروي أنَّ أعرابيا سمع هذه الآية، فقال: هذا كلامُ القادرين.

وعارَض ابنُ المقفعِ القرآنَ، فلما وصل إلى هذه الآية أمسك عن المعارضة، وقال: هذا كلامٌ لا يستطيع أحدٌ مِن البشر أنْ يأتيَ بمثله.

وقال أبو السعود:

ولقد بلغتِ الآيةُ الكريمةُ من مراتب الإعجاز قاصيتَها، وملَكَتْ مِن غُرر المزايا ناصيتَها!! وقد تصدَّى لتفصيلها المهرة المتقنون، ولعمري إنَّ ذلك فوق ما يصفه الواصفون، فحري بنا أنْ نوجز الكلام في هذا الباب، ونفوض الأمر إلى تأمل أولي الألباب، والله عنده علم الكتاب.

۞ ۞ ۞

٣١٦. قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [هود: ٤٨].

قال الطبري:

قال محمد بن كعب القرظي: دخل في ذلك السلامِ والبركاتِ كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ إلى يوم القيامة. ودخل في ذلك المتاعِ والعذابِ كلُّ كافرٍ وكافرةٍ إلى يوم القيامة.

اللهم توفنا مؤمنين وألحقنا بالصالحين.

۞ ۞ ۞

٣١٧. قال تعالى عن نوح أنه قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٩-٣٠].

قال القاسمي:

قال بعضهم: ثمرةُ ذلك وجوبُ تعظيمِ المؤمن، وتحريمُ الاستخفافِ به، وإنْ كان فقيرًا عادِمًا للجاه، متعلِّقًا بالحِرَفِ الوضيعة؛ لأنه تعالى حكى كلامَ نوحٍ وتجهيلَه للرؤساء، لَمَّا طلبوا طردَ مَن عَدَّوهُ مِن الأراذل.

۞ ۞ ۞

٣١٨. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةًۚ﴾ [هود: ٧٠].

قال القرطبي:

مـن أدب الطعـام أنَّ لصاحب الضيـف أنْ ينظر في ضيفه هل يـأكل أم لا؟ وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة، لا بتحديد النظر.

روي أن أعرابيًا أكل مع سـليمان بن عبد الملك، فرأى سليمانُ في لقمة الأعرابي شعرة، فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك!!

فقال الأعرابي: أتنظر إليَّ نظر مَن يرى الشعرة في لقمتي؟ والله لا أكلتُ معك!!

قلت: وقد ذُكر أن هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأن الأعرابي خرج من عنده وهو يقول:

ولَلموتُ خيرٌ من زيارةِ باخلٍ يلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عمد

❁ ❁ ❁

٣١٩. قـال تعالـى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٍ﴾ [هود: ٨٤].

قال البقاعي:

ولما دعا إلى العدل فيما بينهم وبين الله، دعاهم إلى العدل فيما بينهم وبين عبيده في أقبح ما كانوا قد اتخذوه بعد الشـرك ديدنا، فقال: ولا تنقصوا بوجه من الوجوه لا الكيلَ ولا آلتَه، ولا الوزنَ ولا آلتَه.

والكيل: تعديلُ الشيء بالآلة في القلة والكثرة.

والوزن: تعديله في الخفة والثقل.

فالكيلُ للعدل في الكمية، والوزنُ للعدل في الكيفية.

ثـم علل ذلك بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ أي: بسـعة تغنيكم عن البخس، مرهِّبًا ومرغِّبًا بالإشارة إلى أنَّ الكفرَ موجبٌ للنقمة، كما أنَّ الشكرَ موجبٌ للنعمة.

اللهم آمنا بك فاجعلنا لك شاكرين، ومنك خائفين، وعليك متوكلين.

۞ ۞ ۞

٣٢٠. قال تعالى: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال عبدالله التويجري:

هذا قولُ نبي الله شـعيب عليه السلام، المخصوصِ بالرسـالة، والمنصـورِ بالله، والمؤيدِ بالوحي، يقول:

١- التوفيقُ للحقِ والصوابِ لا يكونُ إلا بالله.

٢- التوكلُ في أفعالي ودعوتي لا يكونُ إلا على الله.

٣- الرجوعُ فيما ينزلُ بي من النوائبِ والمصائبِ لا يكونُ إلا إلى الله.

فإذا كان هذا القول من نبي الله شعيب فكيف بنا؟

قال أحمد عبدالمنعم:

كثيرٌ مِن تعبِ الناسِ ورهَقِ نفوسِـهم بسـبب مزاحمتِهم لربوبية الله، وظنِّهم أنهم يستطيعون العيشَ مِن دون معيَّة الله، ومِن دون القيامِ بأعباء الربوبية!!

فظنوا أنهم يَرزقون أنفسَهم، وأنهم يدبرون كلَّ أمورِهم.

فمَن حاول نزعَ الربوبيةِ مِن حياته:

تكسَّر ظهرُه، وتشتَّتَ قلبُه، وتمزَّقتْ نفسُه؛ لأنه لا يقدرُ أنْ يقومَ بأمورِ نفسِه بدون ربِّه ومولاه. ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: ٣٣].

۞ ۞ ۞

٣٢١. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود: ١١٤].

قال ابن عثيمين:

أي: ايتِ بها على وجه الكمال؛ لأنَّ إقامةَ الشيء جعْلُهُ قويمًا، ليس به اعوجاج ولا نقص.

اللهم فارحمنا ووالدينا وشيخنا محمد.

۞ ۞ ۞

٣٢٢. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

قال ابن القيم:

الغرباءُ في العالَم هم أهلُ هذه الصفةِ المذكورةِ في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وقال الإمام أحمد بسنده عن النبي ﷺ قال: «طوبى للغرباء، قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: الذين يزيدون إذا نقص الناس».

فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظا لم ينقلب على الراوي لفظُه، فمعناه: الذين يزيدون خيرا وإيمانا وتقى إذا نقص الناس من ذلك، والله أعلم.

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: النزاع من القبائل».

وفي حديـث عبد الله بن عمـرو قال: «قال النبي ﷺ ذات يـوم ونحن عنده طوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسـول الله؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

وعنـد أحمـد عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: قال: «إن أحب شـيء إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفرارون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة».

وفي حديث آخر: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها الناس».

وقـال نافـع، عـن مالـك: دخـل عمر بـن الخطاب المسـجد، فوجد معـاذ بن جبل جالسـا إلـى بيت النبي ﷺ وهـو يبكـي، فقال لـه عمر: ما يبكيـك يا أبا عبـد الرحمن؟ هلـك أخـوك؟ قـال: لا، ولكـن حديثا حدثنيـه حبيبي ﷺ وأنا في هذا المسـجد، فقال: مـا هـو؟ قـال: «إن الله يحـب الأخفيـاء الأحفيـاء الأتقيـاء الأبريـاء الذيـن إذا غابـوا لـم يفتقـدوا، وإذا حضـروا لـم يعرفـوا، قلوبهـم مصابيـح الهـدى يخرجـون مـن كل فتنـة عميـاء مظلمة».

فهـؤلاء هـم الغربـاء الممدوحـون المغبوطـون، ولقلتهـم في النـاس جدا؛ سُـموا غربـاء؛ فـإنَّ أكثـرَ النـاس علـى غيـر هـذه الصفـات، فأهـلُ الإسـلام في النـاس غربـاء، والمؤمنـون في أهـل الإسـلام غربـاء، وأهـلُ العلـم في المؤمنيـن غربـاء، وأهـلُ السـنة الذيـن يميزونهـا مـن الأهـواء والبـدع فيهـم غربـاء، والداعـون إليهـا الصابـرون علـى أذى المخالفيـن هـم أشـد هـؤلاء غربـة، ولكـن هـؤلاء هـم أهـلُ الله حقـا، فـلا غربـة عليهـم، وإنمـا غربتهـم بيـن الأكثرين، الذيـن قـال الله ﷻ فيهـم: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فأولئـك هـم الغربـاءُ مِن الله ورسـولِه ودينِه،

وغربتُهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قيل:

فليس غريبا مَن تناءتْ ديارُه ولكنَّ مَن تنأينَ عنه غريبُ

۞۞۞

٣٢٣. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [هود: ١٢٠].

قال شهاب الدين الخفاجي المولود عام ٩٧٧ من الهجرة:

لما ختمت سورة هود بقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ جاءت سورة يوسف بعدها؛ لأنها من أنبائهم؛ فذَكرَ اللهُ في سورةِ هودٍ ما لقي الأنبياءُ عليهم السلام مِن قومهم، وذَكرَ في سورة يوسُفَ ما لقي يوسفُ مِن إخوته، ليُعلَمَ ما قاساه الأنبياءُ مِن أذى الأجانبِ والأقاربِ، فبينهما أتمُّ المناسبة.

والمقصودُ: تسليةُ النبي ﷺ بما لاقاه مِن أذى القريبِ والبعيد. انتهى، بتصرف يسير.

۞۞۞

سُورَةُ يُوسُفَ

٣٢٤. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

يكفي عِلم اللغة العربية شرفًا أن أحدًا من الناس لو جمع علومَ أهل الأرض كلَّها، وكان خِلوا منه؛ لَمَا فهم من كلام الله تعالى شيئًا.

وأن العالم بعلم اللغة العربية لو جهل علومَ أهل الأرض كلَّها؛ لاستبان له من كلام الله تعالى قدرًا كبيرًا.

❁ ❁ ❁

٣٢٥. قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

اختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص؟ فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١].

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم- بعد الالتقاء بهم- عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما.

وقيل: «أحسن» هنا بمعنى أعجب.

وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذُكر فيها كان مآله السعادة، انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير.

من تفسير القرطبي.

۞ ۞ ۞

٣٢٦. قال تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٤-٥].

قال صالح الدوسي الزهراني:

درِّب طفلك على هذه الفوائد من الآية:

١- الدقة في الوصف إذا وصف الأمور المهمة.

٢- الدقة في الإحصاء ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ إحصاء دقيق من طفل الثانية عشر.

٣- التفاصيل عند نقل الأخبار الغريبة التي تحتاج إلى تفصيل.

٤- الدقة في الألفاظ، فكل كلمة محسوبة، ﴿رَأَيْتُ﴾ الأولى تختلف عن ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ الثانية التي تعني الاستئناف.

٥- الجرأة في قول الحقيقة كما هي ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾. وهذا غير معهود، فالسجود لله وحده.

٦- رباطة الجأش في قصِّ أحداثٍ غريبةٍ ومخيفة، فالكواكب والشمس والقمر كلهم ساجدون لطفل صغير.

٧- الثقة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾، ولم يقل: رأيت.

٨- استشارة الطفل والده في أي أمر لا يمكنه تفسيره.

٩- درب طفلك على مهارة التركيز التي نقلت لنا وصفا كأنك تراه بعينك.

١٠- مهارة المقارنة: من خلال معرفة الفروق بين الكواكب، وبين والشمس والقمر.

ومن الفوائد التربوية للآباء المستنبطة من الآية:

١١- الاهتمام برؤى الطفل، ومن باب أولى اهتمام الأب بأسئلة طفله واستفساراته وما يشكل عليه فهمه، وكذلك الاهتمام بمشكلاته العقلية التي لا يستطيع تفسيرها.

١٢- توجيه النصح للطفل، وتقديم المشورة فور انتهاء عرضه للمشكلة، متى كان الجواب حاضرا للمربي ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾.

١٣-التربية بالحب من الآباء إلى الأبناء، وهذا يجعل الطفل مبادرا في طرح مشكلاته على والده متى وقع فيها دون تردد، أما التربية القاسية فقد تؤدي إلى إحجام الطفل عن الإفصاح عن مشاعره ومخاوفه، فيعيشها بمفرده وقد يتحمل فوق طاقته.

استفدت في الوصول لبعض هذه الفوائد من كتب التفسير.

وأضفت:

١٤- التعليل للحكم، ﴿لَا تَقْصُصْ.. فَيَكِيدُواْ﴾.

١٥ - أهمية معرفة الأب لطبيعة اختلاف علاقات الأبناء. ﴿عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ﴾.

١٦- بيان الباعث الأول للمشاكل وتحديد سببها الرئيس ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾.

۞۞۞

٣٢٧. قال تعالى: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف: ٨].

قال فيصل بن تركي:

الحسدُ والهوى يُعْمِيانِ صاحبَهما، وتَخْتلُّ بهما موازينُه؛ فيُضخِّم الصغائر: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾، ويهونُ العظائم: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩]!

اللهم قنا شَرَّ أنفسِنا.

✡ ✡ ✡

٣٢٨. قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦].

قال أبو حيان:

قال الأعمش: لا يُصدَّقُ باكٍ بعد إخوة يوسف!!

وقال المتنبي:

فرُبَّ كئيبٍ ليس تندى جفونُه ورُبَّ نـدِيِّ الجفْـنِ غيـر كئيبِ

✡ ✡ ✡

٣٢٩. قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨].

قال ابن العربي:

قال علماؤنا: كان في قميصِ يوسفَ ثلاثُ آياتٍ: جاءوا عليهِ بِدَمٍ كذبٍ، وقُدَّ مِنْ دُبُرٍ، وأُلْقِيَ على وجْهِ يعقوبَ فَارْتَدَّ بَصِيرًا.

قلت:

كان للقميص مع يوسف عليه السلام حكايات ومواقف. ولموسى عليه السلام مع الماء مثل ذلك.

✡ ✡ ✡

٣٣٠. قال تعالى عن يوسف: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

قال ابن كثير:

وفي هذا تعريضٌ لرسوله محمد ﷺ، وإعلامُه له بأنني عالمٌ بأذى قومك، وأنا قادرٌ على الإنكار عليهم، ولكني سأملي لهم، ثم أجعلُ لك العاقبةَ والحكمَ عليهم، كما جعلتُ ليوسفَ الحكمَ والعاقبةَ على إخوته.

فصبرٌ جميلٌ يا كلَّ مسلمٍ ليس معه في مَهْمَهِ العجز إلا: «حسبنا الله».

۞ ۞ ۞

٣٣١. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١].

كثيرا ما نسمع قولَ أهلِ اللغةِ عند إعراب الجار والمجرور بأنهما متعلقان بكذا، فما الفائدة من ذلك؟

أظن أن أفضلَ جوابٍ يكون في التطبيق العملي؛ قال أبو السعود: قوله: «لامرأته» جارٌ ومجرور متعلقان بـ«قال» لا بـ«اشتراه».

۞ ۞ ۞

٣٣٢. قال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

قال ابن جُزَي:

في عَودِ الضميرِ وجهان: أحدهما أنْ يعود على اللهِ، فالمعنى أنه يفعل ما يشاءُ لا رادَّ لأمره. والثاني: أنه يعودُ على يوسف، أي: يدبرُ اللهُ أمرَ يوسف بالحفظ له والكرامة.

وقال ابن الجوزي:

قال بعضهم: واللهُ غالبٌ على أمرِه:

حيث أمرَ يعقوبُ يوسفَ أنْ لا يقصَّ رؤياهُ على إخوتِه، فعلِموا بها.

ثم أراد يعقوبُ أن لا يكيدوه، فكادوه.

ثم أراد إخوةُ يوسفَ قتلَه، فلَم يُقَدَّر لهم.

ثم أرادوا أن يلتقطَه بعضُ السيارة فيندرس أمرُه، فعلا أمرُه.

ثم باعوه ليكون مملوكا، فغلبَ أمرُه حتى ملَك.

وأرادوا أن يعطفوا أباهم، فأباهم.

ثم أرادوا أن يُغروا يعقوبَ بالبكاء والدَّمِ الذي ألقوه على القميص، فلم يَخْفَ عليه.

ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قوما صالحين، فنسوا ذنبهم إلى أن أقروا به بعد سنين فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

ثم أرادوا أن يمحوا محبتَه من قلبِ أبيه، فازدادت.

ثم أرادت أزليخا أن تُلقي عليه التهمةَ بقولها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف: ٢٥]. فغلب أمرُه، حتى شهد شاهدٌ من أهلِها.

وأراد يوسفُ أنْ يتخلص من السجنِ بذكرِ الساقي، فنسيَ الساقي حتى لبثَ في السجن بضعَ سنين.

وقال أحمد عبدالمنعم:

أعظمُ حقيقةٍ في الكون هي: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾.

۞ ۞ ۞

٣٣٣. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

قال أحمد عبدالمنعم:

يريد الناسُ أمرًا، ويريد اللهُ أمرا، والله غالبٌ على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

نريد غيرَ ذاتِ الشوكةِ والألم، ويريد اللهُ إظهارَ الحقِّ وفضحَ الكفرِ والنفاق.

الخيـرُ في يديـه، والشـرُّ ليـس إليـه... ولكـن عقولَنـا قاصـرة، ونفوسَـنا ضيقة، وقلوبَنا أرضية.

أهلَ الثناء والمجد: حرِّر قلوبنا من قيود الأرض.

اللهم آمين آمين آمين.

۞ ۞ ۞

٣٣٤. قـال تعالـى عـن يوسـف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

قال د. عبدالله بن بلقاسم:

ذهبَ يوسفُ عليه السلام بشطْرِ الحُسْنِ، ولكنَّ اللهَ لمْ يمدحْهُ في القرآن أبدًا بجماله؛ إنما مدَحَه بأنَّه مِن المحسنين.

۞ ۞ ۞

٣٣٥. قال تعالى: ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: ٢٣].

أورد القاسمي عن بعضهم ثمرات لهذه الآية، ومنها:

أنَّ الواجـبَ عنـد الدعاء إلـى المعصية الاسـتعاذةُ بالله مِن ذلـك؛ ليعصمَه منها؛ ويدخلُ فيه: دعاءُ الشيطان، ودعاءُ شياطين الإنس، ودعاءُ هوى النفس.

اللهم أعذنا من الفتن وأجرنا من المحن.

۞ ۞ ۞

٣٣٦. قال تعالى: ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ [يوسف: ٢٥].

قال ابن بلقاسم:

يوسف تمزَّقَ قميصُه، لكنْ سترتْهُ الفضيلة!!

۞ ۞ ۞

٣٣٧. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

قال ابن القيم:

إذا كانت مشاهدةُ مخلوقٍ يومَ أُخرِجَ عليهنَّ استغرقتْ إحساسَ الناظراتِ فقطَّعْنَ أيديهنَّ وما شعرْنَ، فكيف بالحالِ يوم المزيد؟!

لو أحببتَ المعبودَ لحَضر قلبُك في عبادتِه.

اللهم تب علينا، ما عبدناك حق عبادتك.

۞ ۞ ۞

٣٣٨. قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

قال أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، المتوفى في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ وهو محبوسٌ في قلعة دمشق، وقد بلغ من العمر ٦٧ عاما رحمه الله قال:

مَن احتمل الهوانَ والأذى في طاعةِ الله، على الكرامـةِ والعزِّ في معصية الله -كما فعل يوسف وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبةُ له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له مِن الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أنَّ ما يحصلُ لأرباب الذنوب من التنعُّم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٣٣٩. قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٦].

قال الرازي:

مَن أراد أنْ يتعلم مِن رجلٍ شـيئًا فإنه يجبُ عليه أنْ يعظمه، وأنْ يخاطبه بالألفاظ المشعرة بالإجلال.

ثم إنه أعاد السؤالَ بعينِ اللفظ الذي ذكره الملك، ونعمَ ما فعل؛ فإنَّ تعبيرَ الرؤيا قد يختلفُ بسبب اختلافِ اللفظِ، كما هو مذكور في ذلك العلم.

۞ ۞ ۞

٣٤٠. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: ٥٤].

قال جمال الدين القاسمي:

قـال بعضهم: إنَّ مَن أمعن النظرَ في قصة يوسـف عليه السلام، علِـم يقينًا أنَّ التقيَ الأمينَ لا يضيعُ اللهُ سـعيَه، بل يحسنُ عاقبتَه، ويعلي منزلتَه في الدنيا والآخرة، وأنَّ المعتصمَ بالصبر لا يخشـى حدثان الدهر وتجاربَه، ولا يخاف صروفَه ونوائبَه؛ فإنَّ اللهَ يعضدُه وينجحُ مسعاه ويخلِّدُ ذكرَه العاطر على ممرِّ الأدهار.

فـإنَّ يوسـف عليه السلام لمَّا لم يخشَ للنوائب وعيدًا، ولا للتجـارب تهديدًا، ولم يخفْ للسـجن ظلمًا وشـرًا، ولا للتنكيل بـه ألمًا وضرًا، بل ألقى توكُّلَـه على الربِّ، وصبرَ إزاءَ تلـك البليـةِ ثابتَ القلب؛ نـال بطهارته وتقواه تاجَ الفخر، ولسـانَ الصدقِ طولَ أيامِ الدهر.

وها إنَّ فضيلتَه لم يعفُ جميلَ ذكراها مرورُ الأيام!!

ولم يعبثْ بنضارتها كرورُ الأعوام!!

بـل ادُّخِـرَت لنـا مثـالًا نقتفـي أثـرَه عنـد طـروء التجـارب، ومـلاذًا نعـوذُ بـه في المحـن والمصائـب، ومقتـدىً نتـدرَّبُ بـه علـى التثبُّـتِ في مواقـفِ العِثـار، وننهـجُ

منهاجَه في التقوى وطيبِ الإزار؛ فننال في الدنيا أوسمةَ المجد، ونفوز في الآخرة بدار الخلد.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٣٤١. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف: ٨٠].

قال جمال الدين القاسمي:

ذكر القاضي عياض في (الشفا) في (بحث إعجاز القرآن) أنَّ أعرابيًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ فقال:

أشهد أنَّ مخلوقًا لا يقدرُ على مثل هذا الكلام.

اللهم ارحمنا ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا والقاسمي والقاضي عياض وذلك الأعرابي.

۞ ۞ ۞

٣٤٢. قال تعالى عن يعقوب أنه قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يوسف: ٨٣].

قال القرطبي:

الواجبُ على كلِّ مسلمٍ إذا أُصيب بمكروهٍ في نفسِه أو ولدِه أو مالِه أنْ يتلقَّى ذلك بالصبرِ الجميلِ، والرضا والتسليمِ، لِمُجْرِيه عليه، وهو العليمُ الحكيم، ويقتدي بنبيِّ اللهِ يعقوبَ وسائر النبيين، صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين.

وقال الحسن:

ما مِن جُرعتين يتجرَّعُهما العبدُ أحبُّ إلى الله مِن:

جرعةِ مصيبةٍ يتجرَّعها العبدُ بحسنِ صبرٍ وحسنِ عزاء.

وجرعةِ غيظٍ يتجرعها العبدُ بِحِلْمٍ وعفو.

اللهم عافنا واعف عنا.

۞ ۞ ۞

٣٤٣. قال تعالى عن يعقوب أنه قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

قال ابن القيم:

الشكوى إلى الله ﷻ لا تنافي الصبر؛ فإن يعقوبَ عليه السلام وَعَدَ بالصبر الجميل، والنبيُّ إذا وعَد لا يُخلف، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وكذلك أيوبُ أخبرَ اللهُ عنه أنه وجدَه صابرا مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وإنما ينافي الصبرَ شكوى الله، لا الشكوى إلى الله.

كما رأى بعضُهم رجلًا يشكو إلى آخر فاقةً وضرورة؛ فقال: يا هذا، تشكو مَن يرحمُك إلى من لا يرحمك؟! ثم أنشد:

وإذا عَرَتك بليةٌ فاصبرْ لها ... صبرَ الكريمِ فإنه بكَ أعلمُ
وإذا شكوتَ إلى ابنِ آدم إنما ... تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحمُ

۞ ۞ ۞

٣٤٤. قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

قال عبدالله بن بلقاسم:

تولى عنهم ليتجرع حزنَه وحده...

حين نعجز عن إخفاء آلامنا يصبحُ مِن المروءة والجمال أنْ نهرب بها؛ لئلا نؤلم غيرنا.

۞ ۞ ۞

٣٤٥. قال تعالى عن يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

البَثُّ: أشدُّ الحزن؛ لأنَّ صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثَّه، أي: يظهره، لكن يعقوب كان بثُّه إلى الله.

اللهم رحمتك ولطفك.

❁ ❁ ❁

٣٤٦. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

قال ابن القيم:

الجاهلُ يشكو اللهَ إلى الناس، وهذا غايةُ الجهلِ بالمشكو والمشكو إليه؛ فإنه لو عرَف ربَّه لَمَا شكاه، ولو عرَف الناسَ لَمَا شكا إليهم، والعارفُ إنما يشكو إلى اللهِ وحده.

وأعرفُ العارفين مَن جعل شكواه إلى الله مِن نفسِه لا مِن الناس؛ فهو يشكو مِن موجباتِ تسليطِ الناسِ عليه؛ فهو ناظرٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فالمراتب ثلاثٌ:

أخسُّها: أنْ تشكو اللهَ إلى خلقِه.

وأعلاها: أنْ تشكو نفسَك إليه.

وأوسطُها: أنْ تشكو خلْقَه إليه.

اللهم اهد قلوبنا، واشرح صدورنا، وأصلح أحوالنا.

❁ ❁ ❁

٣٤٧. قال تعالى: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

قال الآلوسي:

قال الكرماني: مَن نظر إلى الخلق بعين الحقِّ لم يعبأ بمخالفتهم، ومَن نظر إليهم بعينه أفنى أيامه بمخاصمتهم؛ ألا ترى يوسفَ عليه السلام -لمَّا علِم مجاريَ القضاء- كيف عذر إخوته.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٣٤٨. قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف: ٩٢].

قال القاسمي:

قال بعضهم: إنَّ تجاوزَ يوسفَ عن ذنبِ إخوته، وإبقاءَه عليهم، ومصافاته لهم، تعلِّمنا أنْ نغفرَ لمن يسيء إلينا، ونحسنَ إليه، ونصفي له الودَّ، وأنْ نغضي عن كلِّ إهانةٍ تلحقُ بنا؛ فيسبغ الله تعالى إذ ذاك علينا نعمَه وخيراتِه في هذه الدنيا، كما أوسع على يوسفَ ويورثنا السعادة الأخروية.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٣٤٩. قال تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾ [يوسف: ٩٤].

قال القاسمي:

وإذا دنا أجَلُ الضراء، أخذتْ تهبُّ نسائمُ الفَرَج حاملةً عَرْفَ السَّراء! يدري ذلك كلُّ مَن قويَ إحساسُه، وعظمتْ فطنتُه، واستنارتْ بصيرتُه، فيكادُ أنْ يلمسَ في نهاية الشِّدة زَهر الفَرَج!

اللهم فَرَجا لكل مكروب.

۞ ۞ ۞

٣٥٠. قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال ابن القيم:

كان ظاهرُ ما امتُحِن به يوسف مِن مفارقةِ أبيه، وإلقائه في السجن، وبيعِه رقيقا، ثم مراودةِ التي هو في بيتها عن نفسه، وكذبِها عليه، وسجنِه، مِحنًا ومصائب، وباطنُها نِعَمًا وفَتحًا، جعلها اللهُ سببًا لسعادته في الدنيا والآخرة.

۞ ۞ ۞

٣٥١. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

قال القاسمي:

وكم من آية على وحدانية الخالق، وقدرتِه الباهرة، ونعوتِه الجليلة، في السماوات: من كواكبها وأفلاكها. وفي الأرض: مِن قطع متجاورات، وحدائقَ وجنات، وجبالٍ راسيات، وبحارٍ زاخرات، وقفارٍ شاسعات، وحيوانٍ ونبات، وثمارٍ مختلفات، وأحياءٍ وأموات، يشاهدونها، ولا يعتبرون بها!

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الرَّعْدِ

٣٥٢. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

قال ابن سعدي:

أي: لا يـزال خيـرُه وإحسـانُه وبرُّه وعفوُه نـازلًا إلى العباد، وهم لا يزال شـرُّهم وعصيانُهم إليه صاعدًا!!

يعصونه فيدعوهم إلى بابه!!

ويُجْرِمون فلا يحرمُهم خيرَه وإحسانَه!!

فإن تابوا إليه فهو: حبيبهم؛ لأنه يحبُّ التوابين، ويحب المتطهرين.

وإن لم يتوبوا فهو: طبيبهم، يبتليهم بالمصائب؛ ليطهرَهم من المعايب.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣] انتهى كلامه.

اللهـم فأنـزل رحماتـك ورضوانـك ومغفرتك وإحسـانك علينا وعلـى والدينا وأزواجنا وذرياتنا وابن سعدي يا رب العالمين.

٭٭٭

٣٥٣. قـال تعالـى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

قال أبو حيان:

المعنى: سواءٌ في علمِ اللهِ المسرُّ القولَ، والجاهرُ به لا يخفى عليه شيءٌ من أقواله.

وقال ابن كثير:

﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ﴾ أي: مختفٍ في قعر بيته في ظلام الليل، ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ أي: ظاهرٌ ماشٍ في بياض النهار وضيائه، فإنَّ كليهما في علم الله على السواء، كما قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ [هود: ٥].

اللهم سترك ولطفك وحفظك يارب.

۞ ۞ ۞

٣٥٤. قال تعالى عن الذين لم يستجيبوا له: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨].

قال القرطبي:

لا يُقبل لهم حسنة، ولا يُتجاوز لهم عن سيئة.

وقال فرقد السبخي:

قال لي إبراهيم النخعي: يا فرقد، أتدري ما سوء الحساب؟

قلت: لا!!

قال: سوءُ الحساب أنْ يُحاسَب الرجلُ بذنبِه كلِّه، لا يَفقد منه شيئا.

عفوك اللهمَّ عفوًا إننا … بسوى عفوك مثلُ الرمَمِ

۞ ۞ ۞

٣٥٥. قال تعالى: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢].

قال البغوي:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مثلَ الذي يعملُ السيئاتِ ثم يعملُ الحسنات كمثل رجلٍ كانت عليه درعٌ ضيقةٌ قد خنقته، ثم عمل حسنة، فانفكت عنه حلقةٌ، ثم عمل أخرى فانفكت أخرى، حتى يخرج إلى الأرض».

وقال ابن كيسان: معنى الآية: يدفعون الذنب بالتوبة.

وقيل: لا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعون الشر بالخير.

وقال القتيبي: معناه: إذا سفه عليهم حلموا، فالسفه: السيئة، والحلم: الحسنة.

وقال قتادة: ردوا عليهم معروفا، نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال الحسن: إذا حُرِموا أعطَوا، وإذا ظُلموا عفوا، وإذا قُطعوا وصلوا.

❁ ❁ ❁

٣٥٦. قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣].

قال أبو السعود:

وفي التقييد بالصلاح، قطعٌ للأطماعِ الفارغة لِمن يتمسكُ بمجرَّد حبْلِ الأنساب.

❁ ❁ ❁

٣٥٧. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال ماجد عبدالله:

هونْ عليكَ فلستَ أولَ موجَعٍ ... يتجرَّعُ الآلامَ مِن شرِّ القضا
فلربما كان القضاءُ لحكمةٍ ... تخفى ولُطفُ اللهِ فيما قد قضى
إنْ كان خيرًا أو سواهُ فأنتَ في ... خيرٍ فلا تكُ عن حياتك مُعرِضا
ما خالطَ الإيمانُ قلبًا مُتْعَبًا ... إلا وزانَ العيشُ واتَّسعَ الفضا
فلقد مررتُ على القلوبِ فلم أجِدْ ... أهنا من القلبِ المغلَّفِ بالرضا

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

٣٥٨. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال ابن القيم:

وحياة القلوب بذكر الله وترك الذنوب.

كما قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبْ وقد يورث الذلَ إدمانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوبْ وخيرٌ لنفسك عصيانُها

۞ ۞ ۞

٣٥٩. قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ [الرعد: ٣٧].

قال ابن كثير:

وهذا وعيدٌ لأهل العلم أنْ يتبعوا سُبُلَ أهل الضلالة بعدما صاروا إليه مِن سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على مَن جاء بها أفضلُ الصلاة والسلام والتحية والإكرام.

۞ ۞ ۞

سورة إبراهيم

٣٦٠. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]

قال القرطبي:

أي: صبارٍ على البلوى، شكورٍ على النعماء.

قال قطرب:

نعم العبدُ الصبارُ الشكورُ، الذي إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر.

قال عون بن عبد الله:

فكم من مُنعَمٍ عليه غيرُ شاكر!!

وكم من مبتلى غيرُ صابر!!

قال ابن القيم:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

«الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر»

ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ في سورة إبراهيم وفي سورة لقمان وفي سورة سبأ وفي سورة الشورى.

۞ ۞ ۞

٣٦١. قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

قال الرازي:

أيـامُ اللهِ إمـا أنْ تكـون أيامَ محنةٍ وبليـةٍ أو أيامَ مِنحةٍ وعطية، فـإنْ كان الأولُ كان المؤمنُ صبَّارا، وإنْ كان الثاني كان شكورا.

وهـذا تنبيهٌ على أنَّ المؤمنَ يجـبُ أن لا يخلو زمانُه عن أحدِ هذين الأمرين، فإن جرى الوقتُ على ما يلائمُ طبعَه ويوافقُ إرادتَه كان مشغولا بالشكر.

وإن جرى بما لا يلائم طبعَه كان مشغولا بالصبر.

۞ ۞ ۞

٣٦٢. قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال سعد الخثلان:

لولا أنَّ اللهَ أنعم عليك، لَمَا احتاج الناسُ إليك.

۞ ۞ ۞

٣٦٣. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قـال ابـن القيم: والشـكر معه المزيد أبدا، فمتـى لَمْ ترَ حالَك في مزيد؛ فاسـتقبل الشكر. اللهم اجعلنا لك شاكرين حامدين ذاكرين.

۞ ۞ ۞

٣٦٤. قال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال البقاعي:

عبَّرَ بصيغة المُضي الذي وُجد وتحقق؛ لأنَّ أخبار الملوكِ يجبُ تحققُها لقدرتهم وغناهم عن الكذب، فكيف بملك الملوك!!

وفيـه مِن هزِّ النفسِ وروعتها ما ليـس في العبارة بالمضارع لمن تأمل المعنى حقَّ التأمل. اللهم ارحم ضعفنا واجبر كسرنا.

۞ ۞ ۞

٣٦٥. قال تعالى عن أهل النار:

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال جمال الدين القاسمي:

ووقوفُهُمْ عند ربِّهم، واليأسُ محيطٌ بهم، وجهنَّمُ ترقبُهم، عذابٌ وأيُّ عذاب!!

اللهم أجرنا ووالدينا وذرياتنا وأهلنا من الخزي والنار.

۞ ۞ ۞

٣٦٦. قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ [إبراهيم: ٢١-٢٢].

قال الطاهر ابن عاشور:

وقد جيء في هذه الآية بوصف حال الفِرَقِ يوم القيامة، ومجادلةِ أهلِ الضلالة مع قادتهم، ومجادلةِ الجميعِ للشيطان، وكونِ المؤمنين في شُغُلٍ عن ذلك بنزل الكرامة!!

والغرضُ مِن ذلك تنبيهُ الناس إلى تدارك شأنهم قبل الفوات؛ فالمقصود التحذيرُ مما يفضي إلى سوء المصير.

اللهم أعنا على أنفسنا واجعلنا من حزبك المفلحين.

۞ ۞ ۞

٣٦٧. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

أورد القرطبي في تفسيره معنى الآية وأقوال المفسرين ثم قال:

وقيل: لَمَّا كانت النخلةُ أشبهَ الأشجار بالإنسان شُبهت به، وذلك أنَّ كلَّ شجرةٍ إذا قُطع رأسُها تشعبت الغصونُ من جوانبها، والنخلةُ إذا قُطع رأسُها يبستْ وذهبت أصلا، ولأنها تشبه الإنسانَ وسائرَ الحيوان في الالتقاح؛ لأنها لا تحمل حتى تُلقح.

۞۞۞

٣٦٨. قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قال عبدالعزيز العقل:

الإنسان يدعو الله كثيرا، ويستجيبُ الله له كثيرا، ولكنَّ الإنسان ينسى!! ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾.

اللهم أحسن عاقبتنا وعاقبة شيخنا عبدالعزيز العقل.

۞۞۞

٣٦٩. قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قال عبدالله التويجري:

إي والله!! نحن في زِحامٍ من النِّعَم؛ فبلمسةٍ واحدةٍ في الجدار يصبح الليل في البيت كالنهار، وبلمسةٍ أخرى يخرج لك ماءٌ عذبٌ أصفى من ماء الأنهار! وتكون في مجلسك فتتكلم بكلمةٍ واحدةٍ فتنقلب برودة الشتاءِ دفئا، وحرارة الصيفِ برودة.

وبسبع لمساتٍ في الجوال وأنت جالسٌ بين ضيوفك:

يقومُ عاملٌ بالعجن والخبز، وآخرُ بتحضير اللحوم وتوابلها، وثالثٌ بالترتيب

والتغليـف، ورابـعٌ بالتوصيل والتقديم؛ فيأتيك بعشـائك قبل أن تقـوم من مقامك!! وقد سخَّر اللهُ خلقا من خلقه:

يصنعون مراكبنا وملابسنا وأثاثنا، ويعالجون مرضانا.

ونحن نعطيهم من مال الله الذي آتانا ورزقنا وتفضل به علينا.

وفي بلادنـا ننتجُ أفضلَ التمـور، وتتوفر أطيبُ اللحوم، وتُـزرعُ ألذُّ الخضروات، وتُجبى إلى بلادنا كلُّ الثمرات، وأزكى الروائح والعطورات؛ نحن -والله الذي لا إله غيره- لغارقون في نِعم الله وآلائه وأفضاله.

فشـكرُ هذه النعمِ واجبٌ علينا؛ بالثناء على الله وذكرِه وشـكرِه، وبطاعته وامتثالِ أمـره، واجتنابِ نهيه، وحثِّ أبنائنا وبناتنا وطلابنـا وطالباتنا على ذلك، وتذكيرِهم به ودعوتِهم إليه.

اللهم املأ قلوبنا بتعظيمك وخشيتك، وأعِنَّا على ذِكرِك وشكرِك وحُسنِ عبادتك.

۞ ۞ ۞

٣٧٠. قـال تعالـى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قال أبو السعود أفندي المتوفى عام ٩٨٢ هـ في أسطنبول وصُلي عليه صلاة الغائب في المسجد الحرام:

وفي دعائـه ﵇ مِـن مراعـاةِ حسـنِ الأدب، والمحافظةِ علـى قوانيـنِ الضراعة، وعرضِ الحاجة، واستنزال الرحمة، واستجلابِ الرأفةِ ما لا يخفى.

فإنه ﵇ بذكرِ كونِ الوادي غيرَ ذي زرعٍ بيَّن كمالَ افتقارِهم إلى المسؤول.

وبذكـرِ كونِ إسـكانِهم عند البيتِ المحرَّم أشـار إلى أنَّ جِوارَ الكريمِ يسـتوجبُ إفاضةَ النعيم.

وبعرضِ كونِ ذلك الإسكانِ -مع كمالِ إعوازِ مرافقِ المعاش- لِمَحْضِ إقامةِ الصلاة، وأداءِ حقوقِ البيت، مَهَّد جميعَ مبادئِ إجابةِ السؤال.

ولذلك قُرنت دعوتُه عليه السلام بحسن القبول.

❁ ❁ ❁

٣٧١. قال تعالى في سورة إبراهيم أنه قال عن بيت الله المحرم:

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قال ابن جرير:

قال مجاهد: لو قال: (فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم) لازدحمت عليهم فارس والروم.

❁ ❁ ❁

٣٧٢. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

قال ابن كثير:

هذا تسليةٌ للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أي: اصبرْ كما صبر إبراهيم، وأَعْلِمِ المشركين أنَّ تأخيرَ العذابِ ليس للرضا بأفعالهم؛ بل سنةُ الله إمهالُ العصاةِ مدة.

قال ميمون بن مهران:

هذا وعيدٌ للظالم، وتعزيةٌ للمظلوم.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الحِجرِ

٣٧٣. ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

قال الشنقيطي:

الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر تمنوا أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين، وندموا على كفرهم.

كقوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٧].

الكفار إذا عاينوا الحقيقة ندموا على الكفر وتمنوا أنهم كانوا مسلمين.

۞ ۞ ۞

٣٧٤. قال تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

قال الزمخشري:

قال بعضهم: التمرغُ في الدنيا مِن أخلاق الهالكين.

۞ ۞ ۞

٣٧٥. قال تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

قال البغوي:

وقـال بعض أهل العلم: قوله: «ذرهـم» تهديدٌ. وقوله: «فسـوف يعلمون» تهديدٌ آخر!! فمتى يهنأ العيش بين تهديدين؟

اللهم رحمتك ورضاك وعفوك.

۞ ۞ ۞

٣٧٦. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال القرطبي:

أنبأنا الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله عن أبيه الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبي الحسـن علـي بن خلف بن معـزوز الكومي التلمسـاني قال: قُرِئ على الشـيخة العالمة فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري وذلك بمنزلها بدار السـلام في آخر جمادى الآخرة من سـنة أربع وسـتين وخمسـمائة، قيل لها: أخبركم الشـيخ الأجل العامـل نقيب النقباء أبو الفـوارس طراد بن محمد الزينـي قراءة عليه وأنت تسـمعين سنة تسـعين وأربعمائة، أخبرنا علي بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا أبو علـي عيسـى بن محمـد بن أحمد بـن عمر بن عبد الملـك بن عبد العزيـز بن جريج المعروف بالطوماري حدثنا الحسين بن فهم قال: سمعت يحيى بن أكثم يقول:

كان للمأمـون- وهـو أميـرٌ إذ ذاك- مجلس نظـر، فدخل في جملـة الناس رجل يهودي، حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة.

قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة.

قال: فلما أن تقوَّض المجلس دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم.

قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعده.

فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف.

قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما.

قـال: فتكلم على الفقه فأحسـن الكلام، فلمـا تقوَّض المجلس دعـاه المأمون، وقال: ألستَ صاحبنا بالأمس؟

قال له: بلى.

قال: فما كان سبب إسلامك؟

قـال: انصرفتُ من حضرتك فأحببتُ أن أمتحن هـذه الأديان، وأنت مع ما تراني حسن الخط، فعمدتُ إلى التوراة فكتبتُ ثلاث نسخ فزدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتُها الكنيسة فاشتريتْ مني، وعمدتُ إلى الإنجيل فكتبتُ ثلاث نسخ فزدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتُها البيعة فاشـتريتْ مني، وعمدتُ إلى القرآن فعملتُ ثلاث نسخ وزدتُ فيها ونقصتُ، وأدخلتُها الورَّاقين فتصفحوها، فلما أنْ وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمتُ أن هذا كتابٌ محفوظٌ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكثم: فحججتُ تلك السنة فلقيتُ سفيان بن عيينة فذكرتُ له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله ﷻ. قال قلت: في أي موضع؟

قـال: في قـول الله تبارك وتعالـى في التوراة والإنجيل: «بما اسـتحفظوا من كتاب الله»، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]. فحفظه الله ﷻ علينا فلم يضع.

❁ ❁ ❁

٣٧٧. قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

قال الزجاج:

يـروى في التفسـير: أن العبد لو علم قدرَ عفو الله لمَا أمسـك عـن ذنب، ولو علم مقدارَ عقوبته، لبخع نفسه في العبادة، ولمَا أقدم على ذنب.

❁ ❁ ❁

٣٧٨. قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

من لطائف التفاسير:

قيل إن إبليس إنما ذكر هذا الاستثناء؛ لأنه لو لم يذكره لصار كاذبا في ادعاء إغواء الكل، فكأنه استنكف عن الكذب فذكر هذا الاستثناء، وإذا كان الكذب شيئا يستنكفُ منه إبليس، فالمسلم أولى أن يستنكف منه.

۞ ۞ ۞

٣٧٩. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

قال ابن كثير:

أقسم تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريفٌ عظيم، ومقامٌ رفيع، وجاهٌ عريض.

عن ابن عباس، أنه قال: ما خَلق اللهُ وما ذَرأ وما بَرأ نفْسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعتُ اللهَ أقسم بحياةِ أحدٍ غيره. ﷺ.

۞ ۞ ۞

٣٨٠. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

قال ابن القيم:

أكثرُ المفسرين مِن السلف والخلف، بل لا يعرِفُ السلفُ فيه نزاعا أنَّ هذا - يعني قولَه تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قَسَمٌ مِن اللهِ بحياة رسولِه ﷺ، وهذا مِن أعظمِ فضائله، أن يُقسمَ الربُّ ﷻ بحياته، وهذه مزيةٌ لا تُعرف لغيره.

صلى عليك الله ياخير الورى تعداد حبات الرمال وأكثرا

۞ ۞ ۞

٣٨١. قال تعالى عن قوم لوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٢-٧٣].

قال ابن سعدي:

مِن العبر في هذه القصة: أنَّ اللهَ تعالى إذا أراد أنْ يُهلك قريةً، ازداد شرُّهم وطغيانُهم، فإذا انتهى أوقع بهم مِن العقوباتِ ما يستحقونه.

اللهم عفوك ورحمتك وسترك.

۞ ۞ ۞

٣٨٢. قال الله جلَّ في علاه: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٥-٨٦].

قال الطاهر ابن عاشور:

وفي وصف الله بـ ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ إيماءٌ إلى بشارة النبي ﷺ بأن اللهَ يخلُقُ مِن أولئك مَن يعلم أنهم يكونون أولياءَ للنبي ﷺ، وهم الذين آمنوا بعد نزول هذه الآية والذين وُلدوا، كقول النبي ﷺ: «لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده».

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب -وكان في أيام الجاهلية من المؤذين للنبي ﷺ-:

دعانيَ داعٍ غير نفسي وردَّني إلى الله مَن أطردتُه كلَّ مَطردِ

يعني بالداعي النبي ﷺ. وتلك هي نكتةُ ذِكرِ وصفِ الخلَّاق دون غيره من الأسماء الحسنى. والعدولُ إلى ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ دون {إن الله} للإشارة إلى أن الذي هو ربُّه ومدبرُ أمرِه لا يأمره إلا بما فيه صلاحُه، ولا يقدر إلا ما فيه خيره.

۞ ۞ ۞

٣٨٣. قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٥-٨٧].

قال الرازي:

مَنْ تذكَّرَ كثرةَ نِعمِ اللهِ عليه سَهُلَ عليه الصفحُ والتجاوز.

۞ ۞ ۞

٣٨٤. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧].

جاء في تفسير البغوي:

قال عمر وعلي وقتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب.

واختلفوا في علة تسمية الفاتحة بالمثاني:

قال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنها تُثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة.

وقيل: لأنها مقسومةٌ بين الله وبين العبد نصفين، نصفها ثناء ونصفها دعاء.

وقال الحسين بن الفضل: لأنها نزلت مرتين: مرةً بمكة، ومرةً بالمدينة، كلُّ مرةٍ معها سبعون ألف ملك.

وقال مجاهد: لأنَّ اللهَ تعالى استثناها وادَّخرها لهذه الأمة فما أعطاها غيرهم.

وقال أبو زيد البلخي: لأنها تَثني أهلَ الشَّرِ عن الفسق.

وقيل: لأنَّ أولها ثناء.

۞ ۞ ۞

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨].

قال الشنقيطي في أضوائه:

لما بين تعالى أنه آتى النبيَّ ﷺ السبعَ المثاني والقرآنَ العظيم -وذلك أكبرُ نصيب، وأعظمُ حظٍ عند الله تعالى- نهاه أن يمُدَّ عينيه إلى متاع الحياة الدنيا الذي

متَّع به الكفار؛ لأن من أعطاه ربه ﷻ النصيبَ الأكبر والحظَّ الأوفر، لا ينبغي له أن ينظر إلى النصيبِ الأحقر الأخس، ولا سيما إذا كان صاحبه إنما أعطيه لأجل الفتنة والاختبار.

۞ ۞ ۞

٣٨٥. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨].

قال ابن جزي:

لا تنظرْ إلى ما متعناهم به في الدنيا؛ كأنَّه يقول: قد آتيناك السبعَ المثاني والقرآنَ العظيم، فلا تنظرْ إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظمُ منها.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٣٨٦. قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

قال أمير الخطباء صالح بن حميد:

والمجد... للتواضع، وأكثر الأرض انتفاعا ما كان أكثرها انخفاضا.

۞ ۞ ۞

٣٨٧. قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨].

قال ابن بلقاسم {بتصرف}.

عيوننا هي التي تسرق قلوبنا للتعلق بالدنيا! نتمعن ننظر وندور، ننظر بطرْف لا يحور، في المتاجر والدور، والمراكب والقصور، ثم نريد أن نكون زُهادًا!! اصرف بصرك، ولا تمدنَّ عينك؛ فثمَّ السعادة والهناء.

۞ ۞ ۞

٣٨٨. قـال تعالـى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

قال صِدِّيق حسن خان:

قال عون بن عبدالله بن عتبة: كنتُ أصحبُ الأغنياءَ فما كان أحدٌ أكثرَ همًّا مني!!

كنتُ أرى دابةً خيرًا مِن دابتي، وثوبًا خيرًا مِن ثوبي.

فلما سمعتُ هذا الحديث صحبت الفقراءَ فاسترحتُ.

۞ ۞ ۞

٣٨٩. قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨].

قال الشنقيطي:

الكمـالُ يكون بأمرين: أحدهما: التخلـي عن الرذائل، والتنزهُ عما لا يليق، وهذا معنى التسـبيح. والثاني: التحلـي بالفضائل، والاتصاف بصفات الكمال، وهذا معنى الحمد، فتم الثناء بكل كمال.

ولأجـل هذا المعنـى ثبت في الصحيح عنـه ﷺ أنه قال: «كلمتـان خفيفتان على اللسـان، ثقيلتـان في الميزان، حبيبتـان الى الرحمن: سـبحان الله وبحمده، سـبحان الله العظيم».

سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ النَّحۡلِ

٣٩٠. قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: ٦].

قال أبو حيان:

أراح الماشية: ردَّها بالعشي من المرعى، وسرَّحها: أخرجها غدوةً إلى المرعى، وقدَّم الإراحة على السَّرح؛ لأن الجَمَالَ فيها أظهرُ إذا أقبلتْ ملأى البطون، حافلةَ الضروع، ثم أوتْ إلى الحظائر، بخلاف وقتِ سرحها، وإنْ كانت في الوقتين تُزين الأفنية، وتجاوب فيها الرغاء والثغاء، فيأتنِسُ بها أهلُها، وتُفرِحُ أربابَها، وتُجِلُّهم في أعين الناظرين إليها، وتُكسبهم الجاهَ والحرمةَ.

٭٭٭

٣٩١. قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١].

قال الآلوسي مستفيدا من الرازي:

فإنَّ منْ تفكَّر في أنَّ الحبةَ والنواةَ تقعُ في الأرضِ وتصلُ إليها نداوةٌ تنفذُ فيها فينشقُ أسفلُها فيخرجُ منه عروقٌ تنبسط في الأرض وإنْ كانت صلبةً.

وينشقُّ أعلاها وإنْ كانت منتكسةً في الوقوع فيخرجُ منها ساقٌ فينمو فيخرجُ منه الأوراقُ والأزهارُ والحبوبُ والثمارُ المشتملةُ على أجسامٍ مختلفةِ الأشكالِ والألوانِ والخواصِ والطبائع، وعلى نواةٍ قابلةٍ لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية، مع اتحاد الماء والأرض والهواء وغيرها بالنسبة إلى الكل، علم أنَّ مَن هذه آثارُه لا يمكنُ أنْ يشبهَه شيءٌ في شيءٍ من صفات الكمال، فضلا عن أن يشاركَه – في

أخصِّ صفاتِه التي هي الألوهيةُ واستحقاقُ العبادةِ - أخسُّ الأشياء كالجماد، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

۞ ۞ ۞

٣٩٢. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

قال أبو حيان:

فأما قوله: ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾ فعامٌ في النساء والرجال، وأما قوله: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ فخاصٌ بالنساء، والمعنى: يلبسها نساؤكم. وأسنَدَ اللبسَ إلى الذكور؛ لأنَّ النساءَ إنما يتزيَّن بالحِلية مِن أجلِ رِجالهن، فكأنها زينتُهم ولباسُهم.

۞ ۞ ۞

٣٩٣. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

قال القرطبي:

وعن الحسين بن علي أنه مَرَّ بمساكين قد قدَّموا كِسَرًا بينهم، وهم يأكلون، فقالوا: الغداء يا أبا عبد الله، فنزل وجلس معهم، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ فلما فرغ قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم وانصرفوا.

قال العلماء: وكلُّ ذنبٍ يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر، فإنه فسقٌ يلزمه الإعلان، وهو أصلُ العصيانِ كلِّه.

۞ ۞ ۞

٣٩٤. قال تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

وقال بعد ذلك عن المتقين: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: ٣٠].

قال الثعلبي:

فإنْ قيل: لِم ارتفعَ الجوابُ في قولِه: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وانتصبَ في قوله: ﴿خَيۡرٗا﴾؟ فالجواب: أنَّ المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل، فكأنهم قالوا: الذي يقوله محمدٌ هو أساطيرُ الأولين. والمؤمنون آمنوا بالنزول، فقالوا: أنزل ربنا خيرا.

اللهم قد أنزلت خيرا كثيرا مباركا، فاغفر لنا وارحمنا.

❁ ❁ ❁

٣٩٥. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

وقال: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢].

دلت هذه الآيات وغيرها في القرآن على أنَّ مَن عمل خيرا فله أجران، في الدنيا أجر، وفي الآخرة أجر أعظم.

قال ابن القيم:

تكرر هذا المعنى في سورة النحل دون غيرها في أربعة مواضع لِسرٍّ بديع؛ فإنها سورة النعم التي عدَّد اللهُ سبحانه فيها أصولَ النعم وفروعَها، فعرَّف عبادَه أنَّ لهم عنده في الآخرة مِن النِّعم أضعافَ هذه بما لا يُدرك تفاوته، وأنَّ هذه مِن بعض نعمِه

العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نِعما أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجورَ أعمالِهم تمام التوفية.

۞ ۞ ۞

٣٩٦. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ [النحل: ٨٠].

قال ابن العربي:

يعني جلود الإبل والبقر والغنم، فإنه يتخذ منها بيوتا، وهي الأخبية، فتضرب فيسكن فيها، ويكون بنيانا عاليها ونواحيها، وهذا أمر انتشر في تلك الديار، وعريت عنه بلادنا، فلا تضرب الأخبية إلا من الكتان والصوف.

وقد «كان للنبي - ﷺ - قُبَّةٌ من أُدُم»، وناهيك بأديم الطائف غلاءً في القيمة، واعتلاءً في الصفة، وحسنًا في البشرة. ولم يَعُدَّ ذلك - ﷺ - ترفًا ولا رآه سرفًا؛ لأنه مما امتن الله به مِن نِعَمِه، وأذن فيه مِن متاعه، وظهرتْ وجوهُ منفعته في الاكتنان والاستظلال الذي لا يقدر على الخروج عنه جنس الإنسان.

ومن غريب ما جرى أني زرتُ بعض المتزهدين من الغافلين مع بعض رجال المحدثين، فدخلنا عليه في خباءِ كتَّان، فعرض عليه صاحبي المحَدِّث أن يحمله إلى منزله ضيفا، وقال: إن هذا موضعٌ يكثر فيه الحر، والبيتُ أرفق بك، وأطيبُ لنفسي فيك. فقال له: هذا الخباء لنا كثير. وكان في صنفها من الحقير!!

فقلت له: ليس كما زعمتَ!! قد كانت لرسول الله ﷺ وهو رئيس الزهاد قبةٌ من أدم طائفي يسافر معها، ويستظل بها، فبهت ورأيته على منزلة من العِي، فتركته مع صاحبي، وخرجتُ عنه. انتهى كلام ابن العربي.

۞ ۞ ۞

٣٩٧. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

قال ابن كثير:

ومـن لطائف الاسـتعاذة: أنها طهـارةٌ للفم ممـا كان يتعاطاه من اللغـو والرفث، وتطييبٌ له، وتهيؤٌ لتلاوة كلام الله.

وهـي اسـتعانةٌ بالله، واعترافٌ لـه بالقدرة، وللعبد بالضعـف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يَقدرُ على منعه ودفعِه إلا اللهُ الذي خلقه، ولا يقبلُ مصانعةً، ولا يُدارَى بالإحسان.

۞ ۞ ۞

٣٩٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال قتادة:

مـن يتَّقِ اللهَ يكنِ اللهُ معه، ومن يكـن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

وكتب بعض السلف إلى أخٍ له:

أما بعد، فإنْ كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟

۞ ۞ ۞

٣٩٩. قال تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٧].

قال الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي:

فلْيستحِ المجرمُ مِن ربه أنْ تكون نعمُ اللهِ عليه نازلةً في جميع اللحظات، ومعاصيه صاعدةً إلى ربه في كلِّ الأوقات، ولْيعلم أنَّ اللهَ يمهلُ ولا يهمل، وأنه إذا أَخَذَ العاصي أَخَذَه أَخْـذَ عزيزٍ مقتدر، فليتبْ إليه، وليرجعْ في جميع أموره إليه؛ فإنه رءوفٌ رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسـعة وبرِّه العميم، وسـلوكِ الطرقِ الموصلةِ إلى فضلِ الربِّ الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه.

اللهـم أنزل رحمتك علينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا وابن سـعدي وجميع المسلمين والمسلمات.

۞ ۞ ۞

٤٠٠. قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [النحل: ٥٢].

قال محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٤ هـ):

واصبا: دائما، أي: لله ﷻ الطاعةُ والذلُ والخضوعُ دائما؛ لأنه لا يضعف سلطانُه، ولا يُعزل عن سلطانه، ولا يموت ولا يُغلب، ولا يتغير له حال، بخلاف ملوك الدنيا؛ فإنَّ الواحدَ منهم يكون مطاعا، له السلطنة والحكم، والناس يخافونه ويطمعون فيما عنده برهة من الزمن، ثم يُعزل أو يموت، أو يَذلُّ بعد عز، ويَتَّضِعُ بعد رفعة؛ فيبقى لا طاعة له ولا يَعبأ به أحد.

فسـبحان من لم يتخذ ولدا، ولـم يكن له شـريك في الملك، ولـم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيرا.

قلت: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ وأهلنا الأولون يقولون: جادَّةُ الطُّوعِ طويلة!!

اللهم رحمتك وحسن الختام.

۞ ۞ ۞

٤٠١. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

قال أبومحمد الوليعي:

استشعروا نعمَة المأوىٰ بكلِّ حواسكم في الليلة الباردة، نعمَةَ السَّقفِ مِن فوقكم، ونعمـةَ الغطاء الدافـئ والفراش الوثير من تحتكم. تأمَّلوا السَّـعة التي حباكم الله بها، واشكروه علىٰ نِعمه يزِدكم، واذكروا مَن هُم دونكم بالدُّعاء والصدقة.

دمتم في نِعم الله وخيراته.

۞ ۞ ۞

٤٠٢. قال الله جل شأنه: ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

قال ابن بلقاسم:

مهما كانت بيئتُك قاسيةً وملوثةً، يمكنُ أنْ تكونَ أنت نقيًا صافيا.

۞ ۞ ۞

٤٠٣. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل: ٦٦].

أورد القرطبي عددا من الفوائد منها:

١- قول أبي بكر الوراق: العبرةُ في الأنعام تسخيرُها لأربابها وطاعتُها لهم، وتمرُّدُك على ربِّك وخلافُك له في كل شيء.

ومِن أعظم العبر: بريءٌ يَحملُ مذنبا.

٢- ﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ أي لذيذا هنيئا لا يَغصُّ به مَن شربَه.

٣- في هذه الآية دليل على استعمال الحلاوة والأطعمة اللذيذة وتناولها، ولا يقال: إن ذلك يناقض الزهد أو يباعده، لكن إذا كان من وجهه ومن غير سرف ولا إكثار.

٤- روي عن الحسن أنه كان على مائدة، ومعه مالك بن دينار، فأتي بفالوذج فامتنع مالكٌ عن أكله، فقال له الحسن: كُلْ، فإنَّ عليك في الماء البارد أكثر من هذا!!

۞ ۞ ۞

٤٠٤. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

قال ابن القيم:

فَسَـلِ المعطِّل الجاحد: مَن الذي دبَّر هذا التدبير؟ وقدَّر هذا التقدير؟ وأتقن هذا الصنع، ولطف هذا اللطف، سوى اللطيف الخبير؟

۞ ۞ ۞

٤٠٥. قال تعالى عن النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

قال الزمخشري:

ومن بدع تأويلات الرافضة: أنَّ المرادَ بالنحل عليٌّ وقومه!!

وعن بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما النحلُ بنو هاشم، يخرج مِن بطونهم العلمُ.

فقال له رجل: جعل اللهُ طعامَك وشرابَك مما يخرج مِن بطونهم!!

فضحك المهدي!!

وحدَّث به المنصورَ، فاتخذوه أضحوكةً من أضاحيكهم.

۞ ۞ ۞

٤٠٦. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

قال الشنقيطي:

كما أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعة، والمؤمنَ يثابُ على إيمانه وعلى طاعته، فكذلك الكفرُ يزدادُ بالمعاصي، ويجازى الكافرُ على كفرِه وعلى عصيانِه.

فعذابٌ على الكفر، وعذابٌ على الإفساد.

۞ ۞ ۞

٤٠٧. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال القرطبي:

قال ابن مسعود: هذهِ أجمعُ آيةٍ في القرآن، لِخيرٍ يُمتثل، ولِشرٍ يُجتنب.

۞ ۞ ۞

٤٠٨. قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

قال أبو السعود (٩٨٢ هـ):

﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾، وإنْ جمَّ عددُه، وينقضي وإنْ طالَ أمدُه ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من خزائن رحمتِه الدنيوية، والأخروية ﴿بَاقٖۗ﴾ لا نفاد له.

أما الأخروية فظاهرة، وأما الدنيوية فحيث كانت موصولةً بالأخروية، ومستتبعةً لها، فقد انتظمت في سِمط الباقيات الصالحات.

وفي إيثارِ الاسمِ ﴿بَاقٖۗ﴾ على صيغة المضارع (يبقى) مِن الدلالة على الدوام ما لا يخفى.

۞ ۞ ۞

٤٠٩. قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النحل: ٩٦].

قال السعدي عليه رحمات الله ورضوانه:

«ليس بعاقلٍ مَن آثَرَ الفانيَ الخسيسَ على الباقي النفيس».

۞ ۞ ۞

٤١٠. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٩].

قال ابن عطية:

هذه آيةُ تأنيسٍ لجميع العالَم! أخبر الله تعالى فيها أنه يغفر للتائب، والآية إشارةٌ إلى الكفار الذين افتروا على الله، وفعلوا الأفاعيل المذكورة، فهم إذا تابوا من كفرهم بالإيمان، وأصلحوا بأعمال الإسلام، -غفر الله لهم، وتناولت هذه -بعد ذلك- كلَّ واقعٍ تحت لفظها من كافرٍ وعاصٍ.

ثم قال: والجهالةُ عندي في هذا الموضع ليست ضدَّ العلم، بل هي تعدي الطَّور وركوبُ الرأس.

قلت: ويا كم تعدينا طورنا وركبنا رأسنا وعصيناك يا ربنا!! لكن رحمتك أوسع من ذنبنا. فاللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

۞ ۞ ۞

٤١١. قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

قال ابن القيم:

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو. وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيته؛ فإن الله مع الصابرين.

۞ ۞ ۞

٤١٢. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

قال أبو السعود عن هذين النهيين:

الأول: نهيٌ عن التألم بمطلوبٍ مِن قِبلهم فات.

والثاني: نهيٌ عن التألم بمحذور مِن جهتهم آت.

۞ ۞ ۞

سورة الإسراء

٤١٣. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

قال القنوجي:

قال أهل العلم: لو كان غيرُ هذا الاسم أشرفَ منه لسمَّاه اللهُ سبحانه به في هذا المقام العظيم والحالة العليَّة.

۞ ۞ ۞

٤١٤. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال الزمخشري:

للحالة التي هي أقومُ الحالات وأسدُّها، أو للملة، أو للطريقة. ثم قال: وأينما قدَّرتَ لم تجدْ مع الإثباتِ ذوقَ البلاغة الذي تجده مع الحذف؛ لما في إبهام الموصوف بحذفه مِن فخامةٍ تُفقَدُ مع إيضاحه.

۞ ۞ ۞

٤١٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال أحمد عبدالمنعم:

من أعاجيب هذا القرآنِ العظيمِ أنه يلامس شيئًا بداخلك يسكن في أعماقك، كأنَّ هذا الشيءَ كان ينتظر؛ يبحثُ عنه، يشتاقُ إلى كلماته، يحيا بصوته، ثم لا يستغني عنه؛ فَمِنْه قوته وغذاؤه وفرحه ونشاطه.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا.

۞ ۞ ۞

٤١٦. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

قال ابن الجوزي:

وكان أبو السوار العدوي إذا قرأ هذه الآية قال: نشرتانِ وطَيَّةٌ!!

أمَّا ما حَيِيتَ يا ابنَ آدم، فصحيفتُك منشورةٌ، فَأَمْلِ فيها ما شِئتَ، فإذا مِتَّ طُويتْ، ثم إذا بُعِثْتَ نُشِرتْ!!

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وعافنا واعف عنا.

۞ ۞ ۞

٤١٧. قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

قال القرطبي:

قال الحسن: يقرأُ الإنسانُ كتابَه، أُمِّيًا كان أو غيرَ أُمِّي.

وقال بعضُ الصلحاء:

هذا كتابٌ: لسانُك قلمُه، وريقُك مدادُه، وأعضاؤك قرطاسُه، أنت كنتَ المُمْلِي على حَفَظَتِك، ما زِيدَ فيه، ولا نُقِص منه، ومتى أنكرتَ منه شيئا، يكونُ فيه الشاهدُ منك عليك!!

اللهم سترك ورحمتك وعفوك.

۞ ۞ ۞

٤١٨. قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

قال القرطبي:

قال الحسن: عَدَلَ واللهِ عليك مَن جعلك حسيبَ نفسِك!

اللهم رحمتك وسترك ولطفك.

۞ ۞ ۞

٤١٩. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

قال البقاعي:

عطاءُ الله ليس ممنوعًا في الدنيا عن مؤمنٍ ولا كافر، بل هو ملء السهل والجبل، من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار وأقوات الناس والبهائم، وغير ذلك مما لا يحصيه إلا الله، حتى لو اجتمع كلُّ الناس على جمعه ليلا ونهارًا، ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لأعياهم ولم يقدروا عليه، فسبحان الجواد الواسع المعطي المانع.

سبحانك ربنا لا نحصي ثناء عليك.

۞ ۞ ۞

٤٢٠. قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

قال ابن القيم:

أساسُ الشركِ وقاعدتُه التي بُنِيَ عليها: التعلُّقُ بغيرِ الله.

ولِصاحبِهِ الذَّمُّ والخذلان، مذمومًا لا حامدَ له، مخذولًا لا ناصرَ له.

۞ ۞ ۞

٤٢١. قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٥].

قال الرازي:

واعلم أنَّ التفاوتَ الحاصلَ بسبب نقصانِ الكيلِ والوزنِ قليلٌ، والوعيدَ الحاصلَ عليه شديدٌ عظيم؛ فوجب على العاقلِ الاحترازُ منه، وإنما عظُم الوعيدُ فيه لأنَّ جميعَ الناسِ محتاجون إلى المعاوضاتِ والبيعِ والشراء، وقد يكون الإنسانُ غافلًا لا يهتدي إلى حفظ ماله، فالشارعُ بالغَ في المنعِ من التطفيف والنقصان؛ سعيًا في إبقاء الأموال

على المُلَّاك، ومنعًا من تلطيخ النفس بسرقة ذلك المقدار الحقير.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٤٢٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن القيم:

فإذا كان العبد مسؤولًا ومحاسَبًا على كل شيء، حتى على سمعه وبصره وقلبه، فهو حقيقٌ أن يُحاسِب نفسَه قبل أن يُناقش الحساب.

اللهم ألهمنا رشدنا واعف عنا.

۞ ۞ ۞

٤٢٣. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٦].

قال القرطبي:

أيْ قلتَ: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن.

وقال التابعي الجليل أبو الجوزاء أوسُ بنُ عبدِ الله الربعي:

ليس شيءٌ أطردَ للشياطين مِن القلب مِن قول: لا إله إلا الله، ثم تلا: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾.

۞ ۞ ۞

٤٢٤. قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال ابن عباس وأبو العالية والحسن والضحاك:

أي: بكتاب أعمالهم. ورجحه ابن كثير؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

وقوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

۞ ۞ ۞

٤٢٥. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال قتادة:

ما جالَسَ أحدٌ القرآنَ إلا قام عنه بزيادةٍ أو نقصان.

۞ ۞ ۞

٤٢٦. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال الشنقيطي:

قوله: ﴿شِفَآءٌ﴾ يشمل كونَه شفاءً للقلب مِن أمراضه؛ كالشك والنفاق وغير ذلك، وكونَه شفاءً للأجسام إذا رُقي عليها به، كما تدل له قصة الذي رَقى الرجلَ اللديغَ بالفاتحة.

۞ ۞ ۞

٤٢٧. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال ابن القيم:

وكيف تقاومُ الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرضِ والسماء، الذي لو أُنزِلَ على الجبالِ لصدعها، أو على الأرض لقطعها!؟ فما مِن مرضٍ مِن أمراض القلوبِ والأبدانِ إلا وفي القرآنِ سبيلٌ للدلالة على دوائه وسببِه والحمية منه، لِمَن رزقه اللهُ فهما في كتابه. فمَن لم يشفِه القرآنُ فلا شفاه الله، ومَن لم يكفِه فلا كفاه الله.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا.

۞ ۞ ۞

٤٢٨. قال تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٤].

قال شقيق بن إبراهيم:

أُغلق بابُ التوفيق عن الخلق من ستة أشياء:

اشتغالِهم بالنعمة عن شكرها.

ورغبتِهم في العلم، وتركِهم العمل.

والمسارعةِ إلى الذنب، وتأخيرِ التوبة.

والاغترارِ بصحبة الصالحين، وتركِ الاقتداء بفعالهم.

وإدبارِ الدنيا عنهم، وهم يتبعونها.

وإقبالِ الآخرة عليهم، وهم معرضون عنها.

قال ابن القيم معلقا عليه:

وأصلُ ذلك عدمُ الرغبةِ والرهبةِ، وأصلُه ضعفُ اليقين، وأصلُه ضعفُ البصيرة، وأصلُه مهانةُ النفسِ ودناءتُها، واستبدالُ الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإلا فلو كانت النفسُ شريفةً كبيرةً لم ترضَ بالدُّون؛ فأصلُ الخيرِ كلِّه بتوفيقِ الله ومشيئتِه وشرفِ النفس ونبلِها وكبرها، وأصلُ الشرِّ خستُها ودناءتُها وصغرُها؛ قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

أي: أفلح مَن كبَّرها وكثَّرها ونمَّاها بطاعة الله، وخاب مَن صغَّرها وحقَّرها بمعاصي الله، فالنفوسُ الشريفةُ لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلِها وأحمدِها عاقبة، والنفوسُ الدنيئةُ تحومُ حول الدناءاتِ، وتقعُ عليها، كما يقع الذبابُ على الأقذار، فالنفسُ الشريفةُ العليَّةُ لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبرُ من ذلك وأجلُّ، والنفسُ المهينةُ الحقيرةُ والخسيسةُ

بالضد من ذلك؛ فكلُّ نفسٍ تميلُ إلى ما يناسبُها ويشاكلُها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾.

اللهم اجعل نفوسنا تواقةً للقائك، ذاكرةً لآلائك، شاكرةً لعطائك.

❁ ❁ ❁

٤٢٩. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال السعدي أسعده الله:

وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقصُ من جميع الوجوه، الذي ليس له علمٌ ولا قدرةٌ ولا إرادةٌ ولا مشيئةٌ ولا كلامٌ ولا كمالٌ إلا من ربه، أن يعارضَ كلام ربِ الأرض والسماوات، المطلِعِ على سائر الخفيات، الذي له الكمالُ المطلق، والحمدُ المطلق، والمجدُ العظيم، الذي لو أنَّ البحرَ يمده من بعده سبعة أبحر مدادا، والأشجارَ كلها أقلام، لنفد المدادُ، وفنيت الأقلامُ، ولم تنفد كلماتُ الله.

فكما أنه ليس أحدٌ من المخلوقين مماثلا لله في أوصافه، فكلامُه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى.

فتبًّا لمن اشتبه عليه كلامُ الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمدًا ﷺ افتراه على الله واختلقه من نفسه.

❁ ❁ ❁

٤٣٠. قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

قال الآلوسي:

وقد بلغت هذه الآية في الوصف بالشُّحِّ الغايةَ القصوى التي لا يبلغها الوهم؛ حيث أفادت أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله تعالى التي لا تتناهى وانفردوا بملكها من غير مزاحم أمسكوها من غير مقتضٍ إلا خشيةَ الفقر!! وإن شئت فَوازِن بقول الشاعر:

ولو انَّ دارَك أنبتتْ لك أرضُها إبـرًا يضيـقُ بهـا فنـاءُ المنـزلِ

وأتـاك يوسفُ يستعيرك إبـرةً ليخيـط قـدَّ قميصِـه لـم تفعـلِ

مع أن فيه من المبالغات ما يزيد على العشرة؛ ترى التفاوت الذي لا يحصر.

۞ ۞ ۞

٤٣١. قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

قال الطبري:

قال التيمي: مَن أوتي مِن العلم ما لا يبكيه لَخليقٌ أن لا يكون أوتيَ علما ينفعُه؛ لأنَّ اللهَ نعتَ العلماءَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ إلى: ﴿وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾.

۞ ۞ ۞

٤٣٢. قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

قال القرطبي:

وحُقَّ لكل مَن توسَّم بالعلم وحصَّل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشعَ عند استماع القرآن ويتواضعَ ويذِل.

۞ ۞ ۞

٤٣٣. قال تعالى: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

قال أبو حيان:

التكبيـرُ أبلغُ لفظةٍ للعرب في معنـى التعظيم والإجلال، وأكَّد بالمصدر تحقيقا له وإبلاغا في معناه. وابتُدئت هذه السورة (الإسراء) بتنزيه الله تعالى واختتمت به.

۞ ۞ ۞

٤٣٤. قـال تعالـى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

قال ابن عطية:

أبلغُ لفظةٍ للعربِ في معنى التعظيمِ والإجلالِ: الله أكبر**!!**

وقال القرطبي:

وفي الخبرِ هذهِ آيةُ العزِ.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الكَهْفِ

٤٣٥. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكهف: ١].

قال أبو السعود:

أي: الكتابَ الكاملَ الغنيَ عن الوصفِ بالكمال، المعروفَ بذلك من بين الكتب، الحقيقَ باختصاص اسم الكتاب به.

وفي وصفه تعالى بالموصول إشعارٌ بعِلِّية ما في حيِّز الصلة لاستحقاق الحمد، وإيذانٌ بِعِظم شأنِ التنزيل الجليل، كيف لا؟ وعليه يدور فلكُ سعادةِ الدارين. وفي التعبير عن الرسول ﷺ بالعبد مضافا إلى ضمير الجلالة تنبيهٌ على بلوغه ﷺ إلى أعلى معارج العبادة، وتشريفٌ له أيُّ تشريف، وإشعارٌ بأنَّ شأنَ الرسول أن يكون عبدا للمرسِل سبحانه.

❁ ❁ ❁

٤٣٦. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكهف: ١].

قال ابن عثيمين:

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ هو وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيمًا، فخرج بقولنا: محبة وتعظيمًا المدحُ؛ لأنَّ المدحَ لا يستلزم المحبة والتعظيم، بل قد يمدحُ الإنسانُ شخصًا لا يساوي فلسًا!! لكن لرجاء منفعة أو دفع مضرة، أما الحمدُ فإنه وصفٌ بالكمال مع المحبة والتعظيم.

❁ ❁ ❁

٤٣٧. قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

قال ابن سعدي:

وفي هـذه الآية ونحوهـا عبرة، فـإنَّ المأمورَ بدعـاء الخلق إلى الله، عليـه التبليغُ والسـعيُ بكل سببٍ يوصل إلى الهداية، وسدُّ طرقِ الضلالِ والغوايةِ بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإنِ اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزنْ ولا يأسفْ، فإن ذلـك مُضْعفٌ للنفس، هادمٌ للقُوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كُلف بـه وتوجـه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي ﷺ يقول الله له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وموسى عليه السلام يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ [المائدة: ٢٥]. الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى.

❁ ❁ ❁

٤٣٨. قال تعالى: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾ [الكهف: ١١].

قال القرطبي:

١ - عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم. وهذه من فصيحاتِ القرآن التي أقرَّت العربُ بالقصور عن الإتيان بمثله.

٢ - قال الزجاج: أي منعناهم عن أنْ يسمعوا؛ لأن النائمَ إذا سمع انتبه.

٣ - قـال ابـن عبـاس: ضربنـا علـى آذانهـم بالنـوم، أي سـدَدْنا آذانهم عـن نفوذ الأصواتِ إليها.

٤ - قال قطرب: هذا كقول العرب: ضربَ الأميرُ على يدِ الرعية، إذا منعهم الفساد.

٥ - وأمـا تخصيـصُ الآذان بالذكر فلأنهـا الجارحة التي منها معظمُ فسـادِ النوم، وقلما ينقطعُ نومُ نائمٍ إلا مِن جهة أُذنِه، ولا يَستحكِمُ نومٌ إلا مِن تعطُّلِ السمع.

٦ - ومِن ذِكْرِ الأُذُنِ في النوم قوله ﷺ: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه». أشار عليه السلام إلى رجلٍ طويلِ النوم، لا يقوم الليل.

٧- و«عددا» نعتٌ للسنين، أي: معدودة، والقصد به التكثير؛ لأن القليل لا يحتاج إلى عدَد؛ لأنه قد عُرِف.

۞ ۞ ۞

٤٣٩. قال تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤].

قال السعدي:

استدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، ولهذا قالوا: ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ﴾ [الكهف: ١٤].

فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله لهم.

۞ ۞ ۞

٤٤٠. قال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

قال إلكيا الهراسي:

يدل ذلك على جواز خلطِ دراهمِ الجماعةِ والشراءِ بها والأكلِ من الطعام الذي بينهم بالشِّرْكة، وإنْ كان فيهم مَنْ يأكلُ أكثرَ ومَن يأكلُ أقل، وهو الذي يسميه الناس المناهدة، ويفعلونه في الأسفار، وذلك أنه قال: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ فأضاف الورِق إلى الجميع.

۞ ۞ ۞

٤٤١. قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾ [الكهف: ٤٥].

قال ابن جزي:

ومعنى المثل: تشبيهُ الدُّنيا في سرعةِ فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

٤٤٢. قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

قال القرطبي:

قالت الحكماء: إنما شبَّه تعالى الدنيا بالماءِ؛ لأنَّ الماءَ لا يستقرُّ في موضع، وكذلك الدنيا لا تَبقى على واحد.

ولأنَّ الماءَ لا يستقيمُ على حالةٍ واحدة، وكذلك الدنيا.

ولأن الماءَ لا يبقى، ويذهب، وكذلك الدنيا تفنى.

ولأنَّ الماءَ لا يقدرُ أحدٌ أنْ يدخلَه ولا يبتلَّ، وكذلك الدنيا لا يسْلمُ أحدٌ دخلها مِن فتنتها وآفتها.

ولأن الماءَ إذا كان بِقَدَرٍ كان نافعا مُنْبتا، وإذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا، وكذلك الدنيا، الكفافُ منها ينفع، وفُضولها يَضُر.

❁ ❁ ❁

٤٤٣. قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قال ابن عطية:

إشفاقُ المجرمين: فزعُهم مِن كشفه لهم وفضحِه، فشكايةُ المجرمين إنما هي مِن الإحصاء، لا من ظلم ولا حيف!!

وقـدَّم «الصغيـرة» اهتماما بها؛ لينبه منها ويدلَّ أنَّ الصغيـرةَ إذا أحصيتْ فالكبيرة أحرى بذلك!!

والعـربُ أبدا تقدِّم في الذِّكر الأقـلَ مِن كلِّ مقترنين، ونحو هـذا قولهم: القمران والعمران، سموا باسم الأقلِّ؛ تنبيهًا منهم.

وقال القرطبي:

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتاه!! ضَجُّوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر!!

وقال قتادة:

اشـتكى القومُ الإحصاءَ، وما اشـتكى أحدٌ ظلما؛ فإياكم ومحقَّراتِ الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

قال القاسمي:

قـال البقاعـي عليه الرحمة: إنَّ لام الجرِّ رُسـمتْ مفصولةً يعنـي: «مال هذا»؛ في الرسم العثماني، إشارة إلى أنهم لشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة.

اللهم لطفك بنا وبعبادك المؤمنين والمؤمنات.

۞ ۞ ۞

٤٤٤. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

قال الشنقيطي:

وفي هذه الآيةِ الكريمةِ التنبيهُ على أنَّ الضالينَ المضلِّينَ لا تنبغي الاستعانةُ بهم.

۞ ۞ ۞

٤٤٥. قـال تعالـى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

قال أبو السعود وتبعه الآلوسي رحمهما الله:

وفي الآيـةِ تهكُّـمٌ بالكفار، وإيذانٌ بكمـالِ ركاكةِ عقولِهم وسـخافةِ آرائهم؛ حيث لا يفهمون هذا الأمرَ الجليَّ الذي لا يكادُ يشـتبهُ على البُلْهِ والصبيانِ فيحتاجون إلى التصريح به.

اللهم ارحمنا ووالدينا وذرياتنا وأبا السعود والآلوسي.

۞ ۞ ۞

٤٤٦. قـال تعالـى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١].

قال جمال الدين القاسمي:

وإذا لم يكونوا عضُدا في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة؟ واستحقاقُ العبادة مِن توابع الخالقية. والاشتراكُ فيه يستلزم الاشتراك فيها. والخالقيةُ منفية عن غيـره تعالـى، فينتفي لازمها، وهو اسـتحقاقُ عبادةِ ذلك الغير، وهـم المضلون، فلا يكونون أربابا.

اللهم ارحم أهل العلم ومن أحبهم.

۞ ۞ ۞

٤٤٧. قـال تعالـى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف: ٦٠].

قال القرطبي:

في هذا من الفقه: رحلةُ العالم في طلب الازدياد من العلم، والاسـتعانةُ على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنامُ لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.

وكان ذلك دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصحَّ لهم من الذكر والأجر والفضل أفضلُ الأقسام.

۞ ۞ ۞

٤٤٨. قال تعالى: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢].

قال القرطبي:

فيه مسألة واحدة: وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو ردٌ على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامه والقفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار!! هذا موسى نبيُّ الله وكليمُه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد، مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد.

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك.

۞ ۞ ۞

٤٤٩. قال تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

قال القرطبي:

هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط.

۞ ۞ ۞

٤٥٠. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

قال القرطبي:

ويستفادُ مِن هذه الآيةِ: تهوينُ المصائبِ بفقدِ الأولادِ، وإن كانوا قِطَعًا مِن الأكباد. ومَن سَلَّمَ للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء.

قـال قتادة: لقـد فرح به أبواه حين ولـد، وحزنا عليه حين قُتل، ولـو بقي كان فيه هلاكُهما!!

فالواجب على كلِّ امرئ الرضا بقضاءِ الله تعالى؛ فإنَّ قضاءَ اللهِ للمؤمنِ فيما يكرهُ خيرٌ له مِن قضائه له فيما يُحب.

اللهم رضِّنا بقضائك وبارك لنا في عطائك.

۞ ۞ ۞

٤٥١. قال تعالى عن الخضر أنه قال لموسى عليه السلام:

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال السيوطي في (الإكليل):

في هذه الآيات فوائد منها:

أنه لا بأس بالاستخدام واتخاذِ الرفيق والخادم في السفر.

واستحبابُ الرحلة في طلب العلم.

واستزادةُ العالم من العلم.

واتخاذُ الزاد للسفر، وأنه لا ينافي التوكل.

ونسـبةُ النسـيان، ونحوه من الأمور المكروهة، إلى الشـيطان، مجـازا وتأدبا عن نسبتهما إلى الله تعالى.

وتواضعُ المتعلم لمن يتعلم منه ولو كان دونه في المرتبة.

واعتذارُ العالم إلى من يريد الأخذَ عنه في عدم تعليمه مما لا يحتمله طبعه.

وتقديمُ المشيئة في الأمر.

واشتراطُ المتبوعِ على التابع.

وأنه يلزم الوفاءُ بالشروط.

وأن النسيان غير مؤاخذ به.

وأن (للثلاث) اعتبارا في التكرار ونحوه.

وأنه لا بأس بطلب الغريب الطعام والضيافة.

وأن صنعَ الجميل لا يُترك ولو مع اللئام.

وجوازُ أخذ الأجر على الأعمال.

وأنَّ المسكين لا يَخرجُ عن المسكنة بكونه له سفينة أو آلة يكتسب بها، أو شيء لا يكفيه.

وأن الغصبَ حرام.

وأنه يجوز إتلافُ بعضِ مال الغير، أو تعييبُه؛ لوقاية باقيه، كمال المودِع واليتيم.

وإذا تعارض مفسدتان اُرتكب الأخف.

وأن الولد يُحفظُ بصلاح أبيه.

وأنه تجب عمارة ما يخاف منه، ويحرم إهمالها إلى أن تخرب.

وأنه يجوز دفنُ المال في الأرض.

۞ ۞ ۞

٤٥٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال السعدي أسعده الله في الدارين:

فجنةُ الفردوس نزلٌ وضيافةٌ لأهل الإيمان والعملِ الصالح. وأيُّ ضيافةٍ أجلُّ وأكبرُ وأعظمُ من هذه الضيافة المحتوية على كل نعيمٍ للقلوب والأرواح والأبدان؟ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من المنازلِ الأنيقة، والرياضِ الناضرة، والأشجارِ المثمرة، والطيورِ المغردة المشجية، والمآكلِ اللذيذة، والمشاربِ

الشـهية، والنساءِ الحسـان، والخدمِ والولدان، والأنهارِ السـارحة، والمناظرِ الرائقة، والجمالِ الحسي والمعنوي، والنعمةِ الدائمة.

وأعلـى ذلك وأفضلُـه وأجلُّه: التنعمُ بالقرب من الرحمـن ونيلِ رضاه، الذي هو أكبرُ نعيمِ الجنان، والتمتعُ برؤية وجهِه الكريم، وسماعِ كلامِ الرءوفِ الرحيم.

فلله تلـك الضيافةُ: ما أجلَّها وأجملَها! وما أدومَهـا وأكملَها! وهي أعظمُ مِن أنْ يحيط بها وصفُ أحدٍ من الخلائق، أو تخطر على القلوب.

فلـو علِم العبادُ بعضَ ذلك النعيـمِ علما حقيقيا يصل إلـى قلوبِهم، لطارت إليها قلوبُهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحُهم من ألم الفراق!!

ولسـاروا إليهـا زرافات ووحدانـا، ولم يؤثروا عليهـا دنيا فانية، ولـذاتٍ منغصة متلاشـية، ولم يفوتوا أوقاتا تذهب ضائعة خاسـرة، يقابل كلَّ لحظـةٍ منها من النعيم من الحقب آلافٌ مؤلفةٌ.

ولكـنَّ الغفلةَ شـملتْ، والإيمانَ ضعـف، والعلمَ قَـلَّ، والإرادةَ وهتْ، فكان ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

رحماتُ الله وبركاته عليك أيها السعديُّ تترى إلى يوم يبعثون.

۞ ۞ ۞

٤٥٣. قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

قال ابن الجوزي:

فإن قيل: قد عُلم أن الجنةَ كثيرةُ الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حولا؟

فالجـواب: أن الإنسـان قد يجد في الدار الأنيقة معنـىً لا يوافقه، فيحب أنْ ينتقل إلى دار أخرى، وقد يَمَلُّ، والجنةُ على خلاف ذلك.

اللهم رضاك والجنة.

۞ ۞ ۞

٤٥٤. قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف: ١٠٨].

قال ابن كثير:

وفي الآيـة تنبيهٌ على رغبتِهم فيها، وحبِّهم لهـا، مع أنَّه قد يُتوهمُ فيمَن هو مقيمٌ في المـكان دائما أنه يَسـأَمُه أو يَمَلُّه، فأخـبرَ أنهم مع هذا الدوامِ والخلودِ السـرمدي، لا يختارون عن مقامهم ذلك مُتَحَولا ولا انتقالا ولا ظعنا ولا رحلة ولا بدلا.

۞ ۞ ۞

سورة مريم

٤٥٥. قال تعالى عن عبده زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤].

قال القرطبي:

لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتُك، أي إنك عودتني الإجابة فيما مضى.

وعن بعضهم: أنَّ محتاجا سأله وقال: أنا الذي أحسنتَ إليه في وقتِ كذا، فقال: مرحبا بمن توسَّل بنا إلينا! وقضى حاجته.

اللهم لم نكن بدعائك أشقياء، استحفظناك فحفظتنا، ومن كل ما سألناك آتيتنا، ونعمُك علينا لا نحصيها فلك الحمد.

۞ ۞ ۞

٤٥٦. قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥].

قالت الحكماء:

التمر مِن أطيب الطيبات، وقد يسَّره اللهُ لمريم بنت عمران، فهو مصطفى لمصطفاة.

۞ ۞ ۞

٤٥٧. قال تعالى: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ [مريم: ٣٢].

قال الطبري:

وعن بعض أهل العلم، قال: لا تجدُ عاقًّا إلا وجدتَّه جبَّارًا شقيا، ثم قرأ الآية.

قال: ولا تجدُ سيئ المِلْكة إلا وجدتَّه مختالا فخورا، ثم قرأ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

۞ ۞ ۞

٤٥٨. قال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

قال الشنقيطي:

احتج مالك رحمه الله بهذه الآية على القدرية، فقال: ما أشدَّها على أهلِ القدَر! أخبر عيسى عليه السلام بما قُضي مِن أمره وبما هو كائنٌ إلى أن يموت. اهـ.

رحم الله علماءنا.

۞ ۞ ۞

٤٥٩. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ﴾ [مريم: ٣٥].

إلى قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨].

قال القرطبي:

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وأيُّ ضلالٍ أبينُ مِن أنْ يعتقدَ المرءُ في شخصٍ مثلِهِ - حملتْهُ الأرحامُ، وأكَلَ وشربَ، وأحدَثَ واحتاجَ - أنه إله؟!

۞ ۞ ۞

٤٦٠. قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ [مريم: ٥٩].

قال الثعلبي المتوفى عام٤٢٧:

قال وهب: شرَّابون للقهوات، لعَّابون بالكعبات، ركَّابون للشهوات، متَّبعون للذات، تاركون للجُمُعات، مضيِّعون للصلوات.

وأورد ابن كثير في تفسيرها قول كعب الأحبار:

والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله ﷻ: شرَّابين للقهوات، ترَّاكين للصلوات، لعَّابين بالكعبات، رقَّادين عن العتمات، مفرِّطين في الغدوات، ترَّاكين للجُمعات. قال: ثم تلا هذه الآية.

تُطلق (القهوة) قديما على الخمر.

اللهم عافنا واعف عنا، واهدنا واهد بنا.

۞ ۞ ۞

٤٦١. قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

قال القرطبي:

قال مالك بن أنس: طعامُ المؤمنين في اليوم مرتان، وتلا الآية...

ثم قال: وعوَّضَ اللهُ ﷻ المؤمنين في الصيام السحور بدلًا من الغداء؛ ليقووا به على عبادة ربهم.

وقيل:

إنما ذَكر ذلك لأنَّ صفةَ الغداءِ وهيئتَه غير صفةِ العشاءِ وهيئتِه، وهذا لا يعرفُه إلا الملوك!!

وكذلك يكونُ في الجنة رزقُ الغداءِ غير رزق العشاء، تتلونُ عليهم النعم؛ ليزدادوا تنعُّمًا وغبطة.

اللهم فضلك ورحمتك وجنتك.

۞ ۞ ۞

٤٦٢. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٤-٦٥].

قال الإيجي:

عُدِّيَ الفعلُ ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ باللام لتضمنه معنى الثبات، أي: اثبت لها.

وقال أبو السعود:

حين عرفتَ أنه تعالى لا ينساك، ولا ينسى أعمال العاملين كائنا مَن كان، فأقبِلْ على عبادتِه، واصطبرْ على مشاقِّها، ولا تحزنْ بإبطاء الوحي، وهُزْءِ الكفرة، فإنه يراقبُك، ويراعيك، ويلطفُ بك في الدنيا والآخرة.

وقال أهلنا الأولون: جادَّةُ الطُّوع طويلة.

۞ ۞ ۞

٤٦٣. قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

قال ابن سعدي عليه رحمات الله المتتابعات إلى يوم يبعثون:

العملُ الذي هو عنوانُ السعادة، ومنشورُ الفلاح، هو:

العملُ بما يحبُّه الله ويرضاه.

اللهم أنزل شآبيب رحمتك علينا وعلى والدينا وابن سعدي والمسلمين

۞ ۞ ۞

٤٦٤. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ [مريم: ٨٤]

أورد القرطبي في تفسيره أقوالا، منها:

قال الكلبي: آجالهم، يعني الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء أجل العذاب.

وقال ابن عباس: نَعُدُّ أنفاسهم في الدنيا كما نعد سِنِيَّهم.

وقيل الخطوات. وقيل: اللذات. وقيل: اللحظات. وقيل الساعات. وقال قطرب: نعد أعمالهم عدا.

وروي أنَّ المأمونَ قرأ هذه السورة، فمرَّ بهذه الآية -وعنده جماعةٌ من الفقهاء- فأشار برأسه إلى ابن السماك أنْ يعظه، فقال: إذا كانت الأنفاسُ بالعدد، ولم يكن لها مَدَد، فما أسرع ما تنفد!!

اللهم رحمتك ورضاك وعفوك.

۞۞۞

٤٦٥. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ [مريم: ٨٨-٨٩].

قال أبو السعود في الآية الأخيرة:

ردٌّ لمقالتهم الباطلة، وتهويلٌ لأمرِها بطريقِ الالتفاتِ المنبئِ عن كمالِ السُّخطِ وشدةِ الغضبِ، المُفصِح عن غاية التشنيعِ والتقبيحِ، وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحةِ والجهلِ والجراءة.

والإدُّ: العظيمُ المنْكَر. أي: فعلتُم أمرًا منكرًا شديدًا لا يُقادَر قدرُه.

۞۞۞

٤٦٦. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٨٨]. وقال: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٩١]. وقال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢]. وقال: ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣].

قال الطاهر ابن عاشور:

تكريرُ اسمِ الرحمنِ في هذه الآيات -من سورة مريم- أربعَ مراتٍ إيماءٌ إلى أنَّ وصْفَ الرحمنِ الثابتِ لله -والذي لا يُنكِرُ المشركون ثبوتَ حقيقتِه لله وإنْ أنكروا لفظه- ينافي ادعاءَ الولدِ له؛ لأنَّ الرحمنَ وصفٌ يدلُّ على عمومِ الرحمةِ وتكثُّرِها.

ومعنى ذلك أنها شاملةٌ لكل موجودٍ مفتقرٍ إلى رحمةِ الله تعالى.

ولا يتقومُ ذلك إلا بتحقيق العبودية فيه؛ لأنه لو كان بعضُ الموجوداتِ ابنًا لله تعالى لاستغنى عن رحمته لأنه يكونُ بالبُنُوة مساويا له في الإلهيةِ المقتضيةِ الغنى المطلق، ولأنَّ اتخاذَ الابنِ يتطلَّبُ به متخذُه برَّ الابنِ به ورحمتَه له، وذلك ينافي كونَ اللهِ مفيضَ كلِّ رحمة.

فذِكْرُ هذا الوصف استدلالٌ على احتياجِ جميعِ الموجوداتِ إليه وإقرارِها له بملكِه إياها.

۞ ۞ ۞

٤٦٧. قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٩٠-٩١].

قال محمد بن كعب: لقد كاد أعداءُ اللهِ أن يقيموا علينا الساعة!!

۞ ۞ ۞

٤٦٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

قال القرطبي:

كان هرم بن حيان يقول: ما أقبلَ أحدٌ بقلبه على الله تعالى إلا أقبلَ اللهُ تعالى بقلوب أهلِ الإيمان إليه حتى يرزقَه مودتَهم ورحمتَهم.

اللهم ارزقنا إقبالا إليك وتوكلا عليك ورضى بك.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ طه

٤٦٩. قال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

قال الضحاك:

السر: ما تحدث به نفسك. وأخفى: ما لم تحدث به نفسك بعد.

وقال سعيد بن جبير: أنت تعلم ما تسر اليوم، ولا تعلم ما تسر غدا، والله يعلم ما تسر اليوم، وما تسر غدا.

۞ ۞ ۞

٤٧٠. قال تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١٢].

قال القرطبي:

واختلف العلماءُ في السبب الذي من أجله أُمِر بخلع النعلين.

ثم ذكر أقوالًا، منها:

أُمر بخلع النعلين؛ للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى، وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت.

وقيل: إعظامًا لذلك الموضع؛ كما أنَّ الحرمَ لا يُدخَل بنعلين؛ إعظامًا له، وقد كان مالكٌ لا يرى لنفسه ركوبَ دابَّةٍ بالمدينة؛ بِرًّا بتربتها المحتوية على الأعظم الشريفة، والجثة الكريمة!!

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ ۞ ۞

٤٧١. قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣].

قال القرطبي:

روي عن وهب بن منبه أنه قال: مِن أدب الاستماع:

سكونُ الجوارح، وغضُّ البصر، والإصغاءُ بالسمع، وحضورُ العقل، والعزمُ على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحبُّ الله تعالى.

وقال سفيان بن عيينة:

أول العلم: الاستماعُ، ثم الفهمُ، ثم الحفظُ، ثم العملُ، ثم النشر.

۞ ۞ ۞

٤٧٢. قال تعالى حكاية لجواب موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٧-١٨].

قال الطاهر ابن عاشور:

ومِن لطائف معنى الآية: ما أشار إليه بعضُ الأدباء مِن أنَّ موسى أَطْنبَ في جوابه بزيادةٍ على ما في السؤال؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تشريف ينبغي فيه طولُ الحديث.

وقد قال أبو حيان إنَّ ذلك الإطنابَ لرغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى، وازدياد لذاذته بذلك، كما قال الشاعر:

وأملى عتابا يُستطاب فليتني   أطَلْتُ ذنوبا كي يطولَ عتابُه

ثم قال أبو حيان: وقدَّم في الجوابِ مصلحةَ نفسِه في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾ ثم ثنَّى بمصلحة رعيتِه في قوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾.

۞ ۞ ۞

٤٧٣. قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٧-١٨].

جاء في تفسير القرطبي قوله:

تعـرَّض قـومٌ لتعديد منافع العصا منهم ابن عباس، قـال: إذا انتهيتُ إلى رأسِ بئرٍ فقصُـر الرِّشـا وصلتُه بالعصا، وإذا أصابني حرُّ الشـمسِ غرزتُهـا في الأرض وألقيتُ عليها ما يُظلني، وإذا خفتُ شـيئًا مِن هوام الأرض قتلتُه بها، وإذا مشـيتُ ألقيتُها على عاتقي وعلَّقتُ عليها القوسَ والكنانةَ والمخلاة، وأقاتلُ بها السباعَ عن الغنم.

ومـن منافعهـا: أنَّ إمسـاكَ العصا سـنةٌ للأنبيـاء، وزينةٌ الصلحاء، وسـلاحٌ على الأعداء، وعونٌ للضعفاء، وتكونُ قبلتَه إذا صلى، وقوةً إذا أعيا.

ولقي الحجاجُ أعرابيا فقال له: من أين أقبلتَ يا أعرابي؟

قال: مِن البادية.

قال: وما في يدك؟

قال: عصاي، أركزها لصلاتي، وأعدُّها لعِداتي، وأسوقُ بها دابتي، وأقوى بها على سـفري، وأعتمدُ بها في مِشـيتي لتتسـع خطوتي، وأثـبُ بها النهر، وتؤمننـي من العثر، وأُلقـي عليها كسـائي فيقينـي الحَر، ويدفئني مِـن القَر، وتُدْني إليَّ مـا بعد مني، وهي محملُ سـفرتي، وعلاقة إداوتي، أقرعُ بها الأبـواب، وأتقي بها عقورَ الكلاب، وتنوب عـن الرمـح في الطِّعان، وعن السـيف عند منازلة الأقـران، ورِثتُها عن أبـي، وأورِّثُها بعدي ابني، وأهشُّ بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، كثيرةٌ لا تحصى.

ولها مدخل في مواضع من الشريعة، منها:

أنهـا تُتخـذ قبلةً في الصحراء، وقـد كان للنبي عليه الصلاة والسـلام عنَزة تركز له فيصلي إليها، وكان إذا خرج يوم العيد أمَّ بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها.

وكان له محجنٌ -وهو عصا معوجةُ الطَّرَف- يشير به إلى الحَجَر إذا لم يستطع أن يُقَبِّلَه.

وفي الموطأ عن السائب بن يزيد أنه قال: أمرَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبيَّ بنَ كعب وتميمًا الداري أنْ يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، وكان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام.

والإجماع منعقدٌ على أن الخطيب يخطبُ متوكئًا على سيف أو عصا، فالعصا مأخوذة من أصلٍ كريم، ومعدنٍ شريف، ولا ينكرها إلا جاهل.

وقد جمع الله لموسى في عصاه من البراهين العظام، والآيات الجسام، ما آمن به السحرة المعاندون. واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته.

وكان ابنُ مسعود صاحبَ عصا النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته.

وكان يخطب بالقضيب- وكفى بذلك فضلا على شرف حال العصا- وعلى ذلك الخلفاءُ وكبراءُ الخطباءِ.

وعادةُ العرب العرباءِ الفصحاء، اللسُنِ البلغاءِ أَخْذُ العصا والاعتمادُ عليها عند الكلام، وفي المحافل والخطب.

قال بعضهم:

قد كنتُ أمشي على رِجلين معتمدا ... فصرتُ أمشي على أخرى من الخشبِ

ومن فوائدها:

التنبيه على الانتقال من هذه الدار، كما قيل لبعض الزهاد:

ما لك تمشي على عصا، ولست بكبير ولا مريض؟

قال: إني أعلمُ أني مسافر، وأنها دار قلعة، وأنَّ العصا من آلة السفر، فأخذه بعض الشعراء فقال:

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملَها ... عليَّ ولا أني تحنيتُ مِن كِبَرِ

ولكنني ألزمتُ نفسيَ حملَها لأُعْلِمها أنَّ المقيمَ على سَفرِ

۞ ۞ ۞

٤٧٤. قال تعالى: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨].

قال عبدالله بن بلقاسم:

الأنبياء يشعرون بالنعم. وكم من غارقٍ في النعم وهو بائس!!

وكم ممن يَرى أنه في غمرات النعم، والناس لا يرون معه إلا القليل؟

۞ ۞ ۞

٤٧٥. قال تعالى عن موسى أنه قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه: ٢٩].

قال ابن الجوزي:

وأما الوزير، فقال ابن قتيبة: أصل الوزارة من الوزر، وهو الحِمل، كأنَّ الوزيرَ قد حمل عن السلطان الثقل.

وقال الزجاج: اشتقاقه من الوزَر، والوزَرُ: الجبل الذي يُعتصم به ليُنجَى به من الهلكة، وكذلك وزيرُ الخليفة، معناه: الذي يُعتمد عليه في أموره ويُلتجأ إلى رأيه.

۞ ۞ ۞

٤٧٦. قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

قال ابن القيم:

فأمر تعالى أن يلينا القول لأعظم أعدائه وأشدِّهم كفرا وأعتاهم عليه؛ لئلا يكون إغلاظُ القولِ له - مع أنه حقيقٌ به - ذريعةً إلى تنفيره وعدمِ صبره لقيام الحجة، فنهاهما عن الجائز؛ لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى.

۞ ۞ ۞

٤٧٧. قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

قال القرطبي:

قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: هذا رِفقُك بمن يقول: أنا الإله! فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله؟

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك يا مولانا.

❁ ❁ ❁

٤٧٨. قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

قال ابن بلقاسم: أعظمُ أسبابِ زوالِ الخوف: اليقينُ بمعية الله.

❁ ❁ ❁

٤٧٩. قال تعالى: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

قال القرطبي:

قال ابن عباس: هذه أرجى آيةٍ للموحِّدين؛ لأنهم لَم يكذبوا ولم يتولوا.

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك، فاهدنا إلى صراطك المستقيم وثبتنا عليه.

❁ ❁ ❁

٤٨٠. قال تعالى: ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ [طه: ٦٩].

قال الزمخشري:

ولم يقل: عصاك. ثم قال: جائزٌ أنْ يكونَ تصغيرًا لها، أي: لا تبالِ بكثرة حبالِهم وعصيِّهم! وألقِ العويِّد الفردَ الصغيرَ الجرم الذي في يمينك؛ فإنه بقدرةِ الله يتلقَّفُها، على وحدتِه وكثرتِها! وصغرِه وعظمِها!

وجائـزٌ أنْ يكونَ تعظيمًا لها، أي: لا تحتفـلْ بهذهِ الأجرامِ الكبيرةِ الكثيرةِ؛ فإنَّ في يمينك شيئًا أعظم منها كلِّها، وهذهِ على كثرتها أقلُّ شيءٍ وأنزرُه عنده. فألقِه؛ يتلقَّفُها بإذن الله ويمحقُها.

۞ ۞ ۞

٤٨١. قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

اسـتدل الشنقيطي بها على كفر السـاحر؛ لأنَّ الفلاحَ لا يُنفى بالكلية نفيًا عامًا إلا عمـن لاخير فيـه، وهو الكافر، مَنْ زُيِّنَ لـه عملُه، وصُدَّ عن السـبيل، فما كيدُهُ إلَّا في تباب كائنًا من كان.

۞ ۞ ۞

٤٨٢. قـال تعالـى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

قال البيضاوي:

استطابوا الموت شغفا إلى لقاء الله تعالى.

وقال الطاهر ابن عاشور:

أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه؛ إذ أصبحوا أهلَ إيمان ويقين، وكذلك شأنُ المؤمنين بالرسـل إذا أشـرقت عليهم أنوارُ الرسالة، فسـرعان ما يكون انقلابُهم عن جهالـة الكفر وقسـاوتِه إلى حكمة الإيمـان وثباتِه. ولنا في عمر بـن الخطاب ونحوه ممن آمنوا بمحمد ﷺ مثل صدق.

۞ ۞ ۞

٤٨٣. قـال تعالـى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

قال ابن القيم:

إنما يجد المشقةَ في تركِ المألوفاتِ والعوائدِ مَن تركها لغير الله، فأما مَن تركها صادقًا مخلصًا مِن قلبه لله، فإنه لا يجدُ في تركها مشقةً إلا في أول وهلةٍ؛ ليُمتَحنَ أصادقٌ هو في تركها أم كاذب؟ فإنْ صبرَ على تلك المشقةِ قليلًا استحالت لذةً.

قال ابن سيرين: سمعتُ شريحًا يحلفُ بالله: ما تركَ عبدٌ لله شيئًا فوجد فقدَه.

وقولُهم: مَن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، حق. والعوضُ أنواعٌ مختلفة، وأجلُّ ما يُعوضُ به: الأُنسُ بالله ومحبتُه وطمأنينةُ القلبِ به وقوتُه ونشاطُه وفرحُه ورضاه عن ربه تعالى.

أغبى الناس: مَن ضلَّ في آخِرِ سفرِه وقد قارب المنزل!! انتهى كلام ابن القيم.

اللهم رحمتك وعافيتك، وثبتنا على دينك إلى أن نلقاك.

۞ ۞ ۞

٤٨٤. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾ [طه: ٧٢].

قال ابن القيم:

واعجبًا لِعَزَماتٍ ما ثناها: لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف!!

سجدوا له سجدةً واحدةً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا منازلهم من الجنة، فغلبهم الوجد وتمكن منهم الشوق، فقالوا: اقض ما أنت قاض!! إنما تقضي هذه الحياة الدنيا!!

الله أكبر، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

۞ ۞ ۞

٤٨٥. قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

قال ابن القيم:

قال بعض العلماء: «فكرتُ فيما يسعى فيه العقلاء، فرأيتُ سعيَهم كلَّهم في مطلوبٍ واحدٍ وإن اختلفتْ طُرُقُهم في تحصيله. رأيتُهم جميعَهم إنما يسعون في دفع الهَمِّ والغمِّ عن نفوسهم، فهذا بالأكل والشرب، وهذا بالتجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة، وهذا باللهو واللعب.

فقلتُ: هذا المطلوبُ مطلوبُ العقلاء، ولكنَّ الطرقَ كلَّها غيرُ موصلةٍ إليه، بل لعلَّ أكثرَها إنما يوصلُ إلى ضِدِّه.

ولم أر في جميع هذه الطرقِ طريقًا موصلةً إليه إلا الإقبالَ على الله وحدَه، ومعاملتَه وحده، وإيثارَ مرضاتِه على كل شيء.

فإنَّ سالكَ هذا الطريقِ إنْ فاته حظُّه من الدنيا فقد ظفر بالحظِّ العالي الذي لا فوتَ معه. وإن حصَلَ للعبد حصل له كلُّ شيء. وإنْ فاته فاته كلُّ شيء. وإنْ ظفر بحظِّه مِن الدنيا ناله على أهنأ الوجوه. فليس للعبد أنفعَ من هذه الطرق، ولا أوصلَ منها إلى لذته وبهجتِه وسعادتِه، وبالله التوفيق.

اللهم املأ قلوبنا بحبك يا كريم يا وهاب

❁ ❁ ❁

٤٨٦. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [طه: ٨٠].

قال الآلوسي:

وقدَّم سبحانه نعمةَ الإنجاء مِن العدو لأنها من باب درء المضار، وهو أهمُّ من جلبِ المنافع.

ومَـن ذاق مرارة كيـد الأعداء -خذلهـم الله تعالى- ثم أنجـاه الله تعالى، وجعلَ كيدَهـم في نحورهم علمَ قدرَ هذه النعمة، نسـأل الله تعالـى أن يتمَّ نعمَه علينا، وأن لا يجعل لعدو سبيلا إلينا.

وثنَّـى ﷻ بالنعمة الدينية لأنها الأنفُ في وجه المنافـع!! وأخَّرَ ﷻ النعمةَ الدنيوية لكونها دون ذلك، فتبا لمن يبيع الدين بالدنيا!!

رحمك الله أيها الآلوسي.

۞ ۞ ۞

٤٨٧. قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

قال الزمخشري:

طغيانُهـم في النعمـة: أنْ يتعدَّوا حـدودَ الله فيها؛ بـأنْ يكفروها، ويشـغلَهم اللهو والتنعمُ عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي، وأن يزووا حقوقَ الفقراء فيها، وأنْ يسرفوا في إنفاقها، وأنْ يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا.

اللهم إنا نبرأ إليك ممن يكفرك ولا يشكرك.

۞ ۞ ۞

٤٨٨. قال تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

قال ناصر الدين ابن المنير الإسـكندراني المتوفى سـنة ٦٨٠ في كتابه: «الانتصاف من الكشاف»:

وذلـكَ شـأنُ الموعودِ بما يسـرُّه، يودُّ لو ركـبَ إليه أجنحةَ الطير!! ولا أسَـرَّ مِن مواعدةِ اللهِ تعالى له ﷺ.

اللهم املأ قلوبنا حبًا لك وخشيةً منك وإجلالًا لك.

۞ ۞ ۞

٤٨٩. قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٢-١٠٣].

قال الزمخشري:

تخافُتهم لِما يملأ صدورَهم مِن الرُّعب والهول!! يستقصرون مدَّةَ لبثهم في الدنيا؛ إما لِما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيامَ النعمة والسرور؛ فيتأسفون عليها ويصفونها بالقِصر؛ لأن أيامَ السرورِ قصار.

وإما لأنها ذهبتْ عنهم وتقضتْ، والذاهبُ -وإنْ طالت مدَّته- قصيرٌ بالانتهاء.

ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت «أطال الله بقاءك»: «كفى بالانتهاء قِصرا».

وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبدٌ سرمدٌ يُستقصرُ إليها عُمر الدنيا.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

٤٩٠. قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قال الشنقيطي:

الأظهرُ أنَّ الظلمَ يعمُّ الشركَ وغيرَه من المعاصي. وخيبةُ كلِّ ظالمٍ بقدْرِ ما حَمَلَ مِن الظلم.

قلتُ: فيا كلَّ ظالم....أنزِل هذا العِبء الثقيل عن كاهلك!

فإنْ كان ظلمُك مع خالقك فارجع وتب إليه، وانطرح بين يديه بالإيمان والتوحيد والإسلام والطاعة.

وإنْ كان ظلمُك مع مخلوق فاستسمح منه اليوم، واعتذر إليه، وأعطه حقَّه، واسْعَ في إرضائه.

إياك أن تمضي بك الأيام وأنت تحمل ظلمًا... إياك ثم إياك.

فقد خاب وخسر، ولم يربح بمطلوبه من جاء يوم القيامة وهو يحمل ظلما.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞۞۞

٤٩١. قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ﴾ [طه: ١١٤].

سُئل أعرابيٌّ يَملِكُ قطيعًا مِن الغنم:

لِمن هذا؟

فقال: هو لله في يدي!!

رحمك الله أيها الأعرابي وغفر لك.

۞۞۞

٤٩٢. قال تعالى: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه: ١١٧-١١٩].

قال القرطبي:

لما كان آدمُ الكادَّ عليها والكاسبَ لها كان بالشقاء أخص.

وقيل:

الإخراجُ واقعٌ عليهما، والشقاوةُ على آدم وحده، وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان؛ ليعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج، فمِن يومئذٍ جرَتْ نفقةُ النساء على الأزواج، فلما كانت نفقة حواء على آدم فكذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية.

وأعلمنا في هذه الآية أن النفقةَ التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة:

الطعام والشراب والكسوة والمسكن، فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها، فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور، فأما هذه الأربعة فلا بد لها منها، لأن بها إقامة المهجة. مختصرا من تفسير القرطبي.

۞ ۞ ۞

٤٩٣. قال تعالى لآدم:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

قال الآلوسي:

وكان الظاهرُ عدم الفصلِ بين الجوع والظمأِ، والعري والضَّحْو؛ للتجانس والتقاربِ، إلا أنه عدَلَ عن المناسبةِ المكشوفةِ إلى مناسبةٍ أتمَّ منها، وهي: أنَّ الجوعَ خُلُو الباطنِ، والعُريَّ خُلو الظاهر، فكأنه قيل: لا يخلو باطنُك وظاهرُك عما يهمهما. وجمع بين الظمأ المورِثِ حرارةَ الباطنِ، والبروزِ للشمس، وهو الضحو المورثُ حرارةَ الظاهر، فكأنه قيل: لا يؤلمك حرارة الباطن والظاهر.

۞ ۞ ۞

٤٩٤. قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال الشاعر:

تطلبُ الراحة في دار العنا خاب مَن يطلبُ شيئا لا يكون
فاتركِ الأحزانَ واتْبعْ منهجا في كتابِ اللهِ يكفيك الظنون

۞ ۞ ۞

٤٩٥. قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال الثعلبي عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

أجار اللهُ تعالى تابعَ القرآن مِن أنْ يضلَّ في الدنيا، ومن أن يشقى في الآخرة.

۞ ۞ ۞

٤٩٦. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قال النسفي:

عن ابن جبير: يسلبُهُ القناعةَ حتى لا يشبع!!

فمع الدِّينِ التسليمُ والقناعةُ والتوكلُ؛ فتكونُ حياته طيبة.

ومع الإعراضِ الحرصُ والشُّحُ؛فعيشُه ضنكٌ، وحالُهُ مظلمةٌ.

كما قال بعضهم: لا يُعرِض أحدُكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقتُه وتشوَّش عليه رزقُه.

قلتُ: الإعراضُ عن وحي السماء، أعظمُ أسبابِ التعاسة والشقاء.

اللهم آمنا بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت.

۞ ۞ ۞

٤٩٧. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قال أحدهم:

ما أتعس أنْ يستغنيَ الفقيرُ عن مولاه!! وأنْ يتكبرَ المسكين على من خلقه ورباه!!

أيُّ عبءٍ يتحمَّلُه ذلك الذي نزَع ثوبَ العبودية، فأصبح عاريا قد أحاط به الشقاء والضيق.

فمن أعظم أسباب التعاسة: أنْ تخوض صعابَ الحياةِ بمفردك، دون وليٍّ أو ظهير، أو بوليٍ عاجز، أوبظهيرٍ يحتاج إلى ظهير!!

اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، توكلنا على الله ربنا ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

۞ ۞ ۞

٤٩٨. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

المعيشة الضنك قيل فيها أقوال، منها:

فإنَّ له معيشةً في الدنيا حرامًا؛ فوصف الله جلَّ وعزَّ معيشتهم بالضنك، لأنَّ الحرامَ وإنِ اتسعَ فهو ضنك، أي: ضيق.

وقال سعيد بن جبير: يسلبُه القناعة حتى لا يشبع.

وقيل تكون في القبر.

۞ ۞ ۞

٤٩٩. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

قال ابن كثير:

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظرْ إلى هؤلاء المترَفين، وأشباهِهم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم؛ فإنما هو زهرةٌ زائلة، ونعمةٌ حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور.

رحمةُ اللهِ عليك يا ابن كثير... ألم يأتك نبأُ المسنِّبين؟ وما فعلوا في بيوت المسلمين!!

قال الواحدي في البسيط:

قال أبي بن كعب: فمن لم يتعزَّ بعزاء الله تقطَّعت نفسُه حسرات على الدنيا، ومَن يُتبع بصرَه ما في أيدي الناس يَطُلْ حزنه، ولا يشفِ غيظه، ومن لم يرَ لله عليه نعمةً إلا في مطعمه ومشربه، نقصَ علمُه، وحضر عذابُه.

قال القاسمي:

وفي التعبير بالزهرة إشارةٌ لسرعة الاضمحلال؛ فإن أجلَها قريب.

وقال محمد بن عثيمين:

لا تنظر إلى أهل الدنيا وما مُتِّعوا به من النعيم، ومن المراكب، والملابس، والمساكن، وغير ذلك. فكل هذا زهرة الدنيا، والزهرة آخر مآلها الذبول واليبس والزوال، وهي أسرع أوراق الشجرة ذبولًا وزوالًا، ولهذا قال: زهرة، وهي زهرة حسنة في رونقها وجمالها وريحها - إن كانت ذات ريح - لكنها سريعة الذبول، وهكذا الدنيا، زهرة تذبل سريعًا، نسأل الله أن يجعل لنا حظًا ونصيبًا في الآخرة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

٥٠٠. قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

قال الصبيحي:

قبل ١٤٠٠ سنة وأكثر، نزل قولُهُ تعالى: «﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ فلنتأمل!!

۞ ۞ ۞

٥٠١. قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

قال ابن القيم:

قال الحسن: هي واللهِ لكلِّ واصفٍ كذِبًا إلى يوم القيامة.

۞ ۞ ۞

٥٠٢. قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

قال الزمخشري:

وبعد أن وصفَ كرامتَهم عليه، وقُربَ منزلتِهم عنده، وأثنى عليهم، وأضاف إليهم تلك الأفعالَ السنية والأعمالَ المرضية. فاجأ بالوعيد الشديد، وأنذرَ بعذابِ جهنمَ مَن أشرك منهم -إذ كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل- مع إحاطةِ علمه بأنه لا يكون؛ كما قال عن الأنبياء: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

قصد بذلك: تفظيعَ أمرِ الشركِ، وتعظيمَ شأنِ التوحيد.

اللهم اجعل منقلبنا إليك على الإيمان والتوحيد والسنة.

قلتُ: لا مجاملة في شأن التوحيد ونبأ الإيمان، مع أي أحدٍ كائنًا ما كان؛ فالله بعد أن ذكر الملائكة الكرام وأنهم لا يسبقون اللهَ في القول، وأنهم بأمر الله يعملون، قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

والله سبحانه بعد أن ذكر ثمانية عشر نبيًا في كتابه الكريم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

اللهم أمتنا مؤمنين بك مسلمين لك متوكلين عليك، لا نعبد أحدا سواك.

۞ ۞ ۞

٥٠٣. قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

قال أبو السعود:

أي: أخسرُ مِن كل خاسر؛ حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهانًا قاطعًا على أنه عليه السلام على الحق، وهم على الباطل، وموجبًا لارتفاع درجته، واستحقاقهم لأشد العذاب.

اللهم فاغفر لنا ولوالدينا وأزواجنا وذرياتنا ومعلمينا وطلابنا وزملائنا وأبي السعود والسعدي.

۞ ۞ ۞

٥٠٤. قوله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيتَ الحكامَ قد هلكوا، ولكنَّ اللهَ حمِدَ هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده.

۞ ۞ ۞

٥٠٥. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٩-٨٢]

قال أبو حيان في البحر المحيط مستفيدا من الرازي قبله:

وتسخيرُ أكثفِ الأجسامِ لداود، وهو الحَجَرُ؛ إذ أنطقه بالتسبيح، والحديدُ؛ إذ جعل في أصابعه قوة النار حتى لان له الحديد، وعمل منه الزرد.

وتسخيرُ ألطفِ الأجسام لسليمان، وهو الريحُ والشياطينُ، وهم من نار، وكانوا يغوصون في الماء، والماءُ يطفئُ النار، فلا يضرهم، دليلٌ واضحٌ على باهر قدرته سبحانه، وإظهارِ الضدِّ مِن الضدِّ، وإمكانِ إحياءِ العظْمِ الرميم، وجعلِ الترابِ اليابسِ حيوانا، فإذا أخبر به الصادق وجب قبولُه واعتقادُ وجودِه.

رحم الله أهل العلم.

۞ ۞ ۞

٥٠٦. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

قال ابن القيم:

جَمَعَ في هذا الدعاء بين حقيقةِ التوحيد، وإظهارِ الفقر والفاقة إلى ربه، ووجودِ طعم المحبة في التملق له، والإقرارِ له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسلِ إليه بصفاته سبحانه، وشدةِ حاجته وهو فقرُه.

ومتى وجَد المبتلى هذا كُشِف عنه بلواه.

وقد جُرِّب أنه من قالها سبع مرات - ولا سيما مع هذه المعرفة - كشف اللهُ ضرَّه.

قال الزمخشري:

ويُحكى أنَّ عجوزا تعرَّضت لسليمان بن عبدالملك فقالت:

يا أمير المؤمنين، مَشَتْ جُرذانُ بيتي على العُصِيِّ!!

فقال لها: أَلْطَفتِ في السؤال! لا جرم؛ لأَرُدَّنها تثبُ وثْبَ الفهود!!

وملأ بيتَها حَبًّا.

وقال الآلوسي:

أي: وأنت أعظمُ رحمةً مِن كلِّ مَن يتصف بالرحمة في الجملة، وإلا فلا راحم في الحقيقة سواه جل شأنه وعلا، ولا يخفى ما في وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسَه بما يوجبها، مكتفيا بذلك عن عرض الطلب مِن استمطار سحائب الرحمة على ألطف وجه.

ويحكى في التلطف في الطلب: أن امرأةً شكت إلى بعض ولد سعد بن عبادة قِلَّة الفأر في بيتها!! فقال: املؤوا بيتها خبزًا وسمنا ولحما.

۞ ۞ ۞

٥٠٧. قال تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قال الشنقيطي:

وقوله تعالى في سورة الأنبياء بعد دعاء أيوب واستجابته سبحانه له: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾. مع قوله في سورة ص بعد قصة أيوب أيضا: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣]. فيه الدلالةُ الواضحةُ على أن أصحابَ العقولِ السليمةِ من شوائبِ الاختلالِ هم الذين يعبدون اللهَ وحده ويطيعونه.

وهـذا يؤيـد قول من قـال من أهـل العلم: إنَّ مَن أوصى بشـيء مِـن ماله لأعقل الناس، أنَّ تلك الوصية تُصرف لأتقى الناس وأشدِّهم طاعة لله تعالى؛ لأنهم هم أولو الألباب، أي العقول الصحيحة السالمة من الاختلال.

۞ ۞ ۞

٥٠٨. قـال تعالـى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

قال القاسمي في محاسنه:

اذكر أيوبَ وما أصابَه من البلاء، ودعاءَه ربَّه في كشف ما نَزل به، واستجابتَه تعالى دعاءَه، وما امتنَّ به عليه في رفعِ البلاء، وما ضاعف له بعد صبرِه مِن النعماء؛ لتعلم أنَّ النصرَ مع الصبر، وأنَّ عاقبةَ العسـرِ اليسـر، وأنَّ لك الأسـوةَ بمثل هذا النبيِّ الصبور، فيما ينزلُ أحيانا بك مِن ضُر، وأنَّ البلاءَ لم ينجُ منه الأنبياء، بل هم أشدُّ الناسِ ابتلاء؛ كما في الحديث: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل».

وأنَّ مِن أسبابِ الفرجِ: دعاءَه تعالى، والابتهالَ إليه، والتضرعَ له، وذِكرَه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وأنَّ البـلاءَ لا يدلُّ على الهوانِ والشـقاءِ؛ فإن السـعادةَ والشـقاءَ في هذا العالَم لا يترتبان على صالح الأعمال وسيئها؛ لأنَّ الدنيا ليستْ دارَ جزاء.

وأنَّ عاقبةَ الصِّدقِ في الصبر توفيةُ الأجر، ومضاعفةُ البِّر.

وقـد رُوي أنَّ أيـوبَ عليه السلام، لمَّا امتُحن بمـا فقد به أرزاقَه وهلَك بـه جميعُ آلِ بيتِه، وبما لبَث يعاني مِن قروحِ جسـدِه آلاما، وصبرَ وشـكر، رحِمَه مولاه فعادتْ له صحةُ بدنِه وأوتي أضعافَ ما فقده، ورُزِق عدةَ أولاد، وعاش عمرا طويلا؛ أبصر أولادَه إلى

الجيـل الرابع؛ ولذا قـال تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]. أي: تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، حتى يُثابوا كما أُثيب في الدنيا والآخرة.

وبالجملة فالسِّـرُّ هو: تثبيتُ قلوبِ المؤمنين، وحملُهم على الصبرِ في المجاهدة في سبيل الحق.

اللهم اهدنا صراطك المستقيم، وثبتنا على دينك القويم.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الحَجِّ

٥٠٩. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١].

قال الإيجي:

أي: على طَرَفٍ من الدِّين لا على وسطٍ منه، كمَنْ هو على طَرَفٍ مِن العسكر إنْ أحسَّ بظَفَرٍ قَرَّ وإلا فَرَّ.

الإيجي: من علماء القرن التاسع، ولد في بلدة إيج في إيران، شافعي المذهب، وتفسيره أشبه ما يكون بالمتن المختصر، وله كتاب: «تهافت الفلاسفة». وأظنه لو عاش اليوم لأصدر الجزء الثاني: «تهافت تطوير الذات».

❁ ❁ ❁

٥١٠. قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

قال ابن القيم:

المعصية سببٌ لهوانِ العبد على ربِّه وسقوطِه من عينه.

قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم.

وإذا هان العبدُ على الله لم يكرمْه أحد؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾.

وإنْ عظَّمهم الناسُ في الظاهر لحاجتهم إليهم، أو خوفًا من شرهم؛ فهم في قلوبهم أحقرُ شيءٍ وأهونُه.

اللهم رحمتك وسترك.

۞ ۞ ۞

٥١١. قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

قال محيي الدين درويش:

الثيابُ تشملُ جميعَ الجسدِ غيرَ الرأس؛ فأفردَ الرؤوسَ بالذِّكر بقوله: يُصبُّ.

اللهم أعذنا من عذاب النار.

۞ ۞ ۞

٥١٢. قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩].

قال وهب بن منبه:

كُسِيَ أهلُ النار، والعُرِيُّ كان خيرا لهم، وأُعطوا الحياةَ والموتُ كان خيرا لهم!!

فالتعري مكروهٌ حتى لأهل النار؛ فإنَّ لهم ثيابا من نار.

اللهم أجرنا من النار.

۞ ۞ ۞

٥١٣. قال تعالى عن أهل النار: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۝١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩-٢٠].

قال أهل التفسير:

يُذابُ ظاهرُهم وباطنُهم.

اللهم أعذنا من النار.

۞ ۞ ۞

٥١٤. قال تعالى في سورة الحج وسورة فاطر: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣].

وقال في سورة الإنسان: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

قال القرطبي:

قال المفسرون: ليس أحدٌ مِن أهلِ الجنةِ إلا وفي يدِه ثلاثةُ أسْورة: سوارٌ من ذَهب، وسوارٌ من فِضة، وسوارٌ من لُؤلؤ.

اللهم أدخلنا الجنة ياكريم.

۞ ۞ ۞

٥١٥. قال تعالى عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

قال ابن كثير:

وقال الفضيل بن عياض: واللهِ ما طمعوا في الخروج! إنَّ الأرجلَ لَمُقيدة، وإنَّ الأيدي لَمُوثقة، ولكنْ يرفعُهم لَهبُها، وتردُّهم مقامِعُها.

اللهم فقنا عذاب النار.

۞ ۞ ۞

٥١٦. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٣-٢٤].

قال الطاهر ابن عاشور:

كان مقتضى الظاهر أن يكون هذا الكلام معطوفا بالواو على جملة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]. لأنه قسيم تلك الجملة في تفصيل الإجمال الذي في قوله ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]. بأن يقال:

والذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلهم الله جنات إلى آخره. فعدل عن ذلك الأسلوب إلى هذا النظم لاسترعاء الأسماع إلى هذا الكلام إذ جاء مبتدأ به مستقلا مفتتحا بحرف التأكيد ومتوجا باسم الجلالة.

والبليغُ لا تفوته معرفةُ أنَّ هذا الكلامَ قسيمٌ للذي قبله في تفصيل إجمال: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ لوصف حال المؤمنين المقابل لحال الذين كفروا في المكان واللباس وخطاب الكرامة.

فقوله: ﴿يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مقابل قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

وقوله: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ يقابل قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾.

وقوله: ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ مقابل قوله: ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾.

وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ مقابل قوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾. فإنه من القول النكد.

❁ ❁ ❁

٥١٧. قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

حكى الشيخُ عبدُالرزاق البدر أنه قد صلَّى مأمومًا في المسجد النبوي صلاة القيامِ في العشرِ الأواخر من رمضان، وكان الأئمةُ آنذاك يقرأون في صلاةِ القيامِ بمقدار ثلاثةِ أجزاءٍ ونصف.

ثم قال: وذات ليلة جاء رجلٌ من أندونيسيا، وإحدى رجليه مبتورةٌ من الركبة، ويتكئ على عكازين، فلما وقف يريد الصلاة ألقى العكازين على الأرض، وصلَّى جميعَ التسليماتِ الخمس في التهجد واقفا على قَدَمٍ واحدة!!

وكانت التسليمتان الأولى والثانية كلُّ واحدةٍ بجزء، والتسليماتُ الثالثة والرابعة والخامسة كلُّ واحدةٍ بنصف جزء!!

يقول الشيخ عبدالرزاق: فأعطاني هذا الرجلُ درسًا عظيمًا، هو: أنَّ الإعاقةَ ليست في الأطراف؛ إنما الإعاقةُ إعاقةُ القلب!! الإعاقةُ: إعاقةُ القلب.

نسأل الله أن يرحمنا ووالدينا وذرياتنا وأن يرحم الله ذاك الرجل الأندونيسي، والشيخ عبدالرزاق البدر.

۞ ۞ ۞

٥١٨. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الثعلبي:

فليس في دين الإسلامِ ما لا يجدُ العبدُ سبيلًا إلى الخلاص من العقاب فيه، ولا ذنبَ يذنبه المؤمنُ إلَّا وله منه في دين الإسلام مخرج.

اللهم رحمتك ورضاك وعفوك.

۞ ۞ ۞

٥١٩. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

قال القرطبي:

قال قتادة: أعطيتْ هذه الأمةُ ثلاثًا لم يُعطها إلا نبيٌّ:

١- كان يقال للنبي: اذهبْ فلا حرج عليك، وقيل لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

٢- والنبيُّ شهيدٌ على أمته، وقيل لهذه الأمة: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٣- ويقال للنبي: سَلْ تُعطَه، وقيل لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ربي لك الحمد كله.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ المؤمِنُونَ

٥٢٠. قال تعالـى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٧].

قال القاسمي مستفيدا من ابن القيم:

دلـت الآيةُ على تعليقِ فلاحِ العبد على حفظِ فرجِه، وأنه لا سـبيلَ له إلى الفلاحِ بدونه، وتضمنت هذه الآية ثلاثةَ أمور:

١- مَن لَم يحفظْ فرجَه لم يكن من المفلحين.

٢- وأنه من الملومين.

٣- ومن العادين.

ففاتـه الفـلاح، واسـتحقَّ اسـمَ العدوان، ووقـع في اللوم، فمقاسـاة ألمِ الشـهوةِ ومعاناتها، أيسرُ مِن بعضِ ذلك.

وقـد أمـر اللهُ تعالى نبيَه أنْ يأمرَ المؤمنين بغـضِّ أبصارِهم وحفظِ فروجهم. وأنْ يعلمَهم أنه مُشاهدٌ لأعمالهم، مطلعٌ عليها، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور.

ولمـا كان مبـدأُ ذلك من قبلِ البصرِ، جعل الأمرَ بغضِّـه مقدَّما على حفظ الفرج؛ فإنَّ الحوادثَ مبدؤها من النظر، كما أنَّ معظمَ النارِ مبدؤها من مسـتصغر الشـرر، ثم تكون نظرة، ثم تكون خطرة، ثم خطوة، ثم خطيئة.

ولهذا قيل: مَن حفظ هذه الأربعة أحرز دينه:

اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

فينبغي للعبد أن يكون بوَّاب نفسِه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباطَ على ثغورها؛ فمنها يدخلُ عليه العدو، فيجوس خلال الديار ويتبروا ما علوا تتبيرا.

اللهم احفظ علينا أبصارنا وأفئدتنا وجوارحنا.

۞ ۞ ۞

٥٢١. قال تعالى في صفات المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

قال ابن كثير:

قال قتادة: أتاهم واللهِ مِن أمرِ اللهِ ما وقَذَهم عن ذلك.

وقال السعدي:

وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرَّمِ من باب أولى وأحرى، وإذا ملكَ العبدُ لسانَه، وخَزَنَه -إلا في الخير- كان مالكا لأمره.

اللهم أمطر سحائب الرحمة والرضوان علينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتناوعلى ابن كثير وقتادة وعبدالرحمن الناصر السعدي.

۞ ۞ ۞

٥٢٢. قال تعالى إخبارًا عن فرعون وملئه: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

قال أبو أحمد القصَّاب:

في الآية دليلٌ على أنَّ اللهَ يُجري نقْضَ ضلالةِ الضالين على ألسنتِهم فلا يشعرون بها ولا أتباعُهم؛ ليحِقَّ كلمتَه على مَن قَضى عليه الشقوة؛ ألا ترى أنَّ فرعونَ – مع ادعائهِ الربوبية– قال مع ملئه: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ ولَمْ يحترزْ مِن تسميةِ نفسِه بَشَرًا؟ وقد سمَّاها رَبًّا مِن قَبْل!!

۞ ۞ ۞

٥٢٣. قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

قال ابن كثير:

فدلَّ هذا على أنَّ الحلالَ عونٌ على العمل الصالح.

۞ ۞ ۞

٥٢٤. قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١].

قال ابن سعدي:

أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همُّهم ما يقربُهم إلى الله، وإرادتُهم مصروفةٌ فيما ينجي من عذابه؛ فكلُّ خيرٍ سمعوا به، أو سنحتْ لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه.

قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه: أمامهم، ويمنةً، ويسرةً، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى عند ربهم، فنافَسوهم.

اللهم اجعلنا مسارعين في الخيرات السابقين لها، واجز ابن سعدي خير الجزاء وأوفاه.

۞ ۞ ۞

٥٢٥. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

قال الطبري:

قال الحسن: إذا أصابَ الناسَ -من قبل الشيطان- بلاءٌ، فإنما هي نقمة، فلا تستقبلوا نقمةَ الله بالحمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار، وتضرَّعوا إلى الله، وقرأ هذه الآية.

وقال ابن كثير:

حبُس وهبُ بنُ منبه، فقال له رجلٌ من الأبناء: ألا أنشدك بيتًا من الشعر يا أبا عبد الله؟

فقال وهب: نحن في طرفٍ من عذاب الله!! والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾

قال: وصام وهبٌ ثلاثة أيام متواصلة!

فقيل له: ما هذا الصوم يا أبا عبد الله؟

قال: أحدث لنا، فأحدثنا!!

يعني: أحدث لنا الحبسَ، فأحدثنا زيادةَ عبادة.

اللهم لطفك وسترك.

❁ ❁ ❁

٥٢٦. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

قال ابن القيم:

فالشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبر الجميل، بل إعراضُ عبدِه عن الشكوى إلى غيرِه جملةً وجعلُ الشكوى إليه وحده: هو الصبر.

والله تعالى يبتلي عبده؛ ليسمع شكواه، وتضرُّعَه ودعاءه. وقد ذم اللهُ سبحانه من لم يتضرع إليه، ولم يستكن له وقت البلاء، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

والعبدُ أضعفُ مِن أنْ يتجلَّدَ على ربه، والربُّ تعالى لم يُرد مِن عبده أنْ يتجلد عليه، بل أراد منه أن يستكين له، ويتضرعَ إليه، وهو تعالى يمقتُ مَن يشكوه إلى خلقه، ويحبُّ مَن يشكو ما به إليه.

وقيل لبعضهم: كيف تشتكي إليه ما ليس يخفى عليه؟

فقال: ربي يرضى ذلَّ العبد إليه.

والمقصود: أنه سبحانه أمر رسوله أن يصبر صبر أولي العزم الذين صبروا لحكمه اختيارا.

وهذا أكمل الصبر؛ ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على هؤلاء، حتى ردوها إلى أفضلهم وخيرهم، وأصبرهم لحكم الله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها، وفيها ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبرُ والشكرُ بعيرين لم أبالِ أيهما ركبت!!

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيفٍ، ثم تنقشع.

۞ ۞ ۞

٥٢٧. قال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣-٩٤].

قال الآلوسي:

وفي أمره صلى الله عليه وسلم أنْ يدعو بذلك -مع أنَّه عليه الصلاة والسلام في حِرزٍ عظيمٍ مِن أنْ يُجعلَ قرينًا لهم- إيذانٌ بكمالِ فظاعةِ العذابِ الموعودِ، وكونِه بحيثُ يجبُ أنْ يستعيذَ منه مَن لا يكادُ يمكنُ أنْ يحيقَ به.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٥٢٨. قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٧].

قال المفسرون:

الآيةُ الأولى في دفعِ شياطينِ الإنس، والثانيةُ في دفع شياطين الجن.

اللهم اغفر لكل معلم ومعلمة للقرآن وتفسيره.

۞۞۞

٥٢٩. قال تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨].

قال أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، المتوفى في ٢٠ ذو القعدة سنة ٧٢٨ هـ في حبسه في قلعة دمشق، وقد بلغ من العمر ٦٧ عاما رحمه الله:

الشياطينُ تظهر في المواضع التي يخفى فيها أثر التوحيد.

۞۞۞

٥٣٠. قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

قال أبو حيان:

وخص الوجه باللفح؛ لأنه أشرفُ ما في الإنسان، والإنسانُ أحفظُ له مِن الآفات مِن غيره من الأعضاء، فإذا لُفِح الأشرفُ فما دونه ملفوح!!

وقال ابن عطية:

والكلح: انكشافُ الشفتين عن الأسنان، وهذا يعتري الإنسان عند المباطشة عند الغضب، ويعتري الرؤوس عند النار.

وقد شبه عبدُالله بنُ مسعود ما في هذه الآية بما يعتري رؤوس الكِباش إذا شِيطت بالنار فإنها تكلح، ومنه كلوح الكلب والأسد.

اللهم عفوك وغفرانك.

۞۞۞

٥٣١. قال الله جوابًا لسؤالِ أهلِ النارِ الخروجَ منها: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

قال ابن سعدي:

وهذا القول -نسـأله تعالى العافية- أعظمُ قولٍ على الإطلاق يسـمعه المجرمون في التخييبِ، والتوبيخ، والذُّلِ، والخسارِ، والتأييسِ مِن كلِّ خير، والبشرى بكلِّ شَرٍّ.

وهـذا الـكلامُ والغضـبُ من الـرَّبِ الرحيم أشـدُّ عليهـم وأبلـغُ في نكايتهم من عذابِ الجحيم.

اللهم إنا نسألك لطفك وسترك وعفوك، إله الحق.

❁ ❁ ❁

٥٣٢. قال تعالـى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١٠].

قال ابن عطية:

ونزلت الآية في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال رضي الله عنهم ونظرائهم، ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر.

وقال القرطبي:

ويستفاد من هـذا: التحذيرُ مـن السـخرية والاسـتهزاء بالضعفاء والمسـاكين والاحتقـارِ لهـم، والإزراءِ عليهـم والاشـتغالِ بهـم فيمـا لا يغنـي، وأن ذلـك مبْعِدٌ من الله عز وجل.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ النُّورِ

٥٣٣. قال تعالى في سياق حادثة الإفك: ﴿بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ١١].

قال ابن عطية:

يريد أنه:

١- تبرئةٌ في الدنيا.

٢- وترفيعٌ من الله تبارك وتعالى في أنْ نزَلَ وحيُه بالبراءة من ذلك.

٣- وأجرٌ جزيلٌ في الآخرة.

٤- وموعظةٌ للمؤمنين في غابر الزمن.

٥- ونقمةٌ من المفترِين في الدنيا والآخرة.

ففي ذلك شفاء وخير.

وقال القرطبي:

والخيرُ حقيقتُهُ: ما زاد نَفْعُهُ على ضَرِّه، والشـرُّ: ما زادَ ضَرُّهُ على نفعِهِ، وإِنَّ خيرًا لا شَـرَّ فيه هو الجنَّةُ، وشـرًّا لا خيرَ فيه هو جهنَّمُ. فأما البلاءُ النَّازلُ على الأولياءِ فهو خيرٌ؛ لِأَنَّ ضَرَرَهُ مِنَ الألمِ قليلٌ في الدُّنيا، وخيرُهُ هو الثَّوابُ الكثيرُ في الأخرَى.

قال الشنقيطي بعد آيات قصة الإفك:

في هـذه الآية الكريمـة دليل على أن كبائرَ الذنوب لا تُحبـطُ العملَ الصالح؛ لأنَّ هجرةَ مِسطح بن أثاثة مِن عمله الصالح، وقذفَه لعائشة مِن الكبائر، ولم يبطل هجرته؛

لأن الله قال في مسطح بعد قذفه لها: ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢٢]. فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله، لم يحبطها قذفُه لعائشة رضي الله عنها.

۞ ۞ ۞

٥٣٤. قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

قال ابن جُزَي:

فإن قيل: لم قال: ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ بلفظ الخطاب، ثم عدَلَ إلى لفظ الغيبة في قوله: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل ظننتم؟

فالجواب: أنَّ ذلك التفاتٌ، قُصِد به المبالغةُ، والتصريحُ بالإيمان، الذي يوجب أن لا يُصدِّقَ المؤمنُ على المؤمنِ شرًا.

رحمة الله علينا وعليك يا ابن جزي.

۞ ۞ ۞

٥٣٥. قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

قال النحاس: معنى «بأنفسهم» بإخوانهم.

قال القرطبي:

فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلا يقذف أحدا ويذكره بقبيحٍ لا يعرفونه به أنْ ينكروا عليه ويكذبوه. وتواعدَ مَن ترَك ذلك ومَن نقله.

ثم قال القرطبي: ولأجل هذا قال العلماء: إنَّ الآيةَ أصلٌ في أنَّ درجةَ الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلةَ الصلاح التي حلَّها المؤمن، ولبسةَ العفاف التي يستترُ بها المسلم لا يزيلها عنه خبرٌ مُحتمَل وإنْ شاع، إذا كان أصلُه فاسدًا أو مجهولًا.

۞ ۞ ۞

٥٣٦. قال الله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦].

قال أبو السعود:

وحيث كان رسولُ الله ﷺ أطيبَ الأطيبين، وخِيرةَ الأولين والآخرين؛ تبيَّن كونُ الصديقةِ رضي الله عنها مِن أطيبِ الطيبات بالضرورة، واتضح بطلانُ ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ [النور: ٢٦].

۞ ۞ ۞

٥٣٧. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢٨].

قال ابن عطية:

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ توعدٌ لأهلِ التجسسِ على البيوت وطلبِ الدخولِ على غفلةٍ للمعاصي والنظرِ إلى ما لا يحل، ولغيرهم ممن يقع في محظور.

اللهم افتح أبواب رحمتك علينا وووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وابن عطية.

۞ ۞ ۞

٥٣٨. قال تعالى ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ [النور: ٣١].

قال الآلوسي:

وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتستر؛ لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها إلا لمن استثني في الآية بعد، فنهى عن إبداء الزينة نفسها، ليُعلم أن النظرَ إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع -بدليل أن النظر إليها غيرَ ملابسةٍ لها كالنظر إلى سوار امرأة يُباع في السوق لا مقال في حِلِّه- كان النظرُ إلى المواقعِ أنفسِها متمكنًا في الحظر، ثابتَ القدم في الحُرمة، شاهدًا على أنَّ النساءَ حقُّهن أنْ يَحْتَطْن في سترها، ويتقين الله تعالى في الكشف عنها.

۞ ۞ ۞

٥٣٩. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال بعضهم:

نَـوِّرْ حياتَك بالهدى ... واسلكْ طريقَ التائبين
واعمُرْ فؤادَك بالتقى ... فالعمرُ محدودُ السنين
وارْضِ الإلهَ بطاعةٍ ... تُسعدْك في دنيا ودين
واحملْ بصدرِك مصحفًا ... يَشرحْ فؤادَك كلَّ حين
ودَعِ الغوايةَ إنَّها ... لَشقاءُ كلِّ الغافلين
الدينُ مشكاةُ الحياةِ ... يضيءُ دربَ الحائرين
عُدْ للكريم بتوبةٍ ... واركبْ جناحَ العائدين
تلْقى السعادةَ كلَّها ... فلنِعمَ دربُ الصالحين

۞ ۞ ۞

٥٤٠. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال صالح بن حميد:

ليس البكاء على النفس إذا ماتت، ولكن البكاء على التوبة إذا فاتت.

۞ ۞ ۞

٥٤١. قال تعالى: ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ [النور: ٣١].

قال أبو السعود:

وفي النهي عن إبداءِ صوتِ الحليِّ بعد النهي عن إبداءِ عينِها مِن المبالغةِ في الزجر عن إبداء موضعِها ما لا يخفى.

اللهم سترك وعافيتك.

۞ ۞ ۞

٥٤٢. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال الزمخشري:

أوامرُ الله ونواهيه في كل بابٍ لا يكادُ العبدُ الضعيفُ يقدِرُ على مراعاتها، وإنْ ضبط نفسَه واجتهد، ولا يخلو مِن تقصيرٍ يقع منه؛ فلذلك وصَّى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار، وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا.

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين.

۞ ۞ ۞

٥٤٣. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النور: ٣٢].

قال الزمخشري:

ولقد كان عندنا رجلٌ رازحُ الحال، ثم رأيتُه بعد سنين وقد انتعشتْ حاله وحسنتْ، فسألته؟

فقال: كنتُ في أول أمري على ما علمتَ، وذلك قبل أن أرزق ولدًا، فلما رزقتُ بكر ولدي تراخيتُ عن الفقر! فلما ولد لي الثاني زدت خيرًا! فلما تتاموا ثلاثةً صبَّ الله عليَّ الخير صبا!! فأصبحتُ إلى ما ترى.

۞ ۞ ۞

٥٤٤. قال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]

قال الرازي:

قال بعضهم: نفى كونَهم تجارًا وباعةً أصلا.

وقال بعضهم: بل أثبتهم تجارًا وباعةً، وبيَّن أنهم مع ذلك لا يشغلهم عنها شاغلٌ من ضروب منافع التجارات، وهذا قول الأكثرين.

قال الحسن:

أمَا واللهِ إنْ كانوا ليتَّجِرون، ولكنْ إذا جاءت فرائضُ اللهِ لم يلههم عنها شيء، فقاموا بالصلاة والزكاة.

وعن سالم: نظرَ إلى قومٍ من أهل السوق تركوا بيعاتِهم وذهبوا إلى الصلاة، فقال: هم الذين قال تعالى فيهم: ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ﴾.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٥٤٥. قال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

قال ابن سعدي:

فهؤلاء الرجال وإن اتجروا وباعوا واشتروا، فإنَّ ذلك لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ بل جعلوا طاعةَ اللهِ وعبادتَه غايةَ مرادِهم، ونهايةَ مقصدِهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه. اهـ.

قلت: فيا أيها الشباب، اتجروا واشتروا وبيعوا، وعلى صلاتكم حافظوا، والله يرزقكم وهو خير الرازقين.

۞ ۞ ۞

٥٤٦. قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

قال عبدالله الصبيحي رحمه الله:

المتأملُ في تقلُّبِ الجو يدرك أنَّ تقليبَ الأحوالِ على الله يسير.

فاللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين.

۞ ۞ ۞

٥٤٧. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

قال بعضهم:

ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز.

وقال آخر:

وهذه الآية على إيجازها حاويةٌ لكل ما ينبغي للمؤمنين أن يفعلوه.

اللهم أعنا على طاعتك، واملأ قلوبنا من خشيتك، واجعلنا من عبادك المتقين.

۞ ۞ ۞

٥٤٨. قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

قال ابن القيم:

ومِن هاهنا تعلمُ اضطرارَ العبادِ فوقَ كلِّ ضرورةٍ إلى معرفةِ الرسولِ ﷺ وما جاء به، وتصديقِه فيما أخبرَ به، وطاعتِه فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادةِ والفلاحِ -لا في الدنيا ولا في الآخرة- إلا على أيدي الرسل، ولا سبيلَ إلى معرفة الطيِّبِ والخبيثِ على التفصيل إلا مِن جهتِهم، ولا يُنال رضا الله البتةَ إلا على أيديهم.

فالطيبُ مِن الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديُهم وما جاءوا به، فهمُ الميزانُ الراجحُ الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوالُ والأخلاقُ والأعمال.

وبمتابعتهم يتميز أهلُ الهدى من أهلِ الضلال؛ فالضرورةُ إليهم أعظمُ مِن ضرورة البدنِ إلى روحِه، والعينِ إلى نورِها والروحِ إلى حياتها! فأيُّ ضرورةٍ وحاجةٍ فُرِضتْ، فضرورةُ العبد وحاجتُه إلى الرسل فوقها بكثير.

وما ظنُّك بمن إذا غاب عنك هديُه وما جاء به طرفةَ عين فسَد قلبُك، وصار كالحوت إذا فارق الماءَ ووضع في المقلاة!! فحالُ العبدِ عند مفارقةِ قلبِه لما جاءت به الرسلُ كهذه الحال بل أعظم!! ولكن لا يحسُّ بهذا إلا قلبٌ حيٌّ. وما لجرح بميت إيلام.

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي ﷺ فيجبُ على كلِّ مَن نصح نفسَه وأحبَّ نجاتَها وسعادتَها أنْ يعرفَ مِن هديه وسيرتِه وشأنِه ما يخرجُ به عن الجاهلين به، ويدخلُ به في عدادِ أتباعِه وشيعتِه وحزبِه، والناسُ في هذا بين مستقلٍ ومستكثرٍ ومحروم. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

۞ ۞ ۞

٥٤٩. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

قال ابن سعدي رحمه الله:

فمَن أراد الرحمةَ فهذا طريقها، ومَن رَجَاها من دونِ إقامةِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة وإطاعةِ الرسول ﷺ، فهو مُتَمَنٍ كاذبٌ، وقد منَّته نفسُه الأماني الكاذبة.

اللهم فأنزل شآبيب رحمتك علينا وعلى والدينا وابن سعدي والمسلمين أجمعين.

۞ ۞ ۞

٥٥٠. قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍۖ﴾ [النور: ٦٠].

قال ابن العربي:

لقد دخلتُ نيِّفا على ألفِ قرية، فما رأيتُ نسـاءً أصونَ عيالًا ولا أعفَّ نسـاءً مِن نساءِ نابلس!! التي رُمي بها الخليلُ ﷺ بالنار، فإني أقمتُ فيها فما رأيتُ امرأةً في طريقٍ نهـارا إلا يومَ الجمعة، فإنهن يخرجْـن إليها حتى يمتلئ المسـجدُ منهن، فإذا قُضيت الصـلاة وانقلبن إلـى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهـن إلى الجمعة الأخرى. وقد رأيتُ بالمسجد الأقصى عفائفَ ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه.

۞ ۞ ۞

٥٥١. قـال تعالـى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ﴾ [النور: ٦١].

قال المفسرون:

١- الصَّدِيق مَن يصدُقك في مودته، وتصدُقه في مودتك.

٢- عدَلَ الصَّديقَ هنا بالقريب؛ تنبيهًا على شريف رتبة الصداقة، ولطيفِ سرِّها، وخفيفِ أمرها. وأفرد الصديق لعزته.

٣- إذا استحكمت الأخوةُ والصداقةُ جرى التبسُّطُ عادةً.

وفي المثل: أيهم أحب إليك: أخوك أم صديقك؟

قال: أخي، إذا كان صديقي.

٤- قال ابن عباس: الصَّديقُ أوكدُ من القرابة!! ألا ترى استغاثة الجهنميين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]. ولهذا لا تجوز شـهادةُ الصديق لصديقه، كما لا تجوز شهادة القريب لقريبه.

٥- قال معمر: دخلتُ بيت قتادة، فأبصرتُ فيه رطبًا، فجعلتُ آكلُه!!

فقال: ما هذا؟

فقلت: أبصرتُ رطبًا في بيتك فأكلتُ.

قال: أحسنتَ؛ قال الله تعالى: ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾ [النور: ٦١].

٦- قـال جعفر الصـادق: مِن عِظمِ حرمة الصديق أنْ جعلـه اللهُ تعالى من الأنسِ والثقةِ والانبساطِ ورفعِ الحشمة بمنزلةِ النفسِ والأبِ والأخ!!

٧- قال معمر: قلتُ لقتادة: ألا أشربُ مِن هذا الحُبِّ (جرة ضخمة للماء)؟ قال: أنتَ لي صديق، فما هذا الاستئذان!!

٨- وقد كان السـلفُ ينبسطون بأكل أصدقائهم مِن بيوتهم ولو كانوا غُيَّبًا. يُحكى عن الحسـن أنـه دخـل داره، وإذا حلقةٌ من أصدقائه، وقد اسـتلُّوا سِـلالا مِن تحت سريره، فيها الخبيصُ وأطايبُ الأطعمة، وهم مكبُّون عليها يأكلون!! فتهلَّلت أساريرُ وجهه سرورًا، وضحكَ، ثم قال: هكذا وجدناهم!! هكذا وجدناهم!!

يريد كبراءَ الصحابة ومَن لقيهم مِن البدريين.

وكان الرجلُ منهم يدخل دارَ صديقه -وهو غائب- فيسـألُ جاريته كيسَه، فيأخذُ ما شاء، فإذا حضرَ مولاها فأخبرته، أعتقها سرورًا بذلك!! وهذا شيءٌ قد كان.

اللهم ألِّف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام.

۞ ۞ ۞

٥٥٢. قـال الله تعالـى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾ [النور: ٦١]

قالعبدالله التويجري:

كلُّ التحايا بكل اللغات أرضيةٌ إلا تحيتنا أهل الإسـلام، فهي سماوية من عندالله نازلة بالبركة والطيب.

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞

سورة الفرقان

٥٥٣. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال القرطبي:

أي: إن الدنيا دارُ بلاءٍ وامتحان، فأراد سبحانه أنْ يجعل بعض العبيد فتنةً لبعض على العموم في جميع الناس من مؤمن وكافر، فالصحيحُ فتنةٌ للمريض، والغنيُ فتنةٌ للفقير، والفقيرُ الصابرُ فتنةٌ للغني.

ومعنى هذا أنَّ كلَّ واحدٍ مختبَرٌ بصاحبه، فالغنيُ ممتحَنٌ بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه.

والفقيرُ ممتحَنٌ بالغني، عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأنْ يصبرَ كلُّ واحدٍ منهما على الحق، كما قال الضحاك في معنى «أتصبرون»: أي على الحق.

وأصحابُ البلايا يقولون: لِمَ لَمْ نُعاف؟ والأعمى يقول: لِمَ لَمْ أُجعلْ كالبصير؟ وهكذا صاحبُ كلِّ آفة.

والرسولُ المخصوصُ بكرامة النبوة فتنةٌ لأشراف الناس من الكفار في عصره. وكذلك العلماءُ وحكامُ العدل؛ ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. فالفتنة أن يحسدَ المبتلى المعافى، والصبر أن يحبسَ كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذاك عن الضجر.

وقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ محذوفُ الجواب، يعني: أم لا تصبرون؟ فيقتضي جوابا؛ كما قاله المزني، وقد أخرجتْه الفاقة، فرأى خَصِيًّا في مراكب ومناكب، فخطر بباله شيءٌ، فسمع من يقرأ الآية: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ فقال: بلى ربنا!! نصبر ونحتسب.

اللهم ثبتنا على الإيمان والسنة حتى نلقاك.

۞ ۞ ۞

٥٥٤. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢].

قال الشنقيطي:

مفهومُ المخالفةِ يدلُّ على أنَّ غيرَ المجرمين يوم يرون الملائكةَ تكونُ لهم البشرى، وهذا المفهومُ مِن هذه الآية جاء مُصرَّحا به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]

اللهم رضاك وبشراك لنا ولآبائنا وأمهاتنا وذرياتنا وأزواجنا وإخواننا وأخواتنا وأصحابنا.

۞ ۞ ۞

٥٥٥. قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

قال ابن كثير:

قال الضحاك: عن ابن عباس: إنما هي ضحوة، فيَقِيلُ أولياءُ اللهِ على الأسِرَّةِ مع الحور العين، ويَقيلُ أعداءُ الله مع الشياطين مقرنين.

وقال سعيد بن جبير:

يفرغ الله من الحساب نصف النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

اللهم رحمتك بنا ولنا ولآبائنا وأمهاتنا.

۞ ۞ ۞

٥٥٦. قال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦].

قال القرطبي:

«الملكُ» مبتدأ.

«الحقُّ» صفة له.

«للرحمن» الخبر؛ لأن المُلكَ الذي يزول وينقطع ليس بملك، فبطلتْ يومئذ أملاكُ المالكين، وانقطعتْ دعاويهم، وزال كلُّ مَلِكٍ ومُلكُهُ، وبقي المُلْكُ الحقُّ لله وحده.

وقال السعدي:

ومما يرتاح له القلب، وتطمئنُّ به النفس، وينشرحُ له الصدر أنْ أضاف المُلكَ في يوم القيامة لاسمه «الرحمن» الذي وسعتْ رحمتُه كلَّ شيء، وعمَّتْ كلَّ حي، وملأت الكائنات، وعُمِرتْ بها الدنيا والآخرة، وتمَّ بها كلُّ ناقص، وزال بها كل نقص.

وغلبت الأسماءُ الدالةُ عليه الأسماءَ الدالةَ على الغضب، وسبقتْ رحمتُه غضبَه وغلبَتَه، فلها السبق والغلبة.

وخلقَ هذا الآدميَّ الضعيفَ وشرَّفه وكرمه؛ ليتمَّ عليه نعمته، وليتغمده برحمته.

وقد حضروا في موقف الذلِّ والخضوعِ والاستكانةِ بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم، وهو أرحمُ بهم مِن أنفسهم ووالديهم!!

فما ظنُّك بما يعاملهم به؟ ولا يهلك على الله إلا هالك! ولا يخرج من رحمته إلا مَن غلبتْ عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب.

اللهم آمنا بك يارحمن، وعليك توكلنا يارحيم؛ فاغفرلنا واعف عنا ولوالدينا وأزواجنا وذرياتنا ومشايخنا وطلابنا وزملائنا والقرطبي وابن سعدي ياعفو يا قادر.

❁ ❁ ❁

٥٥٧. قال تعالى عن الظالم: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٢٨].

قال القرطبي:

ولقد أحسن من قال:

تجنبْ قرينَ السوءِ واصرم حبالَه ... فإنْ لم تجدْ عنه محيصا فدارِهِ

وأحببْ حبيبَ الصدقِ واحذرْ مراءَهُ ... تنلْ منه صفو الودِّ ما لم تمارِهِ

وفي الشَّيبِ ما ينهى الحليمَ عن الصبا ... إذا اشتعلتْ نيرانُه في عِذارِهِ

وقال آخر:

اصحبْ خيارَ الناسِ حيثُ لقيتَهم ... خيرُ الصحابةِ مَن يكونُ عفيفا

والناسُ مثلُ دراهمٍ ميزتَها ... فوجدتَ منها فضةً وزيوفا

۞ ۞ ۞

٥٥٨. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال ابن زيد:

هو تنبيهٌ للمؤمنين على ملازمةِ المصحف، وألا تكونَ الغَبَرةُ تعلوه في البيوت، ويشتغل بغيره.

قال أبو السعود:

وفيه تلويحٌ بأنَّ مِن حقِّ المؤمن أنْ يكون كثيرَ التعاهدِ للقرآن؛ كيلا يندرجَ تحت ظاهرِ النظم الكريم. وفيه من التحذيرِ والتخويفِ ما لا يخفى!!

فإنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام إذا شَكَوا إلى الله تعالى قومَهم، عجَّلَ لهم العذاب ولم يُنظروا.

اللهم فاجعل القرآن ربيع قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٥٥٩. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال الزمخشري:

الرسول: محمد ﷺ. وقومه: قريش. حكى اللهُ عنه شكواه قومَه إليه. وفي هذه الحكايةِ تعظيمٌ للشكاية وتخويفٌ لقومِه!! لأنَّ الأنبياءَ كانوا إذا التجؤوا إلى الله وشَكَوا إليه قومَهم حَلَّ بهم العذابُ ولم يُنظروا.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٥٦٠. قال تعالى: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال القرطبي:

قال مقاتل: البهائمُ تعرفُ ربَّها، وتهتدي إلى مراعيها، وتنقادُ لأربابها التي تعقلُها. وهؤلاء لا ينقادون، ولا يعرفون ربَّهم الذي خلقهم ورزقهم.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا.

۞ ۞ ۞

٥٦١. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قال أبو حيان:

وصَف تعالى نفسَه بالصفةِ التي تقتضي التوكلَ في قوله: ﴿ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾؛ لأنَّ هذا المعنى يختصُّ به تعالى دونَ كلِّ حي.

وقرأ بعضُ السلفِ هذِهِ الآيةَ فقال: لا يصحُ لذي عقلٍ أن يثقَ بعدها بمخلوق.

وقال أبو السعود:

﴿ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ هو الحقيقُ بأنْ يُتوكَّل عليه دونَ الأحياءِ الذين مِن شأنهم الموت، فإنهم إذا ماتوا ضاع مَن تَوكَّلَ عليهم.

۞ ۞ ۞

٥٦٢. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

قال الثعلبي:

وكان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي زادني خضوعا ما زاد أعداءك نفورا.

اللهم تقبلنا في عبادك الصالحين وحزبك المفلحين.

۞ ۞ ۞

٥٦٣. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

قال الثعلبي:

عوضًا وخَلَفا يقوم أحدهما مقام صاحبه؛ فمَن فاته عملُه في أحدهما قضاه في الآخر.

قال قتادة:

فأروا الله مِن أعمالكم خيرًا في هذا الليل والنهار؛ فإنهما مطيَّتان تُقحمانِ الناسَ إلى آجالهم، وتقرِّبان كلَّ بعيد، وتُبليانِ كلَّ جديد، وتجيئان بكلِّ موعود إلى يوم القيامة.

۞ ۞ ۞

٥٦٤. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال السعدي بعد تفسيره صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان:

«فللهِ ما أعلى هذه الصفات!! وأرفعَ هذهِ الهمم!! وأجلَّ هذه المطالب!! وأزكى تلك النفوس وأطهرَ تلك القلوب!! وأصفى هؤلاء الصفوة وأتقى هؤلاء السادة!!

ولله فضلُ اللهِ عليهم ونعمتُه ورحمتُه التي جلَّلتهم، ولطفُه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل!!

ولله منةُ اللهِ على عباده أنْ بيَّن لهم أوصافَهم، ونَعَت لهم هيئاتِهم وبيَّن لهم هممَهم، وأوضحَ لهم أجورَهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافِهم، ويبذلوا جهدَهم في ذلك، ويسألوا الذي مَنَّ عليهم وأكرمَهم، الذي فضلُه في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديَهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم.

فاللهم لك الحمدُ وإليك المشتكى وأنت المستعانُ وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملكُ لأنفسنا نفعا ولا ضرا، ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إنْ لم تيسر ذلك لنا، فإنا ضعفاء عاجزون مِن كل وجه.

نشهد أنك إنْ وكَلتنا إلى أنفسنا طرفةَ عين وكلتنا إلى ضعفٍ وعجزٍ وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا وأنعمتَ علينا بما أنعمتَ من النعم الظاهرة والباطنة، وصرفتَ عنا من النقم، فارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك».

انتهى كلام السعدي، رحمات الله عليه تترى إلى يوم البعث والنشور.

۞ ۞ ۞

٥٦٥. قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال ابن عطية:

ورأيت في بعض كتب التواريخ أن إبراهيم بن المهدي -وكان من المائلين على علي بن أبي طالب رضي الله عنه- قال يوما بمحضر المأمون -وعنده جماعة-:

كنت أرى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم، فكنت أقول له: من أنت؟

فيقول: أنا علي بن أبي طالب.

فكنت أجيء معه إلى قنطرة، فيذهب يتقدمني في عبورها، فكنت أقول له: إنما تدعي هذا الأمر بامرأة! ونحن أحق به منك، فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُذكر عنه!

فقال المأمون: وبماذا جاوبك؟

قال: فكان يقول لي: سلاما سلاما.

قال الراوي: فكأن إبراهيم بن المهدي لا يحفظ الآية، أو ذهبت عنه في ذلك الوقت، فنبهه المأمون على الآية أمام مَن حضره، وقال: هو والله -يا عمُّ- عليُّ ابن أبي طالب ﷺ، وقد جاوبك بأبلغ جواب، فحزن إبراهيم واستحيا، وكانت رؤياه لا محالة صحيحة.

❁ ❁ ❁

٥٦٦. قال تعالى في وصفِ عباد الرحمن:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

قال أبو السعود:

والتصريحُ بوصفِهم بنفي الإشراكِ مع ظهورِ إيمانِهم لإظهارِ كمالِ الاعتناءِ بالتوحيدِ والإخلاص، وفيه تهويلٌ لأمرِ القتلِ والزنا بنظمِهما في سِلْكه.

❁ ❁ ❁

٥٦٧. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال السعدي:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ «وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه».

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٥٦٨. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

قال ابن القيم:

القلبُ مثلُ الطائر! كلَّما علا بعُد عن الآفات، وكلَّما نزلَ احتَوشَتْه الآفات.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٥٦٩. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

قال القرطبي:

قال خالد الربعي: كان لقمان نجارا، فقال له سيدُه: اذبح لي شاةً، وائتني بأطيبِها مضغتين، فأتاه باللسان والقلب، فقال له سيده: ما كان فيها شيءٌ أطيبَ من هذين؟! فسكت، ثم أمرَه بذبح شاةٍ أخرى، ثم قال له:

ألْقِ أخبثَها مضغتين، فألقى اللسانَ والقلب، فقال له: أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين، فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقيَ أخبثَها، فألقيتَ اللسان والقلب؟!

فقال له لقمان: إنه ليس شيءٌ أطيبَ منهما إذا طابا، ولا أخبثَ منهما إذا خبثا.

۞ ۞ ۞

٥٧٠. قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٩٤].

قال الزمخشري:

والكبكبة: تكريرُ الكَبِّ، جعلَ التكريرَ في اللفظِ دليلا على التكريرِ في المعنى؛ كأنه إذا أُلقي في جهنمَ ينكبُّ مرةً بعد مرةٍ حتى يستقرَّ في قعرها.

اللهم أجرنا منها يا خير مستجار.

۞ ۞ ۞

٥٧١. قال السيوطي:

قال بعض العلماء: في سورة الشعراء ثلاثُ آياتٍ متواليات فيها ردٌّ على ثلاث فرق: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٨-١٠٠].

١. ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ ردٌّ على المشبهة.

٢. ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ردٌّ على المجبرة.

٣. ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ ردٌّ على المرجئة.

۞ ۞ ۞

٥٧٢. قال تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩].

قال ابن أبي حاتم:

قال عون بن عبدالله:

إنَّ أبا الدرداء رضي الله عنه، لمَّا رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونَصْبِ الشجر، قام في مسجدهم فنادى:

يا أهل دمشق!!

فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

ألا تستحيون!!

ألا تستحيون!!

تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأمَلون ما لا تُدركون!!

إنـه كانت قبلكم قرون، يجمعـون فيوعون، ويبنون فيوثقـون ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غرورا، وأصبح جمعهم بورا، وأصبحتْ مساكنهم قبورا.

ألا إنَّ عادًا ملكتْ ما بين عَدنَ وعُمان خيلًا ورِكابا!!

فمن يشتري مني ميراثَ عادٍ بدرهمين؟؟

۞ ۞ ۞

٥٧٣. قال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

قال الزجاج:

القالي: التارك للشيء، الكارِهُ له غايةَ الكراهة.

وقال الزمخشري:

والقلـى: البغضُ الشـديد، كأنـه بُغْضٌ يقلي الفـؤادَ والكبد. وفي هـذا دليلٌ على عِظَمِ المعصية.

وقولـه: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أبلغُ مِن أن يقول: إني لعملكم قـالٍ، كما تقول: فلانٌ مِن العلماء، فيكون أبلغ مِن قولك: فلان عالم؛ لأنك تشهدُ له بكونه معدودا في زمرتهم، ومعروفةٌ مساهمتُه لهم في العلم. ويجوز أن يريد: من الكاملين في قِلاكم.

وقال البقاعي:

﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: المشـهورين ببغـض هذا العمـلِ الفاحـشِ، العريقين في هذا الوصـف، المذكورين بين الناس بمنابذة مِـن يفعلُه، لا يردني عن إنكارِه تهديدُكم لي بإخراجٍ ولا غيرِه.

۞ ۞ ۞

٥٧٤. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

قال السعدي:

تأملْ، كيف اجتمعت هذه الفضائلُ الفاخرةُ في هذا الكتابِ الكريمِ؟

فإنه أفضلُ الكتب، نَزَلَ به أفضلُ الملائكة، على أفضلِ الخلق ﷺ، على أفضلِ بُضعةٍ فيه ﷺ وهي قلبُه، على أفضلِ أمةٍ أُخْرجت للناس، بأفضلِ الألسنةِ وأفصحِها، وأوسعِها، وهو: اللسانُ العربيُ المبين.

۞ ۞ ۞

٥٧٥. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

قال القرطبي:

وعن الزهري: أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته، ثم قرأ الآية، ثم يبكي، ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلةٌ ... وليلك نومٌ والردى لك لازمُ

فلا أنت في الأيقاظ يقظانُ حازمٌ ... ولا أنت في النوَّامِ ناجٍ فسالمُ

تُسر بما يفنى، وتفرح بالمنى ... كما سُر باللذات في النوم حالمُ

وتسعى إلى ما سوف تكره غِبَّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

وكان ميمون بن مهران يتمنى لقاء الحسن، فلقيه في الطواف، فقال له: عظني. فلم يزده على تلاوة هذه الآية. فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت!!

اللهم ارحم ضعفنا.

۞ ۞ ۞

٥٧٦. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣].

قال الآلوسي:

فيه لطفٌ لسائر المكلفين، ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث يُنهى عنه مَن لم يمكن صدوره عنه، فكيف بمن عداه؟!

۞ ۞ ۞

٥٧٧. قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٧].

قال الطاهر ابن عاشور:

فإن عصاك أهلُ عشيرتك فتبرأ منهم، ولما كان التبرؤ يؤذنُ بحدوثِ مجافاةٍ وعداوةٍ بينه وبينهم ثبَّتَ اللهُ جأْشَ رسولِه بأنْ لا يعبأ بهم، وأنْ يتوكلَ على ربه؛ فهو كافيه.

وعلَّق التوكلَ بالاسمين ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للإشارة إلى أنه بعزته قادرٌ على تغلُّبه على عدوه الذي هو أقوى منه، وأنه برحمته يعصمُه منهم.

۞ ۞ ۞

٥٧٨. قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

قال رحمه الله:

استكثروا من الحسنات؛ فإن الغرماء غدا كثير.

قال الزمخشري:

ختم السورةَ بآيةٍ ناطقةٍ بما لا شيءَ أهيبَ منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا أصدعَ لأكباد المتدبرين.

وقال أبو السعود:

تهديدٌ شديد، ووعيدٌ أكيد؛ لما في «سيعلم» مِن تهويل متعلقه، وفي ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الإطلاق والتعميم، وفي ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ من الإبهام والتهويل.

وقال الطاهر ابن عاشور:

وهـذه الآية تحذيرٌ مِـن غَمْصِ الحقوقِ، وحثٌّ على اسـتقصاءِ الجهد في النصح للأمـة، وهي ناطقةٌ بأهيـب موعظة وأهول وعيد لمن تدبرها؛ لِما اشـتملت عليه من حـرف التنفيس المؤذِن بالاقتراب، ومِن اسـم الموصول المؤذِنِ بأنَّ سـوءَ المنقلبِ يترقـبُ الظالميـن لأجل ظلمهـم، ومِن الإبهام في قولـه: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ إذ ترَكَ تبيينَه بعقابٍ معينٍ لتذهب نفوسُ الموعَدِين في كلِّ مذهبٍ ممكنٍ مِن هول المنقلَب، وهو على الإجمال منقلبُ سوء.

❁ ❁ ❁

سورة النمل

٥٧٩. قال تعالى عن النملة أنها قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

قال فاضل السامرائي:

قال العلماء: النملة في هذه الآية قد: أحسَّتْ، وبادرتْ، ونادتْ، ونبَّهتْ، وعمَّمتْ، وأمرتْ، ونهتْ، وأكَّدتْ، ونصحتْ، وبالغتْ، وبيَّنتْ، وأنذرتْ، وأعذرتْ، ونفَتْ.

آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليومِ الآخر وبالقدر.

۞ ۞ ۞

٥٨٠. قال تعالى عن الهدهد أنه قال لسليمان عليه السلام: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

قال البقاعي:

وفي هذه المكافحة التنبيهُ على أنَّ أضعفَ الخلقِ قد يُؤتى ما لا يَصلُ إليه أقواهم؛ لتتحاقرَ إلى العلماءِ علومُهم، ويرُدُّوا العلمَ في كلِّ شيء إلى الله.

وفيه إبطالٌ لقولِ الرافضةِ: إنَّ الإمامَ لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه مَن هو أعلم منه.

۞ ۞ ۞

٥٨١. قال تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣].

قال أحدهم:

تسري التساؤلاتُ القرآنيـة المتتاليـة - التي في سـورة النمل والطـور والمُلك وغيرها - إلى الفطرة؛ لتوقظها من غفلتها، وتهزَّ العقل هزًّا، وتتركَه في دهشة الحصار المتتابـع دون أن تنتظر منه إجابة، وتسـتقر في القلب لتسـتخرج منه الإقرار بالحقائق الكبرى؛ فيَلْهج الإنسانُ بـ:

لا إله إلا الله.

اللهـم لا رب لنـا سـواك، أنـت وحـدك ربنـا، ولـن ندعو مـن دونك إلهـا؛ لقد قلنا إذا شططا.

۞ ۞ ۞

٥٨٢. قـال تعالـى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

قال الزمخشري:

أمر اللهُ رسولَه ﷺ أن يتلو هذه الآياتِ الناطقةَ بالبراهين على وحدانيتِه وقدرتِه على كل شيء وحكمتِه، وأنْ يستفتح بتحميدِه والسلامِ على أنبيائه والمصطفَين من عباده.

وفيـه تعليمٌ حسـن، وتوقيفٌ علـى أدبٍ جميل، وبعـثٌ على التَّيَمُّـنِ بالذِّكْرَين، والتـبركِ بهما، والاسـتظهارِ بمكانهما على قبولِ مـا يُلقى إلى السـامعين وإصغائِهم إليه، وإنزالِه مِن قلوبهم المنزلةَ التي يبغيها المُسمع.

ولقـد توارث العلمـاء والخطباءُ والوعَّـاظُ كابرًا عن كابر هـذا الأدب، فحمدوا الله ﷻ وصلَّوا على رسـول الله ﷺ أمـامَ كلِّ عِلْمٍ مُفاد، وقبـلَ كلِّ عِظةٍ وتذكرة، وفي مُفتتَـح كلِّ خُطبة، وتبعهم المترسـلون فأَجْرَوا عليه أوائلَ كتبِهـم في الفتوح والتهاني وغيرِ ذلك من الحوادث التي لها شأن.

۞ ۞ ۞

٥٨٣. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠].

قال الرازي:

لأن الإنسان قد يأتي بالبذر، والسقي، والكرب، والتشميس، ثم لا يأتي على وفق مراده.

والذي يقع على وفق مراده، فإنه يكون جاهلا بطبعه ومقداره وكيفيته، فكيف يكون فاعلا لها؟

۞ ۞ ۞

٥٨٤. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال القرطبي:

جاء رجلٌ إلى مالك بن دينار، فقال: أنا أسألك بالله أنْ تدعو لي؛ فأنا مضطر!!

قال: إذًا فاسأله؛ فإنه يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه.

قال الشاعر:

وإني لأدعو اللهَ والأمرُ ضيقٌ ... عليَّ فما ينفكُ أنْ يتفرَّجا

وربَّ أخٍ سُدَّت عليه وجوهُه ... أصاب لها لمَّا دعا اللهَ مَخرَجا

۞ ۞ ۞

سُورَةُ القَصَصِ

٥٨٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]

قال الزجاج المتوفى عام ٣١١:

وإنما كان يعملُ ذلك لأنه قال له بعضُ الكهنة: إنَّ مولودا يُولد في ذلك الحين، يكون سببَ ذهابِ ملكِك!!

فالعجبُ مِن حُمقِ فرعون:

إنْ كان الكاهنُ عنده صادقًا، فما ينفع القتل؟

وإنْ كان كاذبا، فما معنى القتل؟

وقال أبو السعود:

وكان ذلك لما أنَّ كاهنا قال له: يُولد في بني إسرائيل مولود يَذهبُ ملكُك على يده. وما ذاك إلا لغايةِ حمقه؛ إذْ لو صَدَق فما فائدة القتل؟ وإنْ كذَب فما وجهه؟

۞ ۞ ۞

٥٨٦. قال تعالى عن فرعون: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤].

قال الآلوسي:

وفي الآية دليلٌ على أنَّ قتل الأولاد لحفظ الملك شريعةٌ فرعونية.

۞ ۞ ۞

٥٨٧. قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص: ٥].

قال ابن القيم:

وقد اقتضت حكمته سبحانه أنَّ خِلَعَ النصرِ وجوائزَه إنما تفيض على أهل الانكسار!!

اللهم رحمتك بأهل الانكسار.

❁ ❁ ❁

٥٨٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

قال أبو السعود:

خاطئين في كلِّ ما يأتون وما يذرون؛ فلا غرو في أنْ قتلوا لأجْلِهِ ألوفا، ثم أخذوه، يربونه ليكْبُرَ ويفعلَ بهم ما كانوا يحذرون.

روي أنه ذُبِح في طَلَبِه عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد، فعاقبهم الله تعالى بأن رَبَّى عدوهم على أيديهم.

وإذا العنايةُ لاحظتْك عيونُها نَـمْ؛ فالمخاوفُ كلُّهـنَّ أمانُ!!

❁ ❁ ❁

٥٨٩. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١].

قال أبو السعود:

والتعبيرُ عنها بأُخُوتِهِ عليه الصلاة والسلام دون أنْ يقال: لبنتها؛ للتصريح بمدار المحبةِ الموجِبةِ للامتثال بالأمر.

قلت: وفيه تشريفٌ وأيُّ تشريف للأخت الكبيرة أنْ أضيفت لذلك الرضيع الذي يكبر فيكون نبيا من أولي العزم، ويكلمه الله، ويكون عند الله وجيها.

۞ ۞ ۞

٥٩٠. قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤].

قال أحدهم:

المـروءة: أنْ تتباعد عمَّن أحسـنت إليـه؛ فالنفسُ إنْ رأتْ مَن أحسـنَ إليها وهي عاجزةٌ عن الوفاء تُكْسر؛ فإنْ بذلتَ فولِّ وجهَك شطرَ الظِّلِّ، ولا تمنُن.

۞ ۞ ۞

٥٩١. قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥].

قال البقاعي:

كان الحياءُ كأنَّهُ مَرْكَبٌ لها وهيَ متمكِّنةٌ منه، مالكةٌ لزمامِهِ.

۞ ۞ ۞

٥٩٢. قال تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢].

قال القرطبي:

قال ابن عباس: ليس مِن أحدٍ يَدخُلُه رُعْبٌ بعدَ موسى عليه السلام، ثم يُدخلُ يدَه فيضعُها على صدرِه إلا ذهبَ عنه الرُّعب.

ويُحكى عن عمرَ بنِ عبد العزيز رحمه الله أنَّ كاتبا كان يكتبُ بين يديه، فانفلتَتْ منه فَلْتَةُ رِيحٍ فخجلَ وانكسر!!

فقـام وضربَ بقلمِه الأرضَ، فقـال له عمر: خذْ قلمَك واضْمُـمْ إليك جناحَك، ولْيُفْرِخْ روعُكَ؛ فإني ما سمعتُها مِنْ أحدٍ أكثرَ مِمَا سمعتُها مِن نفسي.

وقال ابن كثير:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير: واضمم إليك جناحك مما حصل لك من خوفك من الحية.

ثم علَّق ابن كثير قائلا:

والظاهرُ أنَّ المرادَ أعمُّ مِن هذا، وهو أنَّه أُمِرَ عليه السلام، إذا خاف مِن شيءٍ أنْ يَضُمَّ إليه جناحَه مِن الرَّهب، - وهي يده- فإذا فعلَ ذلك ذهبَ عنه ما يجدُه مِن الخوف.

وربما إذا استَعملَ أحدٌ ذلك على سبيل الاقتداءِ فوضَع يديه على فؤادِه، فإنَّه يزولُ عنه ما يَجدُ أو يَخِفُّ، إنْ شاء الله، وبه الثقة.

انتهى كلام ابن كثير.

۞ ۞ ۞

٥٩٣. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠].

قال ابن القيم:

وجعلَ سبحانه وتعالى المتَّبَعَ قسمين لا ثالثَ لهما:

إما ما جاء به الرسول، وإما الهوى. فمن اتبع أحدَهما لم يمكنْه اتباعُ الآخر.

وقيل إنما سُمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين. والهوى ثلاثةُ أرباع الهوان، والهوى شارعُ النار الأكبر، كما أن مخالفته شارعُ الجنة الأعظم.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم.

۞ ۞ ۞

٥٩٤. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

قال ابن سعدي عليه رحمات الله المتتابعات:

دلَّ ذلك أنه بحسبِ عقلِ العبد، يؤثرُ الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثَرَ أحدٌ الدنيا إلا لنقصٍ في عقلِه!

ولهذا نبَّه العقولَ على الموازنةِ بين عاقبةِ مؤثرِ الدنيا ومؤثرِ الآخرة، فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

اللهم ارحمنا برحمتك يا رحمن يا رحيم.

۞ ۞ ۞

٥٩٥. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

قال الرازي:

ما عند اللهِ خيرٌ وأبقى؛ لأنها دائمةٌ غيرُ منقطعة، ومنافعُ الدنيا منقطعة، ومتى قوبِلَ المتناهي بغيرِ المتناهي كان عَدَما، فكيف ونصيبُ كلِّ أحدٍ بالقياس إلى منافعِ الدنيا كلِّها كالذَّرةِ بالقياس إلى البحر؟

فظهر مِن هذا أنَّ منافعَ الدنيا لا نِسبةَ لها إلى منافعِ الآخرةِ ألْبَتة، فكان من الجهلِ العظيمِ تركُ منافعِ الآخرةِ لاستبقاءِ منافعِ الدنيا، ولمَّا نبَّه سبحانه على ذلك قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني أنَّ مَن لا يرجِّحُ منافعَ الآخرةِ على منافعِ الدنيا كأنَّه يكونُ خارجا عن حدِّ العقل!

ورحمَ اللهُ الشافعيَ حيث قال: مَن أوصى بثُلثِ مالِه لأعقلِ الناس، صُرِفَ ذلك الثُّلثُ إلى المشتغلين بطاعةِ الله تعالى؛ لأنَّ أعقلَ الناسِ مَن أعطى القليلَ وأخذ الكثير، وما هُم إلا المشتغلون بالطاعة؛ فكأنه ﷺ إنما أخذه من هذه الآية.

اللهم اجعلنا من أهل العقل والطاعة.

۞ ۞ ۞

٥٩٦. قال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

قال ابن عطية:

ولفظة «مُحْضَرين» مشيرة إلى سَوقٍ وجَرٍ.

وقال الرازي:

قالوا: تركنا الدِّينَ لئلا تفوتنا الدنيا، فبيَّن تعالى أنَّ ذلك خطأٌ عظيم؛ لأنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى، أمَّا أنه خيرٌ فلوجهين:

أحدهما: أنَّ المنافعَ هناك أعظم.

وثانيهما: أنها خالصةٌ عن الشوائب، ومنافعُ الدنيا مشوبةٌ بالمضار، بل المضارُ فيها أكثر.

وأما أنها أبقى فلأنها دائمةٌ غيرُ منقطعة، ومنافعُ الدنيا منقطعةٌ، ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عَدَما.

فكيف ونصيبُ كلِّ أحدٍ بالقياس إلى منافع الدنيا كلِّها كالذَّرة بالقياس إلى البحر؟

فظهر مِن هذا أنَّ منافعَ الدنيا لا نسبة لها إلى منافعِ الآخرة ألبتة، فكان من الجهلِ العظيمِ تركُ منافعِ الآخرةِ لاستبقاء منافع الدنيا.

وقال أبو حيَّان:

وغَلَبَ لفظُ المُحْضَر في المُحضَر إلى النار كقوله: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات: ٥٧].

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٧].

وقال البقاعي:

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١] أي: المقهورين على الحضور إلى مكانٍ يودُّ لو افتدى منه بِقلاعِ الأرضِ ذهبا، فإنَّ كلَّ مَن يُوكل به لِحُضورِ أمرٍ يتنكدُ على حسب مراتبِ التوكيلِ، كائنا من كان في أي أمر كان.

وقال أبو السعود:

وإيثارُ الجملةِ الاسميةِ للدلالة على التحقُّق حتما، وفي جعلِه مِن جملة المُحْضَرين مِن التهويلِ ما لا يخفى.

اللهم فأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

✿ ✿ ✿

٥٩٧. قال تعالى عن قارون: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦].

قال عبدالله التويجري:

ثلاث مواقف ذكرها الله في قصة قارون، وكلها تدل على صفةٍ ذميمةٍ متأصلةٍ فيه، كانت سببًا في هلاكه:

١- ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾

٢- ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾

٣- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾

وهذه الصفة الذميمة هي: (العلو).

قال ابن جزي:

العلو هو: التكبر والطغيان.

فيا أرباب الأموال، ويا حديثي النِّعم:

اتقوا الله واشكروه على ما أولاكم من فضله ومنته، واحذروا كفر النعمة؛ واشكروا الله عليها وانسبوها لله؛ كما قال عن سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]. وأحسنوا كما أحسن الله إليكم، واحذروا مذهب قارون، وكونوا من الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادا.

۞ ۞ ۞

٥٩٨. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

مرَّ عليُّ بنُ الحسين وهو راكبٌ، على مساكينَ يأكلون كِسَرا لهم، فسلَّم عليهم، فدَعَوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية، ثم نزل وأكل معهم. ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني. فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم.

اللهم رضاك والجنة.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

٥٩٩. قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

قال ابن القيم:

... فمحنة المؤمن خفيفة منقطعة، ومحنةُ الكافرِ والمنافقِ والفاجرِ شديدةٌ متصلة.

فلا بد من حصول الألم والمحنة لكل نفسٍ، آمنتْ أو كفرتْ! لكن المؤمنَ يحصلُ له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له عاقبة الدنيا والآخرة، والكافر والمنافق والفاجر، تحصل له اللذة والنعيم ابتداء، ثم يصير إلى الألم، فلا يطمع أحدٌ أن يخلُص من المحنة والألم البتة.

اللهم رحمتك نرجو.

۞ ۞ ۞

٦٠٠. قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال ابن القيم:

والضابطُ النافعُ في أمر الخلطة: أنْ يخالطَ الناسَ في الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد والنصيحة، ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات.

فإن دعت الحاجةُ إلى خلطتهم في الشر، ولم يمكنه اعتزالهم فالحذر الحذر أنْ يوافقَهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لا بد أنْ يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر. ولكن أذىً يعقبه عزٌ ومحبةٌ له وتعظيم، وثناءٌ عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين. وموافقتُهم يعقبها ذلٌ وبغضٌ له، ومقتٌ وذمٌ منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين؛ فالصبر على أذاهم خيرٌ وأحسنُ عاقبة، وأحمدُ مآلا.

وإن دعت الحاجةُ إلى خلطتهم في فضول المباحات، فليجتهد أنْ يقلب ذلك المجلس طاعةً لله إنْ أمكنه، ويشجعَ نفسه ويقويَ قلبَه، ولا يلتفتْ إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، بأنَّ هذا رياءٌ ومحبةٌ لإظهار علمِك وحالِك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستعن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه.

فإن أعجزته المقاديرُ عن ذلك، فلْيَسُلَّ قلبَه من بينهم كَسَلِّ الشعرةِ من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا، قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظانًا!! ينظرُ إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامَهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبَه مِن بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبحُ حول العرش مع الأرواح العُلوية الزكية.

وما أصعبَ هذا وأشقَّه على النفوس!! وإنه ليسيرٌ على مَن يسَّره الله عليه، فبين العبد وبينه أنْ يصدُقَ اللهَ تبارك وتعالى، ويديمَ اللجأَ إليه، ويلقيَ نفسَه على بابه طريحًا ذليلًا.

ولا يعينُ على هذا إلا المحبةُ الصادقة، والذكرُ الدائمُ بالقلب واللسان، وتجنب المفسدات الأربع الباقية الآتي ذكرُها.

ولا ينالُ هذا إلا بعُدَّةٍ صالحة، ومادةِ قوةٍ من الله ﷻ، وعزيمةٍ صادقة، وفراغٍ من التعلقِ بغير الله تعالى، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

٦٠١. قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١﴾ [العنكبوت: ٣١].

قال رحمه الله:

من أعظم أسباب الهلاك: الظلم.

۞ ۞ ۞

٦٠٢. قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

قال البقاعي:

قوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ الأصلُ في ذلك أنَّ مَن طالت ذراعُه نال ما لا يناله قصيرُها؛ فضُرِبَ مثلا في العجز والقدرة؛ وذلك أنهم أتوه في صورة مردانٍ مِلاحٍ جدا، وقد عَلِمَ أمرَ أهلِ القرية في مثل ذلك، ولم يعلم أنهم رسلُ الله.

۞ ۞ ۞

٦٠٣. قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال القاسمي:

وعن عمرو بن مرة قال: ما مررتُ بآية من كتاب الله لا أعرفها، إلا أحزنني؛ لأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾.

۞ ۞ ۞

٦٠٤. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال ابن كثير:

وقال ابن عون الأنصاري: إذا كنتَ في صلاةٍ فأنتَ في معروف، وقد حجزتَك صلاتُك عن الفحشاءِ والمنكر، والذي أنت فيه مِن ذكر الله أكبر.

اللهم أنزل رحمتك علينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا وعلى ابن كثير وابن عون.

۞ ۞ ۞

٦٠٥. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾ [العنكبوت:٥١].

قال الرازي:

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ ينبئ عن كونِ القرآنِ آيةً فوق الكفاية.

قال الطاهر ابن عاشور:

وهل لا يكفيهم من الآيات آياتُ القرآن؟ فإنَّ كلَّ مقدارٍ مِن مقاديرِ إعجازِه آيةٌ على صدقِ الرسول ﷺ؛ فإنَّ آياتِ القرآنِ زُهاءَ ستةِ آلافِ آية. ومقدارُ كلِّ ثلاثِ آياتٍ مقدارٌ معجِزٌ، فيحصلُ من القرآن مقدارُ ألفي معجزة! وذلك لم يحصل لأحدٍ مِن رسل الله.

وقال بعد ذلك:

وتنكيرُ «رحمة» للتعظيم، أي: رحمة لا يُقادَرُ قدرُها؛ فالكتابُ المتلُو مشتملٌ على ما هو رحمةٌ لهم اشتمالَ الظَّرفِ على المظروف؛ لأنه يشتملُ على إقامةِ الشريعة، وهي رحمةٌ وصلاحٌ للناس في دنياهم.

قال أحمد شوقي:

جاءَ النبيُّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَتْ ... وجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ
آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدى جُدُدٌ ... يَزينُهُنَّ جَلالُ العِتقِ والقِدَمِ

اللهم فانفعنا وارفعنا بالقرآن، واجز علماءنا خير الجزاء وأوفاه.

۞ ۞ ۞

٦٠٦. قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال الزمخشري بعد تفسيره لها:

ولعمـري إنَّ البقاعَ تتفاوتُ في ذلك التفـاوتَ الكثير، ولقد جرَّبنا وجرَّب أوَّلُونا، فلم نجد فيما دُرْنا وداروا: أعونَ على قهرِ النفسِ، وعصيانِ الشـهوةِ، وأجمعَ للقلبِ المتلفتِ، وأضمَ للهَمِّ المنتشرِ، وأحثَّ على القناعةِ، وأطردَ للشيطانِ، وأبعدَ مِن كثير مِن الفتن، وأضبطَ للأمرِ الديني في الجملة، مِن سكنى حَرَمِ الله وجوارِ بيتِ الله، فلله الحمدُ على ما سَهَّلَ مِن ذلك وقرَّب، ورزق مِن الصبر، وأوزع من الشكر.

۞ ۞ ۞

٦٠٧. قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

قال ابن القيم:

التوحيد مَفْزَعُ أعدائِه وأوليائِه، فأمَّا أعداؤه فينجيهم من كُرَب الدنيا وشـدائدِها، وأمـا أوليـاؤه فينجيهم به مـن كُرُبات الدنيا والآخرة وشـدائدِهما؛ ولذلـك فزع إليه يونـس فنجَّـاه الله من تلـك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسـل فنُجُّوا بـه مما عُذب به المشـركون في الدنيا وما أُعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه؛ لأنَّ الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، هذه سنة الله في عباده.

۞ ۞ ۞

٦٠٨. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن عطية:

قال سفيان بن عيينة لابن المبارك: إذا رأيتَ الناسَ قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهلِ الثغور؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾.

اللهم فاهدنا سبل السلام وأدخلنا دار المقامة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الرُّومِ

٦٠٩. قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ٢-٤].

قال القاسمي:

وما ألطفَ ما قاله الزبير الكلائي: رأيتُ غلبةَ فارس الرومَ، ثم رأيتُ غلبةَ الرومِ فارسَ، ثم رأيتُ غلبةَ المسلمين فارسَ والرومَ، كلُّ ذلك في خمس عشرة سنة!!

لله الأمر من قبل ومن بعد.

۞ ۞ ۞

٦١٠. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الروم: ٦-٧].

قال الزمخشري:

وقوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ بدلٌ مِن قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبدالِ من النكتة أنه أبدله منه، وجعلَه بحيث يقومُ مقامَه ويسدُّ مسدَّه؛ ليعلمك أنه لا فرقَ بين عدمِ العلمِ الذي هو الجهل، وبين وجودِ العلمِ الذي لا يتجاوز الدنيا.

۞ ۞ ۞

٦١١. قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

قال القرطبي:

يعلمون أمرَ معايِشِهم ودنياهم: متى يزرعون؟ ومتى يحصدون؟ وكيف يغرسون؟ وكيف يبنون؟

وقـال الحسـن: بَلَغَ -واللهِ- مِـن عِلمِ أحدِهم بالدنيـا أنه يَنْقُدُ الدرهـمَ؛ فيخبرُكَ بوزنِه، وهو لا يحسنُ أنْ يصلي!!

وقال المبرد: قسَّمَ كسرى أيامَهُ فقال: يصلحُ يومُ الريح للنوم، ويومُ الغيم للصيد، ويومُ المطر للشرب واللهو، ويومُ الشمس للحوائج.

وقال بعضهم:

ومِن البليةِ أنْ ترى لك صاحبًا ... في صورةِ الرجلِ السميعِ المبصرِ
فَطِنٌ بكلِّ مصيبةٍ في مالِهِ ... وإذا يُصاب بدينِه لم يَشْعُرِ

۞ ۞ ۞

٦١٢. قـال تعالـى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

قال أبو السعود:

الروضةُ كلُّ أرضٍ ذاتِ نباتٍ وماءٍ، ورونقٍ ونضارة، وتنكيرُها للتفخيم، والمراد بها الجنة، والحبور السرور؛ يقال: حبره إذا سرَّه سرورا تهلَّلَ له وجهُه.

وقيـل: الحـبرة كل نعمةٍ حسـنة، والتحبيـرُ التحسـين، واختلفت فيـه الأقاويل؛ لاحتماله وجوه جميع المسار.

اللهـم فاجعلنا منهـم ووالدينـا وأزواجنا وذرياتنا ومشـايخنا وطلابنـا وزملاءنا وابن سعدي.

۞ ۞ ۞

٦١٣. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

قال الطبري في تفسيره:

واختلاف منطق ألسنتكم ولغاته.

قال ابن بلقاسم:

اختلاف اللهجات من آيات الله تعالى ودلائل وحدانيته.

ولذلك فإنَّ مِن العدوان على الناس: السخرية بلهجاتهم وألسنتهم. وأعظمه جرما أنْ يسخر المرء بلهجةٍ عربية جاءت إحدى القراءات بها، مثل: الإمالة والتقليل والنقل والإبدال والتسهيل والترقيق والتفخيم.

ومجرد التأمل في معنى سخريةِ العبد مِن لسانٍ جاءت به قراءةٌ ثابتةٌ -ومعنى قراءة ثابتة أي أن الله تعالى تكلم بها- تأمُّلُ هذا كافٍ في معرفةِ قبحِ هذا العملِ وشناعتِه، فانتبه!

وهذه السخرية شائعة، وكم سمعتُ من أناسٍ يضحكون من نطق قوم، وهي ثابتة في قراءة صحيحة. وما سخريتهم إلا لمجرد أنه خلافُ لسانهم، ولجهلهم بالقراءات وجهلِهم بلوازم سخريتهم.

۞ ۞ ۞

٦١٤. قال تعالى عن فريق المشركين: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٤].

قال ابن كثير: ثم توعَّدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

قال بعضهم: واللهِ لو توعَّدَني حارسُ دربٍ لخفتُ منه! فكيف والمتوعِّدُ ها هنا هو الذي يقول للشيء: كنْ، فيكون؟!

اللهم لطفك ورحمتك. نحن المذنبون الخطاؤون المقصرون.

۞ ۞ ۞

٦١٥. قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

قال القرطبي:

والآية صفةٌ للكافر، يقنطُ عند الشدة، ويبطرُ عند النعمة، كما قيل:

كحمار السوء إنْ أعلفتَه... رمح الناس، وإنْ جاع نهق.

وكثيرٌ ممن لم يرسخِ الإيمانُ في قلبه بهذه المثابة، وقد مضى في غير موضع.

فأما المؤمن فيشكرُ ربه عند النعمة، ويرجوه عند الشدة.

اللهم آمنا بك فاجعلنا لك شاكرين وعليك متوكلين وإليك منيبين.

۞ ۞ ۞

٦١٦. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٨-٤٩].

فوائد في الآيتين:

١- أفادت صيغة الحصر بقوله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ أنه سبحانه وحده المتصرف في هذا الشأن العجيب دون غيره، وكفى بهذا إبطالًا لإلهية الأصنام؛ لأنها لا تستطيع مثل هذا الصنع.

٢- التعبير بصيغة المضارع في: يرسل، وتثير، ويبسطه، ويجعله؛ لاستحضار الصور العجيبة في تلك التصرفات؛ حتى كأنَّ السامعَ يشاهدُ تكوينَها مع الدلالة على تجدُّد ذلك.

٣- إرسالُ اللهِ الرياحَ، ثم إثارةُ السحاب، ثم بسطُه كيف يشاء، ثم جعله كسفا، ثم خروج الودق من خلاله، يتضمن أنَّ اختلاف الحال آيةٌ على سعة قدرة الله تعالى.

٤- ذِكرُ اختلافِ أحوالِ العباد في وقت نزول المطر وفي وقت انحباسه بين استبشار وإبلاس؛ إدماجٌ للتذكير برحمة الله إياهم، وللاعتبار باختلاف تأثرات نفوسِهم في السراء والضراء، وفي ذلك إيماءٌ إلى عظيمِ تصرُّفِ اللهِ في خِلقة الإنسان.

٥- الإبلاسُ: يأسٌ مع انكسار.

٦- قوله: ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ تكريرٌ لقوله: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم﴾ لتوكيد معنى قَبْليةِ نـزولِ المطر وتقريرِه في نفوس السامعين؛ فيفيدُ هذا التأكيدُ: الإعلامَ بسرعة تقلُّبِ قلوبِ البشر من الإبلاس إلى الاستبشار.

يعني: أنَّ إعادة قوله ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ زيادة تنبيه على الحالة التي كانت من قبل نزول المطر.

فيا كلَّ مهمومٍ ومبتلى، اُرْجُ الخيرَ، وتفاءل.

أرى خيلَ البشائرِ قادماتٍ وصوتُ صهيلِها أُنسُ الحياةِ

الفوائدُ ملخَّصةٌ من تفسير الطاهر ابن عاشور. عليه وعلينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا وابن سعدي رحمات الله ورضوانه.

❁ ❁ ❁

٦١٧. قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الروم:٥٢-٥٣].

قال د. علي الحامد:

المعرِضُ عن الهداية أعمى ولو كانت عيناه أنفذ من عيني الصقر، وهو ميِّت ولو كان ينبض بقلب حصان.

❁ ❁ ❁

سورة لقمان

٦١٨. قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

قال ابن القيم:

فلله ما أحلى هذا اللفظ!! وما أوجزَه!! وما أدلَّه على بطلان الشرك!!

فإنهم إنْ زعموا أنَّ آلهتَهم خلقتْ شيئا مع الله طُولبوا بأنْ يُروه إياه، وإنِ اعترفوا بأنها أعجزُ وأضعفُ وأقلُّ مِن ذلك كانت إلاهيتُها باطلًا ومُحالًا.

۞ ۞ ۞

٦١٩. قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢].

قال جمال الدين القاسمي:

والشكرُ كلمةٌ تجمعُ ما تدورُ عليه سعادةُ الدنيا والآخرة؛ لأنَّه صَرْفُ العبدِ جميعَ ما أنعمَ اللهُ عليه إلى ما خُلِق لأجله.

اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين الذاكرين الصابرين.

۞ ۞ ۞

٦٢٠. قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

قال الشوكاني:

وفي جعلِ الشكرِ للوالدَينِ مقترنًا بالشكر لله دلالةٌ على أنَّ حقَّهما مِن أعظم الحقوقِ على الولد وأكبرِها وأشدِّها وجوبًا.

رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

۞ ۞ ۞

٦٢١. قال الله في سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦].

قال الطاهر ابن عاشور:

ضَربَ اللهُ مثلا بالحبةِ مِن الخردل -وهي أدَقُّ الأجسامِ- المختفي في:

أصْلَبِ مكان ﴿صَخۡرَةٍ﴾.

أو أقصاه وأعزِّهِ منالًا ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

أو أوسـعِهِ وأشدِّهِ انتشارًا ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ ليُعلم أنَّ ما هو أقوى منه في الظهورِ والدُّنو من التناول أولى بأنْ يُحيطَ به عِلمُ اللهِ وقدرتُهُ.

ولخَّصَ ابنُ سعدي تفاسير مَن قبلَه بقوله:

والمقصودُ من هذا:

الحثُّ على مراقبة الله.

والعملُ بطاعته، مهما أمكن.

والترهيبُ من عمل القبيح، قلَّ أو كثُر.

❁ ❁ ❁

٦٢٢. قال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال المغرد فيصل بن تركي:

منذ أيام أرددُ هذه الآية: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وهو تعبيرٌ بليغٌ، بليغٌ عن حال العبد الممتثل لأوامر الله تعالى؛ تُصور العبدَ وكأنه يَحملُ وجهَه المعبرَ عن ذاته بين يديه، ثم يُسلمه إلى ربه، كأنه يُسلِم قِيَادَهُ لله! ويقول: وجِّهني كيفما تشاء، لا يعترض على أمر، ولا يتسخط من قدر!

❁ ❁ ❁

٦٢٣. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن جزي:

معنى الآية: أنَّ شجرَ الأرضِ لو كانت أقلامًا، والبحرَ لو كان مدادًا يصبُّ فيه سبعةُ أبحرٍ صبًا دائمًا، وكُتبت بذلك كلماتُ اللهِ لنفدتْ الأشجارُ والبحارُ، ولم تنفدْ كلماتُ الله؛ لأنَّ الأشجارَ والبحارَ متناهية، وكلمات الله غير متناهية.

سبحانك ربنا ما أعظمك!!

۞ ۞ ۞

٦٢٤. قال تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣].

قال أبو السعود:

وتغييرُ النظم في الجملة الثانية؛ للدلالة على أنَّ المولودَ أولى بأن لا يجزي، وقطعِ مَن توقَّع مِن المؤمنين أنْ ينفع أباه الكافر في الآخرة.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٦٢٥. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

قال القرطبي: ورُوي عن مجاهد:

أنَّ الدنيا بين يدَي ملَكِ الموتِ كالطَّستِ بين يدَي الإنسان! يأخذُ مِن حيث شاء.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٦٢٦. قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

قال ابن كثير:

خوفًا مِن وبال عقابه، وطمعًا في جزيل ثوابه؛ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، ومُقَدَّمُ هؤلاءِ وسيدُهم وفخرُهم في الدنيا والآخرة رسولُ الله ﷺ، كما قال عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه ... إذا انشق معروفٌ من الصبح ساطعُ

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا ... به موقناتٌ أنَّ ما قال واقعُ

يبيت يجافي جنبَه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ

صلى عليك الله يا رسول الله وسلم.

۞ ۞ ۞

٦٢٧. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال البغوي:

وعن بعضهم قال: أخفَوا أعمالَهم؛ فأخفى اللهُ ثوابَهم.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٦٢٨. قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

قال الماوردي:

قال قتادة: لا والله لا يستوون!! لا في الدينا!! ولا عند الموت!! ولا في الآخرة!!

اللهم آمنا بك فاختم لنا بخير.

۞ ۞ ۞

٦٢٩. قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة: ١٩].

قال ابن سعدي:

أي: الجناتُ التي هي مأوى اللذات، ومعدنُ الخيرات، ومحلُّ الأفراح، ونعيمُ القلوبِ والنفوس والأرواح، ومحلُّ الخلود، وجوارُ الملك المعبود، والتمتعُ بقربه، والنظرُ إلى وجهه، وسماعُ خطابه.

اللهم اجعلنا ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا وابن سعدي من أهلها.

۞ ۞ ۞

٦٣٠. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن القيم:

وجمَع سبحانه بين الصبر واليقين إذ هما سعادةُ العبد، وفقدُهما يُفقدُه

سعادتَه؛ فإنَّ القلبَ تطرقُه طوارقُ الشهواتِ المخالفة لأمرِ اللهِ، وطوارقُ الشبهاتِ المخالفة لخبره.

فبالصبر يَدْفعُ الشهوات، وباليقين يدْفعُ الشبهات؛ فَإن الشهوةَ والشبهةَ مضادتان للدِّين مِن كلِ وجه، فَلا ينجو مِن عذاب الله إلَّا مَن دفع شهواتِه بالصبرِ وشبهاتِه باليقين.

وقال ابن عيينة: أخذوا برأسِ الأمرِ، فجعلهم رؤساء.

❁ ❁ ❁

٦٣١. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٦-٢٧].

قال الرازي:

لَمَّا بيَّن الإهلاكَ وهو الإماتة بيَّنَ الإحياءَ؛ ليكونَ إشارةً إلى أنَّ الضرَّ والنفعَ بيد الله.

والجرز: الأرضُ اليابسةُ التي لا نبات فيها.

والجَرْز: القطع، وكأنها المقطوع عنها الماء والنبات.

❁ ❁ ❁

٦٣٢. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

قال عبدالله التويجري:

آيةٌ بيِّنةٌ، تملأُ القلبَ حسنَ ظنٍ بالله، وتفيض جمالًا وجلالًا بالفأل الحسن؛ فها هي تلك الصحراءُ الجرداء التي جُرزت؛ فلا نبات ولا زرع ولا ماء، وإذا بالحي القيوم يسوق الماءَ إليها فتنبت زرعًا؛ فنرى بأعيننا أنعامَنا تأكلُ منه، ثم ها نحن بأنفسنا نأكل من ذلك الزرع، نقطفه بأيدينا، ونلوكه بأفواهنا!!

إنها نموذج حيٌ لقدرة الله على الإحياء بعد الموت، وبرهانٌ ساطعٌ لاستحقاق الله للعبادة وحده.

وبعدُ.. تأتي هذه الآيةُ للعبد المهموم ذي القلب المكروب كراياتِ الإمدادِ العظيمة لجنودٍ يكادون يستسلمون!!

فأبشروا بالغيث في البلاد والدروب، والعباد والقلوب؛ فخذوا تلك الرايات وسيروا بها نحو مجدٍ تليد.

❁ ❁ ❁

سورة الأحزاب

٦٣٣. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ﴾ [الأحزاب: ١].

قال ابن عطية:

معناه: دُمْ على التقوى، ومتى أُمِر أحدٌ بشيء هو به متلبسٌ فإنما معناه الدوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية.

وحذَّره تعالى من طاعة الكافرين، وهم المجلِّحون بالكفر، والمنافقون وهم المظهرون للإيمان وهم لا يبطنونه.

❁ ❁ ❁

٦٣٤. قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ﴾ [الأحزاب: ٣-٤].

قال ابن القيم:

فأنت تجدُ تحتَ هذا اللفظِ أنَّ القلبَ ليس له إلا وجهةٌ واحدةٌ، إذا مالَ بها إلى جهةٍ لمْ يَمِلْ إلى غيرْها.

وليس للعبد قلْبانِ يطيعُ اللهَ ويتبعُ أمرَه ويتوكلُ عليه بأحدِهما، والقلبُ الآخَرُ لغيره!!

بل ليس إلا قلبٌ واحدٌ، فإنْ لم يُفرِدْ بالتوكل والمحبةِ والتقوى ربَّه، وإلا انصرف ذلك إلى غيرِه.

ثم استطرد من ذلك إلى أنه سبحانه لم يجعل زوجة الرجل أُمَّهُ، واستطرد منه إلى أنه لم يجعل دَعيَّهُ ابنَه.

فانظر ما أحسنَ هذا التأصيلَ وهذا الاستطرادَ الذي تسجدُ له العقولُ والألباب!!

۞ ۞ ۞

٦٣٥. قال تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٨].

قال ابن القيم:

فإذا سُئل الصادقون، وحوسبوا على صدقهم، فما الظن بالكاذبين؟

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٦٣٦. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

قال ابن القيم:

عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهلُ حسنِ الظنِّ بالله.

والشجاعةُ جُنَّةٌ للرجل من المكاره، والجُبْنُ إعانةٌ منه لعدوه على نفسه؛ فهو جندٌ وسلاحٌ يعطيه عدوَّه ليحارِبَه به!!

وقد قالت العرب: الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة.

وقد أكذبَ اللهُ سبحانه أطماعَ الجبناءِ في ظنِّهم أنَّ جبنَهم ينجيهم من القتل والموت؛ فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾.

۞ ۞ ۞

٦٣٧. قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦].

قال الآلوسي:

أيامُ الحياة -وإن طالت- قصيرة، وعُمُرٌ تأكلُه ذرَّاتُ الدَّقائق -وإن كثر- قليل!!

۞ ۞ ۞

٦٣٨. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩].

قال ابن سعدي:

رتَّبَ الأجرَ على وصفِهنَّ بالإحسان؛ لأنه السببُ الموجِبُ لذلك، لا لكونهن زوجاتٍ للرسول ﷺ، فإنَّ مجردَ ذلك لا يكفي، بل لا يفيدُ شيئًا مع عدم الإحسان.

رحمة الله عليك يابن سعدي إلى يوم يبعثون.

۞ ۞ ۞

٦٣٩. قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

قال ابن العربي: وشرفُ المنزلة لا يَحتملُ العثرات؛ فإنَّ مَن يُقتدى به، وتُرفَعُ منزلتُه على المنازل جديرٌ بأنْ يرتفعَ فعلُه على الأفعال، ويربو حالُه على الأحوال.

۞ ۞ ۞

٦٤٠. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

قال الثعلبي المتوفى عام ٤٢٧:

قال ابن عباس: لم يفرضِ اللهُ تعالى على عبادِه فريضةً إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلَها في حال العذر، غيرَ الذِّكر؛ فإنه لمْ يجعلْ له حدًّا ينتهي إليه، ولمْ يعذرْ

أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، وأمَرَهم بذكره في الأحوال كلِّها فقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١].

بالليل والنهار، وفي البر والبحر، والسفر والحَضَر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والجهر، وعلى كل حال.

وقال مجاهد: الذِّكر الكثيرُ أن لا تنساه أبدا.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٦٤١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

قال ابن القيم:

منزلة الذكر هي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يَتَّجِرون، وإليها دائما يترددون.

والذكرُ منشورُ الولاية الذي من أُعطيه اتصل، ومَن مُنعه عُزِل، وهو قوتُ قلوبِ القوم الذي متى فارقها صارتِ الأجسادُ لها قبورا، وعمارةُ ديارِهم التي إذا تعطَّلت عنه صارت بورا، وهو سلاحُهم الذي يقاتلون به قطَّاعَ الطريق، وماؤهم الذي يُطفئون به التهابَ الحريق، ودواءُ أسقامِهم الذي متى فارقَهم انتكست منهم القلوب، والسببُ الواصلُ والعلاقةُ التي كانت بينهم وبين علامِ الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونتركُ الذكرَ أحيانا فننْتكسُ

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات.

إذا أظلَّهم البلاءُ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازلُ فإليه مفزعُهم؛ فهو رياضُ جنَّتِهم التي فيها يتقلبون، ورؤوسُ أموالِ سعادتهم التي بها يتَّجرون.

يدَعُ القلبَ الحزينَ ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكرَ إلى المذكور، بل يدَعُ الذاكرَ مذكورا.

وفي كل جارحةٍ من الجوارح عبوديةٌ مؤقتة، والذكرُ عبوديةُ القلبِ واللسانِ وهي غير مؤقتة، بل هم مأمورون بذكرِ معبودِهم ومحبوبِهم في كل حال:

قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم.

فكما أن الجنةَ قيعانٌ وهو غراسُها، فكذلك القلوبُ بورٌ وخرابٌ وهو عمارتُها وأساسُها.

وهو جلاءُ القلوبِ وصقالُها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالُها، وكلما ازداد الذاكرُ في ذكرِه استغراقا: ازداد المذكورُ محبةً إلى لقائه واشتياقا.

وإذا واطأ -في ذكرِه- قلبُه للسانه: نسي في جنب ذكرِه كلَّ شيءٍ!!وحفظ اللهُ عليه كلَّ شيء!! وكان له عوضًا مِن كل شيء!!

به يزول الوقْرُ عن الأسماعِ، والبكمُ عن الألسنِ، وبه تنقشع الظلمةُ عن الأبصار.

زيَّن اللهُ به ألسنةَ الذاكرين، كما زيَّن بالنور أبصارَ الناظرين، فاللسان الغافل: كالعينِ العمياءِ والأذُنِ الصَّمَّاءِ واليدِ الشَّلاء!!

وهو بابُ اللهِ الأعظمُ المفتوحُ بينه وبين عبدِه ما لم يغلقْه العبدُ بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوةَ في ثلاثة أشياء:

في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن البابَ مغلق.

وبالذكر: يَصرعُ العبدُ الشيطانَ، كما يَصرعُ الشيطانُ أهلَ الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف: إذا تمكَّن الذكرُ من القلب فإن دنا منه الشيطانُ صرعه الذاكر، كما يُصرعُ الإنسـانُ إذا دنا منه الشـيطان، فيجتمع عليه الشـياطينُ فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسَّه الإنسي!!

وهـو روحُ الأعمـالِ الصالحةِ، فإذا خلا العملُ عن الذِّكر كان كالجسـدِ الذي لا روحَ فيه. والله أعلم

اللهم أعنا على ذكرك وشـكرك وحسـن عبادتك، اللهم ارحمنـا ووالدينا وأهلنا وابن القيم.

۞ ۞ ۞

٦٤٢. قـال تعالـى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قال القرطبي:

وهـذه نعمةٌ مـن الله تعالى على هذه الأمة من أكبر النعم، ودليلٌ على فضلها على سائر الأمم.

قال الطاهر ابن عاشور:

هذا تعليلٌ للأمر بذكر الله وتسـبيحه بأنَّ ذلك مجلبـةٌ لانتفاع المؤمنين بجزاءِ الله على ذلك بأفضلَ منه مِن جنسه، وهو صلاتُه وصلاةُ ملائكته.

والمعنى: أنه يصلي عليكم وملائكتُه إذا ذكرتموه ذكرا كثيرا بكرة وأصيلا.

ثم قال: واجتلابُ ﴿يُصَلِّى﴾ بصيغة المضارع لإفادة تكرر الصلاةِ وتجدُّدِها كلما تجدَّدَ الذِّكرُ والتسـبيح، أو إفادة تجددِها بحسـب أسبابٍ أخرى من أعمال المؤمنين وملاحظةِ إيمانهم.

۞ ۞ ۞

٦٤٣. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

قال ابن عطية:

قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آيةٍ عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن اللهَ تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا، وقد بيَّن الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

اللهم فضلك ورحمتك وجميل سترك.

۞ ۞ ۞

٦٤٤. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال القرطبي:

وهذا يدل على أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أنْ يثق بنفسه في الخلوة مع مَن لا تحِلُّ له؛ فإنَّ مجانبةَ ذلك أحسنُ لحاله، وأحصنُ لنفسه، وأتمُّ لعصمته.

۞ ۞ ۞

٦٤٥. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال القرطبي:

قال أبو سليمان الداراني: مَن أراد أنْ يسأَلَ اللهَ حاجةً فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسألِ اللهَ حاجتَه، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقبلُ الصلاتين، وهو أكرمُ مِن أنْ يَرُدَّ ما بينهما!!

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وارض عنا وعن القرطبي والداراني ووالدينا والمسلمين أجمعين، وصل وسلم على نبينا محمد.

۞ ۞ ۞

٦٤٦. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال الآلوسي:

تأكيد الجملة بإنَّ للاعتناء بشأن الخبر، والجملةُ تدل على الدوام والاستمرار نظرا إلى صدرها من حيث إنها جملة اسمية ﴿ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ وتفيدُ التجدُّدَ نظرا إلى عجُزها من حيث إنها جملة فعلية ﴿يُصَلُّونَ﴾ فيكون مفادُها: استمرار الصلاةِ وتجددها وقتا فوقتا.

والتعبيرُ بالنبي دون اسمه ﷺ على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه عليهم السلام مشعرٌ بما اختُصَّ به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر.

و ﴿ال﴾ في النبي للغلبة؛ إشارةً إلى أنه ﷺ المعروفُ الحقيقُ بهذا الوصف.

وإضافة الملائكة للاستغراق، أي جميع الملائكة كلهم، وفيه إشارة إلى عظيمِ قدرِهم ومزيدِ شرفهم بإضافتهم إلى الله تعالى، وذلك مستلزمٌ لتعظيمه ﷺ بما يصل إليه منهم مِن حيث إن العظيم لا يصدر منه إلا عظيم، ثم فيه التنبيه على كثرتهم وأن الصلاةَ -مِن هذا الجمعِ الكثيرِ الذي لا يحيط بمنتهاه غيرُ خالقِه- واصلةٌ إليه ﷺ على مرِّ الأيام وتعاقبِ الدهور والأعوامِ، مع تجدُّدِها كلَّ وقتٍ وحين، وهذا أبلغُ تعظيمٍ وأنهاه وأشملُه وأكملُه وأزكاه.

۞ ۞ ۞

٦٤٧. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال القرطبي:

قال سهل بن عبد الله: الصلاةُ على محمد ﷺ أفضلُ العبادات؛ لأن اللهَ تعالى تولاها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين، وسائرُ العبادات ليس كذلك.

قال ابن القيم:

وكما حَصَل التكريرُ في الصَّلاةِ عليه خَبَرا وطَلبا فكذلك حَصَلَ التكريمُ في السَّلام فِعْلا ومَصْدَرا، فتأمله.

اللهم اهدنا. اللهم صل وسلم على نبينا محمد.

۞۞۞

٦٤٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قالت الشعراء في مدح النبي الأكرم ﷺ:

يا أمَّ معبدَ كرري أوصافَهُ ... فالضرعُ جَفَّ وشاتُنا عجْفاءُ
يا أمَّ معبدَ بلِّغي عن حالِنا ... فالقلبُ خاو والخطى عرجاءُ
مِن نورِ جبهتِه وحُمْرةِ خدهِ ... طِيبٌ يفيضُ وفي العيون سناءُ
وحديثُه طِبُّ القلوبِ وأنْسُها ... إنْ طَوقتنا فتنةٌ صمَّاءُ
وهَبَ الوجودَ مِن المكارمِ فارتقى ... بحضارةٍ فخرَتْ بها الأحياءُ
طابتْ بمقدمِه الحياةُ ولم تزلْ ... مِنْ ذكرِه تسمو بهِ الشرفاءُ
وبنورِه مِسْكٌ تفاوح في المدى ... فتلألأتْ مِن هديِه الأنواءُ
يا أمَّ معبدَ ليتَ قلبي خيمةٌ ... لِتدوسَهُ بِنعالها النُّزلاءُ
يا أمَّ معبدَ كيف عَذْبُ فصاحةٍ ... يتقاصرُ الشعراء والأدباءُ
يا أمَّ معبدَ علمي أجيالَنا ... كلُّ المفاخرِ في سَناه هباءُ

كلُّ الذيـــن تكالَبــوا لِعدائــه وحروبِــه بخســـارةٍ قـــدْ باؤوا

صلى عليك الله وسلم يا رسول الله.

۞ ۞ ۞

٦٤٩. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

قال الثعلبي:

قال الحسن وقتادة: إيَّاكم وأذى المؤمن؛ فإنَّه حبيبُ ربِّه، أحبَّ اللهَ فأحبَّه، وغضبَ لربِّه فغضبَ اللهُ له، وإنَّ اللهَ يحوطُه ويؤذي مَن آذاه.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٦٥٠. قال تعالى عن الكافرين: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب: ٦٦]

قال أبو حيان:

والوجهُ أشرفُ ما في الإنسان، فإذا قُلِّبَ في النار كان تقليبُ ما سواه أولى!!

اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ سَبَإٍ

٦٥١. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

قال أبو حيان، مستفيدا من الزمخشري:

وجعل اللهُ الجبالَ بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا؛ إشعارًا بأنه ما مِن حيوانٍ وجمادٍ وناطقٍ وصامتٍ إلا وهو منقادٌ لمشيئته، غيرُ ممتنعٍ على إرادته، ودلالةٌ على عزةِ الربوبية، وكبرياءِ الألوهية، حيث نادى الجبالَ وأمرَها.

ما أعظم الله!! وما أحلمه!!

۞ ۞ ۞

٦٥٢. قال تعالى: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١].

قال الرازي:

وقد ذكرنا مِرارا: أنَّ مَن يعملُ لِمَلِكٍ شُغلًا ويعلمُ أنه بمرأى مِن الملك؛ فإنه يُحسنُ العملَ ويتقنُه ويجتهدُ فيه.

اللهم اجعل عملنا عملا صالحا خالصا، وتقبله منا يا كريم.

۞ ۞ ۞

٦٥٣. قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

قال ابن القيم:

ومقـامُ الشـكر لله جامعٌ لجميـع مقامـاتِ الإيمان، ولذلـك كان الشـكرُ أرفعَها وأعلاهـا، وهو فوق الرضـا، وهو يتضمن الصـبر من غير عكس، ويتضمـنُ التوكلَ والإنابـةَ والحبَّ والإخباتَ والخشـوعَ والرجاءَ، فجميع المقامـات مندرجة فيه، لا يسـتحقُ صاحبُه اسـمه على الإطلاق إلا باستجماع المقامات له؛ ولهذا كان الإيمانُ نصفيـن: نصفٌ صبر، ونصفٌ شـكر، والصبرُ داخلٌ في الشـكر، فرجَـع الإيمانُ كلُّه شكرا، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾.

قـال عـون بن عبد الله: قال بعض الفقهاء: إني رأيتُ في أمري، فلم أر خيرًا لا شـرَّ معه إلا المعافاة والشكر!! فرُبَّ شاكرٍ في بلائه، ورُبَّ معافى غيرِ شاكر، فإذا سألتم الله فاسألوهما جميعا.

اللهم إنا نسألك أن نكون من الأقلين.

۞ ۞ ۞

٦٥٤. قال تعالى عن أهل سبأ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٧-١٨].

قال الرازي:

فـإن قال قائل: هذا مـن النِّعم، واللهُ تعالى قد شـرَع في بيانِ تبديـلِ نعمهم بقوله: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]. فكيف عاد مرةً أخرى إلى بيان النعمة بعد النقمة؟

فنقـول: ذكَـر حـالَ نفـسِ بلدِهـم، وبيَّن تبديـلَ ذلك بالخمـط والأثل، ثـم ذكَرَ حـالَ خـارجِ بلدِهـم، وذكـرَ عمارَتها بكثـرة القرى، ثـم ذكـرَ تبديلَه ذلـك بالمفاوز والبيادي والبراري.

۞ ۞ ۞

٦٥٥. قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سبأ: ٢٧].

قال ابن جزي:

وفي قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ تحقيرٌ للشركاء وازدراءٌ بهم، وتعجيزٌ للمشركين.

وفي قوله: ﴿كَلَّاۚ﴾ ردعٌ لهم عن الإشراك.

وفي وصفِ اللهِ بالعزيز الحكيم ردٌّ عليهم بأنَّ شركاءَهم ليسوا كذلك.

اللهم فحرِّم ابنَ جزي على النار؛ بما فسَّر به هذه الآية، وقد دعا إلى توحيدك وإجلالك، وكشف عن ضلال أهل الإشراك وأزرى بهم.

❁ ❁ ❁

٦٥٦. قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ [سبأ: ٥٤].

قال ابن كثير:

قال قتادة: إياكم والشَّكَّ والريبة؛ فإنَّ مَن مات على شَكٍّ بُعث عليه، ومَن مات على يقينٍ بُعث عليه.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ فَاطِر

٦٥٧. قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

قال الآلوسي:

وما أدعى هذه الآية إلى الانقطاع إلى الله تعالى، والإعراضِ عما سواه ﷻ وإراحةِ البال عن التخيلات الموجبة للتهويش وسهر الليالي.

❁ ❁ ❁

٦٥٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

قال ابن القيم:

والأمرُ باتخاذِه عدوًا تنبيهٌ على استفراغِ الوسعِ في محاربته ومجاهدته، كأنَّه عدوٌّ لا يفترُ، ولا يقصرُ عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

اللهم إنا نعوذ بك وأزواجَنا وذرياتِنا من الشيطان الرجيم.

❁ ❁ ❁

٦٥٩. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [فاطر: ١٥].

قال أبو السعود:

فقراءُ في أنفسِكم، وفيما يَعِنُّ لكم مِن أمْرٍ مُهِم أو خَطْبٍ مُلِم.

وتعريفُ الفقراءِ للمبالغة في فقرهم، كأنهم لكثرةِ افتقارِهم وشدةِ احتياجِهم هُمُ الفقراءُ فحسب!! وأنَّ افتقارَ سائرِ الخلائقِ بالنسبة إلى فقرِهم بمنزلة العدم.

اللهم فأغننا من فضلك.

۞ ۞ ۞

٦٦٠. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [فاطر: ١٥].

قال ابن عثيمين:

﴿إِلَى﴾ هذه للغاية؛ أي: أنَّ فقرَكم منتهٍ إلى الله عز وجل، لا يسدُّ عوزكم إلا الله.

۞ ۞ ۞

٦٦١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

قال عبدالله التويجري:

نداءٌ وتنبيهٌ للناس كلِّ الناس، ونحن منهم: بأننا فقراء محتاجون إلى الله، وإلى رحمته، وعنايته، ولطفه، وإمداده في كل لمحة ونَفَس.

نحن فقراء، ومهما اغتنينا فيجب ألَّا نتخلى عن الشعور بالفقر إلى الله؛ فلا غنى بنا عن الله أبدا.

نحن فقراء مهازيل، ضعفاء محاويج بين يدي الله، هو الغني وهو المدبر وهو القوي وهو العليم الحكيم.

نحن لو ملكنا كلَّ مالٍ في الأرض، فمن يحفظه ويحفظنا إلا الله!!

فلا تنس بأنك فقيرٌ إلى الله، ولو كنت صحيحَ البدن، بعافية وهناءة، وغنى وأمن وسلام، فأنت فقيرٌ إلى الله، وإني أعيذك من هاجس الاستغناء عن الله فثم الهلاك والخيبة.

۞ ۞ ۞

٦٦٢. قال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

قال ابن كثير:

فالمؤمنُ: سميعٌ بصيرٌ في نورٍ يمشي على صراطٍ مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقرَّ به الحالُ في الجناتِ ذاتِ الظلالِ والعيون.

والكافرُ: أعمى أصمُّ، في ظلماتٍ يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيهُ في غيِّه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحَرورِ والسَّمومِ والحميمِ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤].

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٦٦٣. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال الآلوسي:

وإنما يعتريهم ذلك (أي الخشية) لأن مقصدَهم ليس إلا اللهُ تعالى ونيلُ رضوانه المستتبعُ للكرامة والزلفى، وذلك مما لا ريبَ في حصوله، ولا احتمالَ لفواته؛ بموجب الوعد الإلهي.

وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي عندهم أحقرُ مِن تَبالةَ عند الحَجَّاج!!

بل الدنيا بأسرها في أعينهم أقذرُ مِن ذراعِ خنزيرٍ ميتٍ بال عليه كلبٌ في يد مجذوم!!

فهيهات أن تنتظم في سلك مقصدِهم وجودًا وعدمًا حتى يخافوا من حصول ضارِّها أو يحزنوا من فوات نافعها!!

۞ ۞ ۞

٦٦٤. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٨-٢٩].

قال أبو حيان:

لما ذكر سبحانه اتصافهم بالخشية، وهي عمل القلب، ذكر أنهم يتلون كتاب الله، وهو عمل اللسان، ثم ذكر إقامة الصلاة، وهي عمل الجوارح، ثم ذكر الإنفاق، وهو العمل المالي.

وإقامة الصلاة والإنفاق: يقصدون بذلك وجه الله، لا للرياء والسمعة.

انتهى كلامه رحمه الله بتصرف يسير.

۞ ۞ ۞

٦٦٥. قال تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

قال الرازي:

إشارة إلى الإخلاص، أي ينفقون لا ليقال إنه كريم، ولا لشيءٍ من الأشياء غير وجهِ الله؛ فإنَّ غيرَ اللهِ بائر، والتاجرُ فيه تجارتُه بائرة.

۞ ۞ ۞

٦٦٦. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

قال الشوكاني:

المفعولُ الأولُ لـ ﴿أَوْرَثْنَا﴾ الاسمُ الموصول، والمفعولُ الثاني الكتاب، وإنما قدَّم المفعولَ الثانيَ لقصد التشريف والتعظيم للكتاب، والمعنى: ثم أورثنا الذين اصطفيناهم من عبادنا الكتابَ، وهو القرآن أي: قضينا وقدرنا بأنْ نورِّث العلماءَ من أمتك يا محمد هذا الكتابَ الذي أنزلناه عليك، ومعنى اصطفائهم: اختيارُهم واستخلاصُهم، ولا شك أن علماء هذه الأمة من الصحابة فمن بعدهم قد شرَّفهم الله على سائر العباد وجعلهم أمة وسطًا؛ ليكونوا شهداء على الناس، وأكرَمهم بكونهم أمةَ خيرِ الأنبياء وسيدِ ولدِ آدم.

۞ ۞ ۞

٦٦٧. قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

قال القرطبي عند تفسيره لها:

يُروى أنَّ عابِدَيْنِ التقيا، فقال أحدهما: كيف حالُ إخوانِكم بالبصرة؟

قال الآخَر: بخير، إنْ أُعطوا شكروا، وإنْ مُنعوا صبروا.

فقال الأول: هـذه حالـةُ الكلاب عندنـا بِبَلخ!! عُبَّادُنـا إنْ مُنعوا شـكروا، وإنْ أُعطوا آثروا.

۞ ۞ ۞

٦٦٨. قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].

قال ابن عطية:

النَّصَبُ: تعَبُ البدنِ.

واللُّغوب: تعبُ النفْسِ اللازمُ مِن تعب البدن.

قال ابن كثير:

لا تعبَ على أبدانِهم ولا أرواحِهم.

قال البقاعي عن الجنة:

فهي الجديرةُ لعمري بأن يقال فيها:

صفراءُ لا تَنزلُ الأحزانُ ساحتَها لـو مَسَّـها حَجَـرٌ مسَّـتْهُ سَـرَّاءُ

اللهم رضاك والجنة لنا ولوالدينا وذرارينا وأزواجنا ومن أحببناهم فيك.

۞ ۞ ۞

٦٦٩. قـال تعالـى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال القرطبي:

والشـيبُ نذيرٌ أيضا؛ لأنه يأتي في سِـنِّ الاكتهال، وهو علامةٌ لمفارقةِ سِـنِّ الصبا الذي هو سِنُّ اللهو واللعب.

قال الشاعر:

رأيـتُ الشيبَ مِن نُـذُرِ المنايا لصاحبـه وحسـبك مِـن نذيرِ!!

وقال آخر:

فقلتُ لها: المشيبُ نذيرُ عمري ولسـتُ مُسَـوِّدًا وجـهَ النذيـرِ!!

اللهم رحماتك وألطافك فأنزلها علينا.

❁ ❁ ❁

٦٧٠. قـال تعالـى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

قال القرطبي:

قال ابن مسعود: كاد الجعلُ أن يعذبَ في جحرِهِ بذنب ابنِ آدم!!

وقال يحيى بن أبي كثير:

أمَرَ رجلٌ بالمعروف ونهى عن المنكر، فقال له رجل: عليك بنفسك؛ فإن الظالمَ لا يضرُّ إلا نفسَه!!

فقال أبو هريرة: كذبت!! واللهِ الذي لا إله إلا هو، والذي نفسي بيده، إنَّ الحبارى لتموتُ هزلا في وكرها؛ بظلم الظالم.

اللهم أنج المستضعفين المسلمين من كل بلاء وكرب وفتنة.

❁ ❁ ❁

سورة يس

٦٧١. قال تعالى: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

قال الرازي:

فيه لطيفة، وهي أنَّ الرحمة تورث الاتكال والرجاء، فقال مع أنه رحمن ورحيم فالعاقل لا ينبغي أن يترك الخشية.

وقال الطاهر ابن عاشور:

فيها دلالةٌ على أن رحمةَ الله لا تقتضي عدم خشيته؛ فالمؤمن يخشى الله مع علمه برحمته.

اللهم يا رحمن، أورثنا خشيتك في الغيب والشهادة.

۞ ۞ ۞

٦٧٢. قال تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

قال القرطبي:

وأضاف الفطرةَ إلى نفسه؛ لأن ذلك نعمةٌ عليه توجبُ الشكر، وأضاف البعثَ إليهم؛ لأن ذلك وعيدٌ يقتضي الزجر، فكان إضافةُ النعمة إلى نفسه أظهرَ شكرًا، وإضافةُ البعث إلى الكافر أبلغَ أثرًا.

۞ ۞ ۞

٦٧٣. قال تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥].

قال الماوردي:

فجعل ما كان مِن اليد كلامًا، وما كان من الرِّجل شهادة؛ قيل: لأن اليدَ مباشرةٌ لعملِه والرِّجل حاضرة، وقولُ الحاضرِ على غيرِه شهادة، وقولُ الفاعلِ على نفسِه إقرار، فلذلك عبَّر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل بالشهادة.

اللهم عافنا واعف عنا، واسترنا ولا تفضحنا.

۞ ۞ ۞

٦٧٤. قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: ٦٩].

قال عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير:

قال أبو زرعة الرازي: حُدثت عن إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي أنه قال: ما ولَدَ عبدُ المطلب ذكرًا ولا أنثى إلا يقول الشعر، إلا رسول الله ﷺ.

صلى عليك الله ياعلم الدجى وسلم تسليما كثيرا.

۞ ۞ ۞

٦٧٥. قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: ٦٩].

قال القرطبي:

روي أن المأمون قال لأبي علي المنقري: بلغني أنك أمِّي، وأنك لا تقيم الشعر، وأنك تلحن!!

فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فربما سبق لساني منه بشيء، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله ﷺ لا يكتب ولا يقيم الشعر.

فقال له: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك، فزدتني رابعا، وهو الجهل، يا جاهل!! إن ذلك كان للنبي ﷺ فضيلة، وهو فيك وفي أمثالك نقيصة، وإنما مُنع النبيُ ﷺ ذلك لنفي الظنة عنه، لا لعيب في الشعر والكتابة.

رحم الله القرطبي والإمام أحمد بن حنبل ورضي عنهما.

۞ ۞ ۞

٦٧٦. قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٧٠].

قال عبدالله التويجري:

الكافرُ بالله ميتٌ، وإن كان حيًا يمشي على الأرض.

۞ ۞ ۞

٦٧٧. قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

قال ابن بلقاسم: يقينُك بعلمِ اللهِ يقتلعُ جذورَ الأحزان!!

۞ ۞ ۞

٦٧٨. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

قال ابن القيم:

فلو رام أعلمُ البشرِ وأفصحُهم وأقدرُهم على البيان أنْ يأتي بأحسنَ من هذه الحجةِ أو بمثلِها في ألفاظٍ تشابه هذه الألفاظَ في الإيجاز والاختصارِ ووضوحِ الدلالة وصحةِ البرهان لألفى نفسَه ظاهرَ العجزِ منقطعَ الطمعِ يستحي الناس من ذلك.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

٦٧٩. قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

قال البقاعي:

﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ وجمع عليهم الهمومَ بهذه الكلمة؛ لتذهب أوهامُهم كلَّ مذهب؛ فلا تبقى حسرةٌ إلا حضرتهم؛ ولا مصيبةٌ إلا علتْ قلوبَهم فقهرتهم؛ فإنَّ المكلفَ كلَّه ضعفٌ وعورة؛ فموقفُ السؤالِ عليه أعظمُ حسرة.

اللهم ارحم ضعفنا واجبر كسرنا، واسترنا ولا تفضحنا.

۞ ۞ ۞

٦٨٠. قال تعالى في ذكر نعيم أهل الجنة: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الصافات: ٤٨].

قال ابن بلقاسم:

لو لم يكن العفاف جمالًا لما ذُكر في الجنة.

وقصر الطَّرفِ يحتمل معنيين، ولعلهما جميعًا مراد:

١- قاصراتٌ طرفَهنَّ على أزواجهنَّ؛ لعفتهنَّ وطيبهنَّ.

٢- قاصراتٌ طرفَ أزواجهنَّ عليهنَّ؛ لحسنهنَّ وجمالهنَّ.

۞ ۞ ۞

٦٨١. قال تعالى: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٨-٥٩].

قال ابن القيم:

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أَمِنَ أهلُ الجنةِ مِن الموت، فطاب لهم العيش، وأَمِنوا مِن الأسقام، فهنَّأهم في جوار الله طولُ المقام، ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته!!

اللهم رضاك والجنة.

۞ ۞ ۞

٦٨٢. قال تعالى: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصافات: ٥٨-٦٠].

قال عبدالله التويجري:

تخبرنا بعضُ آيات سورة الصافات أنَّ الفوزَ العظيمَ هو لمن دخل الجنة؛ حيث: لا موت، ولا عذاب.

وكلُّ نعيمٍ فإنَّ الموتَ يقطعُه، إلا نعيمَ الجنة.

۞ ۞ ۞

٦٨٣. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥].

قال فيصل بن تركي:

إيْ والله! نِعمَ المجيبُ ربي، ونعم النصير؛ أغرق أهلَ الأرضِ نصرةً له، وفتح أبوابَ السماءِ بماءٍ متدفقٍ متتابع، وفجَّر الأرضَ مياهًا، حتى طغا الماءُ في يومٍ لا معصومَ فيه إلا نوحٌ المنصورُ ومَن معه!!

فلو فزعتَ بمخاوفك لكل أحد، فلن تجد مجيبًا أنصرَ من الله؟!

۞ ۞ ۞

٦٨٤. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٦-١٠٧].

قال ابن سعدي:

إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصبٌ لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميعُ أجزاء القلب متعلقةً بالمحبوب، فلما تعلَّقت شعبةٌ من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يُصفي ودَّه ويختبر خلَّته، فأمره أن يذبح مَن زاحم حبُّه حبَّ ربِّه، فلما قدَّم حبَّ اللهِ، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه.

❁ ❁ ❁

٦٨٥. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

قال الزمخشري:

وكان يقال: إنَّ العملَ الصالحَ يرفعُ صاحبَه إذا عثر، وإذا وقع وجد متكأ، وهذا ترغيبٌ مِن الله عز وجل في إكثارِ المؤمنِ مِن ذكرِه بما هو أهلُه، وإقبالِه على عبادته، وجمعِ همِّه لتقييد نعمتِه بالشكر في وقت المهلة والفسحة؛ لينفعَه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد.

وقال القرطبي:

قال الحسن: ما كان له صلاةٌ في بطن الحوت، ولكنه قدَّمَ عملًا صالحًا في حال الرخاء، فذكره اللهُ به في حال البلاء؛ وإنَّ العملَ الصالحَ ليرفعُ صاحبَه، وإذا عثَرَ وجد متَّكأً.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

❁ ❁ ❁

٦٨٦. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

قال أبو السعود:

ولا يقدحُ في ذلك انهزامُهم في بعضِ المشاهد؛ فإنَّ قاعدةَ أمرِهم وأساسَه الظفرُ والنصرة، وإنْ وقعَ في تضاعيف ذلك شوبٌ مِن الابتلاء والمحنة، والحكمُ للغالب.

وقال الآلوسي:

واستمرارُ الغلبةِ للجندِ مشروطٌ بما تُشعِرُ به الإضافة؛ فلا يُغلَبُ أتباعُ المرسلين في حربٍ إلا لإخلالهم بما تُشعر به؛ بمَيلٍ ما إلى الدنيا، أو ضعفِ التوكل عليه تعالى، أو نحو ذلك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ صٓ

٦٨٧. قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

قال الطاهر ابن عاشور طيب الله ثراه:

وقد دلَّ استقراءُ مواقعِ سجودِ القرآن أنها لا تعدو أنْ تكونَ إغاظةً للمشركين أو اقتداءً بالأنبياء والمرسلين، كما قال ابن عباس في سجدة ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ أنَّ اللهَ تعالى قال ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]. فداودُ مِمَّنْ أُمر محمدٌ ﷺ بأن يقتدي به.

۞ ۞ ۞

٦٨٨. قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

قال ابن كثير:

قال الوليد بن عبد الملك لأبي زرعة:

أيُحاسَبُ الخليفة؟ فإنك قد قرأتَ الكتابَ الأول، وقرأتَ القرآن وفقهت؟

فقال أبو زرعة: يا أمير المؤمنين، أقول؟

قال: قل، في أمان!!

قلتُ: يا أمير المؤمنين أنتَ أكرمُ على الله أو داود؟ إنَّ اللهَ ﷻ جمع له النبوةَ والخلافةَ، ثم توعده في كتابه، فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

اللهم ارحمنا ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا وابن كثير وأبوزرعة والوليد ابن عبدالملك.

۞ ۞ ۞

٦٨٩. قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

قال ابن كثير:

لا نفعلُ ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بُدَّ مِن دارٍ أخرى يثابُ فيها هذا المطيع، ويعاقبُ فيها هذا الفاجر.

وهذا الإرشادُ يدلُّ العقولَ السليمةَ والفِطرَ المستقيمةَ على أنه لا بُدَّ مِن مَعادٍ وجزاء؛ فإنَّا نرى الظالمَ الباغيَ يزدادُ مالُه وولدُه ونعيمُه ويموتُ كذلك، ونرى المطيعَ المظلومَ يموتُ بِكَمدِه، فلا بد في حكمةِ الحكيمِ العليمِ العادلِ الذي لا يَظلمُ مثقالَ ذرةٍ مِن إنصافِ هذا مِن هذا.

وإذا لم يقعْ هذا في هذه الدارِ، فتعيَّن أنَّ هناك دارا أخرى لهذا الجزاء والمواساة.

۞ ۞ ۞

٦٩٠. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩].

قال محمد الأمين الشنقيطي:

والمباركُ كثيرُ البركات، مِن خير الدنيا والآخرة.

ونرجو اللهَ القريبَ المجيبَ؛ إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك، أنْ يجعلنا مباركين أينما كنا، وأنْ يباركَ لنا وعلينا، وأنْ يشملنا ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأنْ يعمَّ جميعَ إخواننا المسلمين، الذين يأتمرون بأوامره بالبركات والخيرات، في الدنيا والآخرة، إنه قريب مجيب. اللهم آمين.

۞ ۞ ۞

٦٩١. قال تعالى في سورة (ص) عن سليمان ﷺ: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وقال في سورة (ص) أيضا عن أيوب ﷺ: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال الطاهر ابن عاشور:

فكان سليمانُ أوَّابًا لله مِن فتنة الغنى والنعيم، وأيوبُ أوابًا لله مِن فتنة الضرِّ والاحتياج، وكان الثناءُ عليهما متماثلًا؛ لاستوائهما في الأوبة، وإن اختلفت الدواعي.

قال سفيان: أثنى الله على عبدين ابتليا: أحدُهما صابر، والآخَرُ شاكر، ثناءً واحدًا. فقال لأيوب ولسليمان: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

❁ ❁ ❁

٦٩٢. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥].

قال البيضاوي:

أولي القوةِ في الطاعةِ، والبصيرةِ في الدين. أو أولي الأعمالِ الجليلة، والعلومِ الشريفة. فعبَّر بالأيدي عن الأعمال؛ لأنَّ أكثرَها بمباشرتها، وبالأبصار عن المعارف؛ لأنها أقوى مبادئها، وفيه تعريضٌ بالبَطَلَةِ الجُهَّال، أنهم كالزَّمْنى والعُمَاة.

❁ ❁ ❁

٦٩٣. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ﴾ [ص: ٥٢].

قال السعدي رحمه الله:

قاصراتٌ طرفَهن على أزواجهن، وقاصراتٌ طرفَ أزواجِهن عليهن؛ لجمالهم كلِّهم، ومحبةِ كلٍّ منهما للآخر، وعدمِ طموحه لغيره، وأنه لا يبغي بصاحبه بدلا، ولا عنه عوضا.

جعلنا الله ووالدينا وأهلينا والسعدي منهم.

❁ ❁ ❁

٦٩٤. قال الحق سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].

قال ابن سعدي: هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو: وحدتُه تعالى، وقهرُه لكل شيء؛ فإن القهرَ ملازمٌ للوحدة، فلا يكون قهَّاران متساويان في قهرهما أبدا؛ فالذي يقهرُ جميعَ الأشياء هو الواحدُ الذي لا نظير له، وهو الذي يستحقُّ أن يُعبد وحده، كما كان قاهرا وحده.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الزُّمَرِ

٦٩٥. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

ساجدا: حال.

وقائما: حال ثانية.

ويحذر الآخرة: حال ثالثة.

ويرجو رحمة ربه: حال رابعة.

فالحال الأولى والثانية لوصف عمله الظاهر.

والجملتان اللتان هما الحال الثالثة والحال الرابعة لوصف عملِه الباطن.

۞ ۞ ۞

٦٩٦. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

قال عبدالله التويجري:

اقرأها، مع تذكُّرِ أنَّ المخاطَبَ بها في المقام الأول: سيدي المفدَّى بالأرواح والمهج رسولُ الله ﷺ، ثم اقرأها، مع تذكُّرِ أنك داخلٌ في عموم المخاطبين بها.

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.

۞ ۞ ۞

٦٩٧. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

قال ابن كثير:

أولوا الألباب هم الذين يتذكرون بهذا، فيعتبرون إلى أنَّ الدنيا هكذا، تكونُ خَضِرةً نَضِرةً حسناء، ثم تعودُ عجوزا شوهاء، والشابُ يعود شيخًا هرِمًا كبيرًا ضعيفًا، وبعد ذلك كلِّه الموت!! فالسعيدُ مَن كان حالُه بعده إلى خير.

۞ ۞ ۞

٦٩٨. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٩].

قال أبوالسعود:

قوله هنا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ تنبيهٌ للموحِّدين على أنَّ ما لَهم مِن المَزيةِ بتوفيقِ الله تعالى، وأنَّها نعمةٌ جليلةٌ موجِبةٌ عليهم أنْ يداوموا على حَمْدِه وعبادتِه، أو على أنَّ بيانَه تعالى بضربِ المثلِ أنَّ لهم المثلَ الأعلى، وللمشركين مثلُ السوء، صنعٌ جميل، ولطفٌ تامٌ منه ﷻ، مستوجبٌ لحمدِه وعبادتِه.

اللهم فلك الحمد هديتنا للإسلام وشرفتنا به وأكرمتنا بتوحيدك.

۞ ۞ ۞

٦٩٩. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

قال عبدالله التويجري:

عدمُ الإيمانِ باليوم الآخر، وعدمُ استحضارِه مِن أعظمِ أسبابِ الفسادِ والوقوعِ في البوائق، بل هو بوابة الإلحاد والزندقة؛ فيا أيها المعلمون والمعلمات:

ذكِّروا الطلاب والطالبات باليوم الآخر، واغرسوا في قلوبهم الإيمانَ به بأدلته من آيات الكتاب؛ فإنْ ترحَّلَ الإيمانُ باليوم الآخر ترحَّلَ الدِّينُ كلُّه.

۞ ۞ ۞

٧٠٠. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

قال الآلوسي:

ولله دَرُّ الربيعِ بن خيثم؛ فإنه لما سُئل عن قتل الحسين رضي الله تعالى عنه: تأوَّه، وتلا هذه الآية.

فإذا ذُكِر لك شيءٌ مما جرى بين الصحابة فقل: ﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾. فإنه من الآداب التي ينبغي أن تُحفظ.

۞ ۞ ۞

٧٠١. قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال القرطبي:

مِنْ أجَلِّ ما رُوي فيه قولُ مجاهد: عملوا أعمالًا توهَّموا أنها حسناتٌ فإذا هي سيئات.

وقيل: عملوا أعمالًا توهموا أنهم يتوبون منها قبل الموتِ فأدركهم الموتُ قبل أن يتوبوا، وقد كانوا ظنوا أنهم ينجون بالتوبة.

ويجوز أن يكونوا توهموا أنه يُغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار.

وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويلٌ لأهل الرياء، ويلٌ لأهل الرياء؛ هذِه آيتُهم وقصتُهم.

وقال عكرمة بن عمار: جزِعَ محمدُ بن المنكدر عند موته جزعا شديدا، فقيل له: ما هذا الجزع؟

قال: أخاف آيةً من كتاب الله!! ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب.

اللهم عفوك وسترك يارب يا لطيف.

۞ ۞ ۞

٧٠٢. قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

قال إبراهيم التيمي:

مِن الحسرات يوم القيامة: أن يرى الرجلُ مالَهُ الذي آتاه اللهُ -في الدنيا- يومَ القيامة في ميزان غيره!! قد ورِثَه وعمِلَ فيه بالحق، فكان لغيره أجرُه وعليه وزرُه.

ومن الحسرات: أن يرى الرجلُ عبدَه الذي خولَّه اللهُ إياه في الدنيا أقربَ منزلةً من الله ﷻ.

ومن الحسرات: أن يرى رجلًا يعرفُه أعمى في الدنيا، قد أبصر يوم القيامة، وعمي هو!

اللهم لا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

۞ ۞ ۞

٧٠٣. قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

قال ابن سعدي:

فكما أنه تعالى يُشكَر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصولِ الرزق وغيرِ ذلك، كذلك يُشكَر ويُثنَى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى.

بل نعمُ الدِّين هي النِّعمُ على الحقيقة. وفي تدبُّرِ أنها من الله تعالى، والشكرِ لله عليها سلامةٌ مِن آفةِ العُجب التي تعرِض لكثيرٍ من العاملين؛ بسبب جهلهم، وإلا فلو

عرف العبدُ حقيقة الحال لم يُعجب بنعمةٍ تستحقُّ عليه زيادةَ الشكر!!

اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٧٠٤. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

قال ابن القيم:

حرَّم اللهُ سبحانه الجنةَ على مَن في قلبه نجاسةٌ وخبث، ولا يدخلها إلا بعد طِيبِه وطُهرِه؛ فإنها دار الطيبين.

ولهذا يقال لهم: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾؛ أي: ادخلوها بسبب طيبكم. والبشارةُ عند الموت لهؤلاء دون غيرهم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]. فالجنةُ لا يدخلها خبيث، ولا مَن فيه شيء من الخَبث.

واللهُ سبحانه بحكمته جعل الدخولَ عليه موقوفًا على الطهارة، فلا يدخل المصلِّي عليه حتى يتطهر، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفًا على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيبٌ طاهر؛ فهما طهارتان: طهارةُ البدن، وطهارة القلبُ، ولهذا شُرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»؛ فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء، فلما اجتمع له الطُّهران صَلُح للدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته. انتهى كلامه مختصرا.

اللهم إنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك، اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين.

۞ ۞ ۞

٧٠٥. قال تعالى عن المتقين عند دخولهم الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

قال أبو السعود:

وجواب «إذا» محذوف؛ للإيذان بأنَّ لهم حينئذٍ مِن فنون الكرامات ما لا يُحدِقُ به نطاقُ العبارات، كأنه قيل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ كان ما كان مما يقصر عنه البيان. انتهى كلامه مختصرا.

والبيضاوي من قبل قال:

وحُذف جوابُ إذا للدلالة على أنَّ لهم حينئذٍ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف!!

الله أكبر، ما أعظم بلاغة القرآن!!

۞ ۞ ۞

٧٠٦. قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

قال الرازي:

وفي الآية دقيقةٌ أخرى، وهي أنه لم يبين أنَّ ذلك القائل مَن هو؟ والمقصود من هذا الإبهام التنبيه على أنَّ خاتمةَ كلامِ العقلاء في الثناء على حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أنْ يقولوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وتأكد هذا بقوله تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠].

۞ ۞ ۞

سُورَةُ غَافِرٍ

٧٠٧. قال تعالى: ﴿حمٓ﴾ [غافر: ١].

قال الثعلبي:

وقال ابن مسعود: إذا وقعتُ في آل حم، وقعتُ في روضاتٍ أتأنَّقُ فيهن.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٠٨. قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣].

قال ابن كثير:

كان رجلٌ مِن أهل الشامِ ذو بأس، وكان يفِدُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففقده عمرُ، فقال: ما فعل فلان بن فلان؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابعُ في هذا الشراب!!

قال: فدعا عمرُ كاتَبه، فقال: اكتب: مِن عمرَ بنِ الخطاب إلى فلان بن فلان، سلامٌ عليك، أما بعد:

فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ثم قال لأصحابه:

ادعوا اللهَ لأخيكم أنْ يُقبِلَ بقلبه، وأنْ يتوبَ اللهُ عليه.

فلما بلغ الرجلَ كتابُ عمرَ جعل يقرؤه ويردِّدُه، ويقول:

غافرِ الذنب وقابلِ التوب شديدِ العقاب!!

قد حذَّرني عقوبتَه، ووعدني أنْ يغفر لي!! فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزَع فأحسنَ النزعَ، فلما بلغ عمرَ رضي الله عنه خبرُه، قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زلَّ زلةً فسدِّدُوه ووفقوه، وادعوا اللهَ له أنْ يتوبَ عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه.

۞ ۞ ۞

٧٠٩. قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: ٣].

قال ابن عطية:

ترتَّبَ في الآية وعيدٌ بين وعدين، وهكذا رحمةُ اللهِ تغلبُ غضبَه.

ثم قال رحمه الله: سمعتُ هذه النزعةَ من أبي رضي الله عنه، وهي نحو مِن قولِ عمرَ رضي الله عنه: «لن يغلبَ عُسْرٌ يُسرين».

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة.

۞ ۞ ۞

٧١٠. قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

قال ابن تيمية:

ومِن المعلوم أنَّ كلَّ مَن عارضَ القرآنَ، وجادلَ في ذلك بعقله ورأيه، فهو داخلٌ في ذلك، وإنْ لم يزعمْ تقديمَ كلامِه على كلامِ اللهِ ورسولِه، بل إذا قال ما يوجبُ المِريةَ والشَّكَ في كلام الله، فقد دخل في ذلك!!

فكيف بمن يزعمُ أنَّ ما يقولُه بعقلِه ورأيه مقدَّمٌ على نصوصِ الكتابِ والسنةِ؟

اللهم أفض علينا وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا وابن تيمية من رحماتك.

۞ ۞ ۞

٧١١. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

قال ابن عطية:

هذا خبرٌ يتضمنُ تشريفَ المؤمنين، ويُعَظِّمُ الرجاءَ لهم، وهو أنَّ الملائكةَ الحاملين للعرشِ والذين حول العرش -وهم أفضلُ الملائكة- يستغفرون للمؤمنين، ويسألون اللهَ تبارك وتعالى لهم الجنةَ والرحمةَ، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ [الفرقان: ١٦]. أي: سألته الملائكة.

وبلغني أنَّ رجلًا قال لبعض الصالحين: ادعُ لي، واستغفر لي. فقال له: تُبْ واتبعْ سبيلَ الله، يستغفرْ لك مَن هو خيرٌ مني، وتلا هذه الآية.

وقال مطرِّف بن الشخير: وجدْنا أنصحَ العبادِ للعبادِ الملائكة، وأغشَّ العبادِ للعبادِ الشياطين، وتلا هذه الآية.

قال القرطبي: وقال يحيى بن معاذ الرازي لأصحابه في هذه الآية: افهموها؛ فما في العالَمِ جُنَّةٌ أرجى منها!! إنَّ مَلَكًا واحدًا لو سأل اللهَ أنْ يغفرَ لجميع المؤمنين لغفر لهم، كيف وجميعُ الملائكة وحملةُ العرش يستغفرون للمؤمنين!!

وقال خلف بن هشام البزاز القاري: كنتُ أقرأ على سليم بن عيسى، فلما بلغتُ «ويستغفرون للذين آمنوا» بكى!! ثم قال: يا خلف، ما أكرمَ المؤمنَ على الله!! نائمًا على فراشه والملائكةُ يستغفرون له.

وقال ابن القيم: وتأملْ ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة من مدحِهم بالإيمانِ والعملِ الصالحِ والإحسانِ إلى المؤمنين بالاستغفار لهم، وقدَّموا بين يدي استغفارِهم توسلَهم إلى الله تعالى بسعة علِمه وسعةِ رحمتِه.

فسعةُ علمِـه تتضمنُ علمَه بذنوبِهم وأسبابِها وضعفِهم عن العصمة، واستيلاءِ عدوهـم وأنفسِـهم وهواهم وطباعِهـم وما زُين لهم مـن الدنيا وزينتهـا، وعلمَه بهم إذ أنشـأهم مـن الأرض، وإذ هم أجنةٌ في بطـون أمهاتِهم، وعلمَه السـابقَ بأنهم لا بد أن يعصـوه، وأنـه يحب العفـو والمغفرة، وغيرَ ذلك من سـعة علمِـه الذي لا يحيط به أحد سواه.

وسعةُ رحمته تتضمن أنه لا يهلك عليه أحدٌ من المؤمنين به أهلِ توحيدِه ومحبتِه، فإنه واسـعُ الرحمة لا يخرج عن دائرة رحمتِه إلا الأشـقياء، ولا أشقى ممن لم تسعْهُ رحمتُه التي وسعت كل شيء.

وقال أبوالسعود:

والتصريـحُ بإيمـانِ الملائكة مع الغِنى عن ذِكرِه رأسـا؛ لإظهـارِ فضيلةِ الإيمان، وإبرازِ شـرفِ أهلِه، والإشـعارِ بعلةِ دعائهم للمؤمنين حسـبما ينطقُ بـه قولُه تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾ فإنَّ المشـاركةَ في الإيمانِ أقوى المناسباتِ وأتمُّها، وأدعى الدواعي إلى النصحِ والشفقةِ.

وفي نَظْـمِ استغفارِهم لهم في سِـلكِ وظائفهـم المفروضةِ عليهم مِن تسـبيحِهم وتحميدِهم وإيمانِهم إيذانٌ بكمالِ اعتنائهم به -أي: بالاستغفار للمؤمنين-، وإشعارٌ بوقوعِه عندَ اللهِ تعالى في موقع القبول.

وقال عبدالله التويجري:

مـا أجـلَّ مكانتـك أيها العبـد المؤمـن! وهنيئا لك فضـلُ الله عليـك؛ فالملائكة يستغفرون اللهَ لك.

وأولُ الرسـلِ نوحٌ عليه السلام يدعو لـك بالمغفرة: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ﴾ [نوح: ٢٨].

وأبـو الأنبياء إبراهيم يدعو لك بالمغفرة: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

ومحمـدٌ نبيُّنـا ﷺ مأمـورٌ بـأنْ يسـتغفر لـك: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩].

قـال الشـعبي فيمـا رواه عنـه ابن أبـي حاتم: مـا يسـرني بنصيبي من دعـوة نوحٍ وإبراهيمَ عليهما السلام للمؤمنين والمؤمنات حمرُ النَّعم!

اللهم آمنا بك وبملائكتك وكتبك ورسلك وباليوم الآخر وبقدرك وقضائك.

اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات.اللهم رحمتك ومغفرتك ورضاك.

۞ ۞ ۞

٧١٢. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ [غافر: ١٣].

قال القرطبي:

جمـع بيـن إظهار الآيـات وإنزال الـرزق؛ لأن بالآيات قـوام الأديـان، وبالرزق قوام الأبدان.

۞ ۞ ۞

٧١٣. قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

قال الرازي:

والحاصـلُ أنَّ الأفعـالَ قسـمان: أفعالُ الجـوارح، وأفعـالُ القلوب؛ أمـا أفعالُ الجـوارح، فأخفاهـا خائنةُ الأعيـن، واللهُ أعلمُ بها، فكيف الحالُ في سـائر الأعمال؟ وأمـا أفعـالُ القلوب، فهي معلومـةٌ لله تعالى؛ لقولـه: ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ فدلَّ هذا على كونه تعالى عالما بجميع أفعالهم.

قال ابن القيم: جمعَ سبحانه بين اللحظات والخطرات.

وقال البقاعي: ولمَّا ذَكَر تعالى أخفى أفعالِ الظاهر ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ أتبعه أخفى ما في الباطن، فقال: ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾.

✿ ✿ ✿

٧١٤. قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ [غافر: ١٩].

قال القرطبي:

وقال ابن عباس: هو الرجل يكون جالسا مع القوم، فتمرُّ المرأة فيسارقهم النظرَ إليها. وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصره، فإذا رأى منهم غفلةً تدسَّس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابُه غضَّ بصره. وقد علم اللهُ ﷻ منه أنه يودُّ لو نظر إلى عورتها.

اللهم استعملنا في طاعتك.

✿ ✿ ✿

٧١٥. قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

قال الرازي:

وقال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهبًا فانيًا، والآخرةُ خزفًا باقيًا، لكانت الآخرةُ خيرًا مِن الدنيا! فكيف والدنيا خزفٌ فانٍ، والآخرةُ ذهبٌ باقٍ؟

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

✿ ✿ ✿

٧١٦. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ [غافر: ٣٩].

قال الشاعر:

تطلبُ الراحةَ في دار العنا ... خاب مَن يطلبُ شيئًا لا يكون

فاتـركِ الأحـزانَ واتْبَـعْ منهَجًا في كتـاب الله يكفيـكَ الظنـون

۞۞۞

٧١٧. قـال تعالـى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٤-٤٥].

قال الشنقيطي:

التوكلُّ الصادقُ على الله وتفويضُ الأمورِ إليه سببٌ للحفظِ والوقايةِ مِن كلِّ سوء.

آمنا بالله وتوكلنا عليه.

۞۞۞

٧١٨. قـال تعالـى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

قال القرطبي:

قـال ميمـون بن مهـران: كان أبو هريـرة إذا أصبح ينـادي: أصبحنـا والحمد لله، وعُرِض آلُ فرعون على النار!!

فإذا أمسى نادى: أمسينا والحمد لله، وعُرِض آلُ فرعون على النار!!

فلا يسمع أبا هريرة أحدٌ إلا تعوذ بالله من النار.

نعوذ بالله من النار.

۞۞۞

٧١٩. قـال تعالـى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

قال القرطبي:

قـال السـدي: ما قَتل قـومٌ قطُّ نبيا أو قومًـا مِن دعاة الحق مِـن المؤمنين إلا بعثَ اللهُ ﷻ مَن ينتقم لهم، فصاروا منصورين فيها وإن قُتلوا.

وقال أبو السعود:

ينصرهم في الحياة الدنيا بالحجةِ والظفرِ والانتقامِ لهم من الكفرة بالاستئصال والقتلِ والسبي وغير ذلك من العقوبات، ولا يقدح في ذلك ما قد يتَّفقُ لهم من صورة الغلبة امتحانا؛ إذ العبرة إنما هي بالعواقب وغالبِ الأمر.

۞ ۞ ۞

٧٢٠. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

قال ابن القيم:

وليس شيءٌ مِن الأسباب أنفعَ من الدعاء ولا أبلغَ في حصول المطلوب!

ولما كان الصحابةُ ﵃ أعلمَ الأمة بالله ورسوله وأفقهَهم في دينه، كانوا أقومَ بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم، وكان عمر ﵁ يستنصر به على عدوه، وكان أعظمَ جنده، وكان يقول للصحابة: لستم تنصرون بكثرة، وإنما تُنصرون من السماء!!

وكان يقول: إني لا أحملُ هَمَّ الإجابة، ولكن هَمَّ الدعاء، فإذا أُلهمتَ الدعاء فإنَّ الإجابةَ معه، فمن أُلهم الدعاء فقد أُريد به الإجابة.

قال مورق العجلي:

ما وجدتُ للمؤمن مثلًا إلا رجلًا في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب!! لعل اللهَ ﷻ أن ينجيه!!

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وقال أحمد عبدالمنعم:

اِشْكِ نفسَك لربك، وقل له: أنا ضعيف! أنا لستُ قادرًا!! أشكو إليك: ضعفَ قوتي، وقلَّةَ حيلتي، وهواني على الناس.

۞ ۞ ۞

٧٢١. قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

قال عبدالله التويجري:

حيث كان الفرجُ يأتي من العُلُو؛ فلا تُعوِّل بقلبك على أحدٍ سوى اللطيف الخبير، ولا تَسْعَ بقدميك خلْفَ بَشَرٍ عاجزٍ، لا يملكُ لك ولا لنفسه جلبَ نفعٍ ولا دفعَ ضُر، ولا تقفْ بقدميك على عتبة أحد، وربُّك ينزلُ كلَّ ليلة، فولِّ قلبَك ووجهَك ويديك شطرَ السماء، وأنخْ ركابَ حاجتِك، واجمعْ شتاتَ أمرِك، وسَلِ اللهَ كلَّ حوائجك؛ فخزائنُه ملأى، ويمينُه سَحَّاءُ الليلِ والنهار.

فعُدْ وارغبْ وتُبْ، وأقبلْ عليه إقبالَ الوجِل المذنب، محسنَ الظنِّ خائفَ القلب، مرتعدَ الفرائص، دامعَ العينين، فاللهُ -وحسبْ- القادرُ على أن يُغيثك من لدنه صيِّبًا نافعًا مباركًا فيه.

قال عيسى جرابا:

خَزَائِنُهُ مَلْأَى وكَمْ فِي الوجُودِ مِنْ ... خَلَائِقَ كَمْ تَدْعُوهُ تَرْجُوهُ رَحْمَتَهْ

هُو الآمِرُ «ادْعُونِيْ» ومَا خَابَ مَنْ دَعَا ... وأَجْرَى عَلَى خَدِّ التَّسَابِيْحِ دَمْعَتَهْ

اللهم رحمتك وعفوك ولطفك.

✿ ✿ ✿

٧٢٢. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [غافر: ٦١].

قال القرطبي:

﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى خلق، والعربُ تفرِّقُ بين جعل إذا كانت بمعنى خلق، وبين جعل إذ لم تكن بمعنى خلق؛ فإذا كانت بمعنى خلق فلا تعديها إلا إلى مفعول واحد.

وإذا لم تكن بمعنى خلق عدَّتها إلى مفعولين، نحو قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣].

✿ ✿ ✿

سُورَةُ فُصِّلَتْ

٧٢٣. قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ٢].

قال أبو السعود:

ونسبةُ التنزيلِ إلى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدارٌ للمصالح الدينية والدنيوية، واقعٌ بمقتضى الرحمة الربانية، حسبما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

❂ ❂ ❂

٧٢٤. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٢].

قال عبدالله التويجري:

حينما يخلو المرء بنفسه؛ فلا رقيبَ ولا حسيبَ مِن البشر، ثم تدعوه نفسُه لما حرَّم الله، فليحاول أنْ يخلو عن نفسِه أيضًا - إن استطاع - قبل مقارفة الذنب!! فغدًا -ويا قُرْبَ غدٍ- تغدو تلك النفسُ وأعضاؤها أولُ الشاهدين عليه، المشيرين بالخزي إليه!!

اللهم عفوك وسترك ربنا.

❂ ❂ ❂

٧٢٥. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢].

قال البيضاوي:

أي: كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافةَ الفضاحة، وما ظننتم أنَّ أعضاءَكم تشهدُ عليكم بها، فما استترتم عنها.

وفيه تنبيهٌ على أنَّ المؤمنَ ينبغي أنْ يتحقَّقَ أنه لا يمرُّ عليه حالٌ إلا وهو عليه رقيب.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

٧٢٦. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

قال الطاهر ابن عاشور:

فالذين كفروا هنا هم أئمة الكفر، يقولون لعامتهم: لا تسمعوا لهذا القرآن؛ فإنهم علموا أنَّ القرآن كلامٌ هو أكملُ الكلام: شريفَ معانٍ وبلاغةَ تراكيبَ وفصاحةَ أَلفاظٍ.

وأيقنوا أنَّ كلَّ مَن يسمعه وتُداخل نفسَه جزالةُ ألفاظِه وسُمُو أغراضِه قضى له فهمُه أنه حقٌّ اتباعُه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم ولكنهم غالبتهم محبةُ الدوام على سيادة قومهم؛ فتمالؤوا ودبَّروا تدبيرًا لمنع الناس من استماعه، وذلك خشيةً من أن تَرِقَّ قلوبُهم عند سماع القرآن؛ فصرفوهم عن سماعه.

وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكُمُّوا أفواه الناطقين بالحق والحجة، بما يستطيعون من تخويفٍ وتسويل، وترهيبٍ وترغيب، ولا يَدعوا الناسَ يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أنَّ حجةَ خصومِهم أنهَض، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها، ولكن بأساليبَ من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحِيَل، ورأوا

بـوارقَ الحقِّ تخفق، وخَشُـوا أن يعُـمَّ نورُها الناسَ الذين فيهم بقية من خير ورشـد، عدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللغو والجعجعة؛ لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون الكلام والقول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا.

۞ ۞ ۞

٧٢٧. قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١].

قال ابن كثير:

أي: تقـول الملائكـة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنـا أولياءَكم، أي: قرناءكم في الحيـاة الدنيا، نسـددُكم ونوفقُكـم، ونحفظُكم بأمر الله، وكذلـك نكونُ معكم في الآخرة؛ نؤنسُ منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم.

وقال ابن القيم:

فيقول الملك عند الموت: لا تخف ولا تحزن! وأبشر بالذي يسرك!

ويثبته بالقول الثابت أحوجَ ما يكون إليه في الحياة الدنيا، وعند الموت، وفي القبر عند المسـألة، فليس أحدٌ أنفعَ للعبد من صحبة الملَك له، وهو وليُّه في يقظته ومنامِه وحياتِـه وعنـد موتِه وفي قبره، ومؤنسُـه في وحشـتِه، وصاحبُه في خلوتِـه، ومحدِّثُه في سـرِّه، ويحاربُ عنه عدوه، ويدافعُ عنه ويعينه عليه، ويَعِدُه بالخير ويبشِّـره به، ويحثُّه على التصديق بالحق.

وإذا اشـتد قُـربُ الملك مـن العبد تكلَّـم على لسـانه، وألقى على لسـانه القولَ السديد، وإذا بعُد الملكُ من العبد وقرُب الشيطانُ، تكلَّم الشيطانُ على لسانه، وألقى عليه قولَ الزور والفحش، حتى يُرى الرجلُ يتكلم على لسانه الملك، والرجلُ يتكلم على لسانه الشيطان.

وفي الحديث: «إن السكينة تنطق على لسان عمر» ﷺ وكان أحدُهم يسمع الكلمةَ الصالحة من الرجل الصالح، فيقول: ما ألقاه على لسانك إلا الملك!

ويسمع ضدها فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الشيطان!

فالملكُ يُلقي بالقلب الحقَّ ويلقيه على اللسان، والشيطان يُلقي الباطلَ في القلبِ ويجريه على اللسان.

فمن عقوبة المعاصي أنها تبعد مِن العبد وليَّه الذي سعادتُه في قربه ومجاورتِه وموالاتِه، وتدني منه عدوَّه الذي شقاؤه وهلاكُه وفسادُه في قربه وموالاتِه.

حتى إن الملَكَ لينافح عن العبد، ويردُّ عنه إذا سفه عليه السفيهُ وسبَّه، كما اختصم بين يدي النبي ﷺ رجلان، فجعل أحدهما يسبُّ الآخر، وهو ساكت، فتكلم بكلمةٍ يردُّ بها على صاحبه، فقام النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لمَّا رددتُ عليه بعضَ قوله قمتَ؟

فقال: «كان الملكُ ينافح عنك، فلما رددتَ عليه جاء الشيطان فلم أكن لأجلس».

وإذا دعا العبدُ المسلم لأخيه بظهر الغيب أمَّن الملكُ على دعائه، وقال: «ولك بمثل».

وإذا فرغ من قراءة الفاتحة أمَّنت الملائكة على دعائه.

وإذا أذنب العبد الموحِّدُ المتبعُ لسبيله وسنة رسوله ﷺ استغفر له حملةُ العرش ومَن حوله.

وإذا نام العبدُ على وضوء بات في شعار مَلك.

فمَلكُ المؤمنِ يردُّ عنه ويحارب ويدافع عنه، ويعلِّمه ويثبتُه ويشجعُه، فلا يليق بالمؤمن أن يسيء جوارَه ويبالغَ في أذاه وطردِه عنه وإبعادِه، فإنه ضيفُه وجارُه.

وإذا كان إكـرامُ الضيـفِ من الآدميين، والإحسـانُ إلى الجار مِـن لوازم الإيمان وموجباتِه، فما الظنُّ بإكرام أكرمِ الأضياف، وخيرِ الجيران وأبرِّهم؟

وإذا آذى العبدُ الملـكَ بأنواع المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربَّه، وقال: لا جزاك الله خيرا، كما يدعو له إذا أكرمه بالطاعة والإحسان.

قال بعض الصحابة ﵃: إنَّ معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم وأكرموهم.

ولا ألأمَ مِمن لا يستحي من الكريمِ العظيمِ القدر، ولا يجلُّه ولا يوقره.

وقد نبَّه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرموهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم.

والملائكـةُ تتـأذى مما يتـأذى منـه بنـو آدم، وإذا كان ابن آدم يتـأذى ممن يفجر ويعصـي بيـن يديـه، وإن كان يعمـل مثـل عمله، فمـا الظنُّ بـأذى الملائكـة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان.

اللهم أحسن منقلبنا إليك وأوردنا حوض نبيك محمد ﷺ.

۞ ۞ ۞

٧٢٨. قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال ابن حجر:

والدعاءُ إلى اللهِ يقعُ بأمورٍ شتَّى، مِن جْملتها: تعليمُ القرآن، وهو أشرفُ الجميع.

ألا فهنيئـا ثـم هنيئا لكم يا معلمـي القرآن! وهنيئا لمن سَـبَق في تعليم الفاتحة؛ إذ يلقى أجرَها في كل صلاة.

۞ ۞ ۞

٧٢٩. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

قال الطاهر ابن عاشور:

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ هذا ثناءٌ على المسلمين بأنهم افتخروا بالإسلام، واعتزُّوا به بين المشركين، ولم يتستروا بالإسلام.

والاعتزازُ بالدين عملٌ صالح، ولكنه خُصَّ بالذِّكر لأنه أُريد به غيظُ الكافرين.

ومثال هذا ما وقع يومَ أُحد حين صاح أبو سفيان: اعلُ هبل!

فقال النبي ﷺ قولوا: اللهُ أعلى وأجل!!

فقال أبو سفيان: لنا العزَّى ولا عزى لكم!

فقال النبي ﷺ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم!!

وفي هذه الآيةِ مَنزعٌ عظيمٌ لفضيلةِ علماءِ الدِّين الذين بيَّنوا السننَ ووضَّحوا أحكامَ الشريعة واجتهدوا في التوصُّلِ إلى مراد الله تعالى من دينه ومِن خلقه.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞۞۞

٧٣٠. قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

قال القرطبي: نَفَى الظلمَ عن نفسِهِ جلَّ وعز، قليلَهُ وكثيرَهُ، وإذا انتفتْ المبالغةُ انتفى غيرُها، دليلُه قولُهُ الحقُّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤].

وروى العدولُ الثقات، والأئمةُ الأثبات، عنِ الزاهدِ العدْل، عنْ أمينِ الأرض، عنْ أمينِ السماء، عن الربِّ جلَّ جلاله، قال:

«يا عبادي: إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا؛ فلا تظالموا» الحديث.

رحمك الله أيها القرطبي رحمة العلماء الأبرار.

۞ ۞ ۞

٧٣١. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

قال البيضاوي:

عريـض أي: كثير، وهو أبلغ مـن الطويل؛ إذِ الطولُ أطـولُ الامتدادين، فإذا كان عرضُه كذلك فما ظنُّك بطوله؟

رحم الله أهل العلم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الشُّورَىٰ

٧٣٢. قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

قال فيصل بن تركي:

كلُّ فشلٍ يمكن تعويضُه إلا فشلك في تحديد مصيرك الأبدي.

ولو أحاط بك الفشلُ من كل جانب، وفشلتَ في كلِّ شيء؛ فإياك أن تفشل في علاقتك بربك، وتحقيقِ غاية وجودك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

❁ ❁ ❁

٧٣٣. قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

استدل السعدي بها على أنَّ اتفاقَ الأمة حجةٌ قاطعة؛ لأن الله لم يأمرنا أنْ نرُدَّ إليه إلا ما اختلفنا فيه.

❁ ❁ ❁

٧٣٤. قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

نقل الأستاذ: عبدالكريم السيف في كتابه: فرائد الجمان فيما ينبغي معرفته عن القرآن، أنَّ النبيَّ ﷺ قد ذُكر في القرآن وتُحُدِّث عنه وأُشير إليه في ٢٦٧٢ موضعًا، مبثوثًا في ١٢٠٣ آية.

وأورد هـذه الآيـة مـن سـورة الشـورى ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ الآيـة. مثـالًا لأكثرَ آيةٍ جـاء فيها الإشـارة إلى النبـي ﷺ، فقد ورد فيهـا ١٣ موضعا عن الرسول ﷺ.

وأشـار السـيف إلـى مصـدر المعلومـة كتـاب: معجـم ذكـر الرسـول ﷺ في القرآن الكريم.

۞ ۞ ۞

٧٣٥. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩].

قال القرطبي:

قال ابن عباس: حفيٌّ بهم. وقال عكرمة: بارٌّ بهم. وقال السدي: رفيقٌ بهم.

وقال مقاتل: لطيفٌ بالبر والفاجر؛ حيث لم يقتلهم جوعًا بمعاصيهم.

وقال القرظي: لطيفٌ بهم في العرض والمحاسبة.

غدًا عند مولى الخلقِ للخلقِ موقفٌ يُسائلهم فيه الجليلُ ويلطفُ

وقـال الكتـاني: اللطيف بمن لجـأ إليه من عبـاده إذا يئس من الخلـق توكل عليه ورجع إليه، فحينئذ يقبَله ويُقبِلُ عليه.

وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب، ويستر عليهم المثالب.

وقيل: هو الذي يقبل القليل، ويبذل الجزيل.

وقيل: هو الذي يجبر الكسير، وييسر العسير.

وقيل: هو الذي يعين على الخدمة، ويكثر المدحة.

وقيل: هو الذي لا يعاجل مَن عصاه، ولا يخيب من رجاه.

وقيل: هو الذي لا يرد سائلَه، ولا يُيْئِسُ آملَه.

وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو. وقيل: هو الذي يرحمُ من لا يرحمُ نفسَه.

۞ ۞ ۞

٧٣٦. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

قال القرطبي:

﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ ويحرم من يشاء. وفي تفضيل قوم بالمال حكمة؛ ليحتاج البعضُ إلى البعض، كما قال: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الزخرف: ٣٢]. فكان هذا لطفًا بالعباد.

وأيضا ليمتحن الغنيَ بالفقير والفقيرَ بالغني، كما قال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

۞ ۞ ۞

٧٣٧. قال تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

قال السعدي:

وفي ذلك اليوم ترى الظالمين أنفسَهم بالكفر والمعاصي مشفقين خائفين وجلين مما كسبوا أن يعاقَبوا عليه.

ولما كان الخائف قد يقع به ما أشفق منه وخافه، وقد لا يقع، أخبر الله أنه واقعٌ بهم ذلك العقابَ الذي خافوه؛ لأنهم أتوا بالسبب التام الموجِب للعقاب، من غير مُعارِضٍ من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعًا فات فيه الإنظار والإمهال.

والذين آمنوا بقلوبهم بالله وبكتبه ورسله وما جاءوا به، وعملوا الصالحات من كل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فهؤلاء

في روضـات الجنـات، الروضـات المضافـة إلى الجنـات، والمضاف يكون بحسـب المضاف إليه، فلا تسـأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفيـاضِ المعشـبة، والمناظـرِ الحسـنة، والأشـجارِ المثمـرة، والطيـورِ المغـرِّدة، والأصواتِ الشجية المطربة، والاجتماعِ بكل حبيب، والأخذِ من المعاشرة والمنادمة بأكمـل نصيـب، رياضٍ لا تزداد على طول المدى إلا حسـنًا وبهاءً، ولا يزداد أهلها إلا اشـتياقًا إلى لذاتها ووِدادًا، لهم ما يشـاءون فيها في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ وهل فوزٌ أكبرُ من الفوز برضا الله تعالى، والتنعمِ بقربه في دار كرامته؟

اللهـم أدخلنـا جنتـك ووالدينا وأهلنـا وأزواجنـا وذرياتنـا ومشـايخنا وطلابنا وأصحابنا وابن سعدي. يا أكرم الأكرمين.

۞ ۞ ۞

٧٣٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

قال ابن سعدي:

يغفـرُ الذنوبَ العظيمـةَ ولو بلغتْ ما بلغتْ عند التوبةِ منها، ويشـكرُ على العملِ القليـلِ بالأجـرِ الكثيـر، فبمغفرتِـه يغفـرُ الذنوبَ ويسـترُ العيـوب، وبشـكرِه يتقبَّلُ الحسناتِ ويضاعفُها أضعافا كثيرة.

۞ ۞ ۞

٧٣٩. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

قال الزمخشري:

الغنى مبطرةٌ مأشَرَة، وكفى بحال قارون عبرة.

۞ ۞ ۞

٧٤٠. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

قيل: هذه أرجى آيةٍ للمؤمنين في القرآن؛ لأنَّ الكريمَ إذا عاقبَ مرَّةً، لا يُعاقب ثانيا، وإذا عفا، لا يعود.

وقال ثابت البناني: إنه كان يقال: ساعاتُ الأذى يُذْهِبْنَ ساعاتِ الخطايا.

اللهم عفوك وغفرانك، وسترك ورضوانك.

۞ ۞ ۞

٧٤١. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال القرطبي:

قال علي رضي الله عنه: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان الله يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير، فما الذي يبقى بعد كفارته وعفوه!

اللهم عفوك ومغفرتك يالطيف.

۞ ۞ ۞

٧٤٢. قال تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨].

قال ابن العربي:

الشورى أُلفةٌ للجماعة، ومِسبارٌ للعقول، وسببٌ إلى الصواب، وما تشاور قومٌ إلا هُدُوا. وقد مدح اللهُ المشاورَ في الأمور، ومدحَ القومَ الذين يمتثلون ذلك.

وقال بعضُ العقلاء:

ما أخطأتُ قطُّ؛ إذا حزبني أمرٌ شاورتُ قومي، ففعلتُ الذي يرون، فإنْ أصبتُ فهم المصيبون، وإنْ أخطأتُ فهم المخطِئون، وهذا أبينُ من إطنابٍ فيه.

۞ ۞ ۞

٧٤٣. قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

يُحكى أنَّ رجلًا سَبَّ رجلًا في مجلس الحسنِ رحمه الله، فكان المسبوبُ يكظِمُ ويَعرَقُ فيمسحُ العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن:

عَقَلها واللهِ، وفهمها إذ ضيَّعها الجاهلون!

❁ ❁ ❁

٧٤٤. قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

في هذه الآية بيانٌ لثلاث مقامات:

المقام الأول: العدل بالقصاص ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ وهو مباح.

المقام الثاني: الفضل بالعفو ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وهو مندوب إليه.

المقام الثالث: الظلم بالتعدي ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾وهو محرم.

❁ ❁ ❁

٧٤٥. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال القرطبي:

وكان مالك بن دينار يقول: يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإنَّ القرآنَ ربيعُ القلوبِ، كما أنَّ الغيثَ ربيعُ الأرض.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

٧٤٦. **قـال تعالـى**: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].

قال الآلوسي:

لمنقلبـون أي: راجعـون، وفيه إيذانٌ بأنَّ حـقَّ الراكبِ أنْ يتأملَ فيما يلابسُـه مِن السَّير، ويتذكَّر منه المسافَرةَ العظمى، التي هي الانقلاب إلى الله تعالى!!

فيبني أمورَه في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يأتي بما ينافيها.

ومِـن ضرورة ذلك: أن يكون ركوبُه لأمرٍ مشـروع، وفيه إشـارةٌ إلـى أنَّ الركوبَ مَخْطَرَةٌ؛ فلا ينبغي أن يغفل فيه عن تذكر الآخرة.

۞ ۞ ۞

٧٤٧. قـال تعالى عـن كفار مكـة أنهـم قالـوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

قال ابن سعدي:

لو عرفوا حقائقَ الرجال، والصفاتِ التي بها يُعرَف علوُّ قدرِ الرَّجل، وعِظَمُ منزلته عنـد الله وعنـد خلقه، لعلمـوا أنَّ محمدَ بنَ عبـدِالله بنِ عبد المطلـب ﷺ، هو أعظمُ الرجـال قدرًا، وأعلاهم فخرًا، وأكملُهم عقـلًا، وأغزرُهم علمًا، وأجلُّهم رأيًا وعزمًا وحزمًا، وأكملُهم خُلقًا، وأوسعُهم رحمة، وأشدُّهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم.

وهو قطْبُ دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال!!

ألا وهو رجلُ العالَم على الإطلاق!! يَعرفُ ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يُفضِّلُ عليه المشركون مَن لم يَشَم مثقال ذرة مِن كماله؟! ومَن حزمُهُ ومنتهى حمقه أنْ جعل إلهَه الذي يعبده ويدعوه ويتقرب إليه صنمًا، أو شجرًا، أو حجرًا، لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كلٌّ على مولاه، يحتاج لمن يقوم بمصالحه!!

فهل هذا إلا من فعل السفهاء والمجانين؟ فكيف يُجعل مثلُ هذا عظيمًا؟ أم كيف يُفضَّلُ على خاتم الرسل وسيد ولد آدم ﷺ؟ ولكن الذين كفروا لا يعقلون.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، اللهم وارفع مقام ابن سعدي في عليين.

۞ ۞ ۞

٧٤٨. قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال ابن جزي:

أي: وإذا كنا لم نهمل الحظوظَ الفانيةَ الحقيرة، فأولى وأحرى أن لا نهملَ الحظوظَ الشريفة الباقية.

۞ ۞ ۞

٧٤٩. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

قال القرطبي:

وقال كعب: إني لأجِدُ في بعضِ كتبِ الله المنزلة: لولا أن يحزنَ عبدي المؤمن لكلَّلْتُ رأسَ عبدي الكافر بالإكليل، ولا يتصدعُ ولا ينبضُ منه عِرقٌ بوجع.

وأنشدوا:

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسنٍ إذًا لم يكنْ فيها معاشٌ لظالمِ
لقدْ جاع فيها الأنبياءُ كرامةً وقد شبعتْ فيها بطونُ البهائمِ

وقال آخر:

تمتعْ من الأيامِ إنْ كنتَ حازما فإنك فيها بين ناهٍ وآمِرِ
إذا أبقتِ الدنيا على المرءِ دينَه فما فاتَهُ منها فليس بضائرِ
فلا تزنُ الدنيا جناحَ بعوضةٍ ولا وزْنَ رَقٍّ مِن جناحٍ لطائرِ
فلم يرضَ بالدنيا ثوابًا لمحسنٍ ولا رضي الدنيا عقابًا لكافرِ

❁ ❁ ❁

٧٥٠. قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزخرف: ٤٣].

قال الطاهر ابن عاشور:

أمر اللهُ نبيه ﷺ بالثبات على دينه وكتابه، وأن لا يخورَ عزمُه في الدعوة ضجرا مِن تصلبهم في كفرهم ونفورِهم من الحق.

والاستمساك: شدَّةُ المَسك، فالسين والتاء فيه للتأكيد.

والأمرُ به مستعملٌ في طلب الدوام؛ لأنَّ الأمر بفعلٍ لمن هو متلبِّسٌ به لا يكونُ لطلبِ الفعل، بل لمعنى آخر، وهو هنا: طلبُ الثبات علىٰ التمسُّكِ بما أُوحي إليه، كما دلَّ عليه قولُه: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ وهذا كما يُدعى للعزيز المكرَّم، فيقال: أعزَّك اللهُ وأكرمك، أي: أدام ذلك.

وقوله: أحياك الله، أي: أطال حياتك.

ومنه قوله تعالى في تعليم الدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٥١. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥].

قال القرطبي:

قال عمر بن ذر: يا أهل معاصي الله، لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه؛ فإنه قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾.

۞ ۞ ۞

٧٥٢. قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

قال أبو جواد الجعيثن:

نِعم الصديقُ مَن إذا صحبتَه كسبتَ منه أجرًا، وإلا لم تحملْ معه وزرًا.

۞ ۞ ۞

٧٥٣. قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾ [الزخرف: ٧١].

قال القاسمي:

ومن اللطائف هنا ما قيل: إنه لما كانت أواني المأكولات أكثرَ بالنسبة لأواني المشروب عادة، جَمَع الأولَ جمْعَ كثرة (صحاف)، والثاني جمْعَ قِلة (أكواب).

اللهم رضاك والجنة.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الدُّخَانِ

٧٥٤. قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧].

قال ابن عطية:

و«النَّعمة» -بفتح النون-: غَضارةُ العيشِ ولَذاذةُ الحياة. و«النِّعمة» -بكسر النون-: أعمُّ مِن هذا، لأنَّ النَّعمة بالفتح هي من جملة النِّعم بالكسر؛ وقد تكونُ الأمراضُ والآلامُ والمصائبُ نِعَما، ولا يقال فيها نَعمة بالفتح.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

٧٥٥. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

قال ابن عطية:

وهذه الآيةُ متناولةٌ بلفظها حالَ العصاةِ مِن حالِ أهل التقوى، وهي موقفٌ للعارفين؛ يبكون عنده.

وروي عن الربيع بن خثيم أنه كان يرددها ليلة جمعاء، وكذلك عن الفضيل ابن عياض، وكان يقول لنفسه: ليت شعري! مِن أي الفريقين أنت يا فضيل؟

وقال الثعلبي: كانت هذه الآية تسمى: مبكاة العابدين.

اللهم رحمتك وسترك.

۞ ۞ ۞

٧٥٦. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

جاء في تفسير الثعلبي:

قال ابن عباس: ما ذكرَ اللهُ ﷻ هوىً في القرآن إلَّا ذمَّه.

وقال الشعبي:

إنَّما سُمي الهوى لأنَّه يهوي بصاحبه في النَّار.

وقال مُضر القاضي:

لنحتُ الجبال بالأظافير حتى تتقطع الأوصال، أهونُ من مخالفة الهوى إذا تمكن في النفوس.

وسُئل ابن المقفع عن الهوى، فقال:

هوانٌ سُرقت نونه. فنظمه الشاعر:

نونُ الهوان مِن الهوى مسروقةٌ ... فـإذا هويـتَ فقـد لقيـتَ هوانا

وقال آخر:

إنَّ الهوى لهُو الـهـوانُ بعينه ... فـإذا هويتَ فقـد كسـبتَ هوانا
وإذا هويتَ فقد تعبَّدك الهوى ... فاخضـع لحبِّـك كائنا مـن كانا

وقال آخر:

ومِـن الـبـلاءِ ولـلـبـلاءِ علامةٌ ... أن لا يُـرى لكَ عن هـواكَ نُزوعُ
العبدُ عبدُ النفس في شهواتها ... والحـرُّ يشـبع تـارةً ويجـوعُ

وقال آخر:

فاعصِ هوى النفس ولا ترضها ... إنـك إنْ أسـخطتَها زانـكا
حتـى متـى تطلـبُ مرضاتهـا ... وإنــهـا تـطـلـبُ عـدوانـكـا

وقال آخر:

والنفـسُ إنْ أعطيتَهـا مناهـا ... فــاغــرة نـحـو هــواهــا فـاهـا

وقال أبو بكر الزيدي:

إذا طالبَتك النفسُ يوما بشهوةٍ ... وكان إليهـا للخـلاف طريـقُ
فدَعْها وخالفْ ما هويتَ فإنما ... هــواكَ عــدو والخـلافُ صديقُ

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٥٧. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٢٧﴾ [الجاثية: ٢٧].

قال الآلوسي:

وتقديـمُ الظـرفِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ على الفعـل ﴿يَخْسَرُ﴾ للحصر؛ لأنَّ كُلَّ خُسـرانٍ عندَ الخُسرانِ في ذلك اليومِ كَلَا خُسران.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَحْقَافِ

٧٥٨. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

قال الطاهر ابن عاشور:

وفي هـذا إيماءٌ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ مَرْجُو الإجابَةِ؛ لِأنَّ اللهَ تَولَّى تَلْقِينَهُ، مِثْلُ الدُّعاءِ الذي في سورةِ الفاتحةِ ودعاءِ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٧٥٩. قال تعالى: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هجرية:

وما في الرجاء لرحمة الله شيءٌ أقوى من هذه الآية.

قلت:

مَن سلَّمه اللهُ من الشرك والفسق فليبشر بالخير في الدنيا والآخرة.

۞ ۞ ۞

٧٦٠. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال مصطفى محمود:

إذا كان كلُّ عُمُرِ البشرية بالتقدير الإلهي ساعة؛ فلماذا نختلف؟

لِمَ لا نستحمِل هذه الساعةَ بالحلوِ والمُرِّ الذي فيها؟

لِيستعِن المبتلَى فيها بالصبر، ولْيستعِن المنعَّم فيها بالشكر.

الحكاية كلُّها: ساعة.

رحمك الله يا مصطفى.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٧٦١. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [محمد: ٨-٩].

قال المفسرون في معنى ﴿فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾:

بُعدًا وحزنًا وشقاءً وشتمًا وهلاكًا وخيبةً وقبحًا ورغمًا وعثارًا وسقوطًا وانحطاطًا وشرًا وشقوةً لهم.

قال ابن عاشور:

ومن بدائع القرآن: وقوعُ ﴿فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ في جانب الكفار، في مقابلة قوله للمؤمنين: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

قال عبدالله التويجري:

بشِّروا الكارهين للقرآن بالتعس والضلال وحبوط العمل.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

۞ ۞ ۞

٧٦٢. قال تعالى عن الأمم السابقة: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠].

قال الآلوسي:

وجاءت المبالغةُ مِن حذفِ المفعولِ به وجعلِه نسيًا منسيًا!!

وابنُ جني كان يقول: شجاعةُ العربيةِ في الحذف.

اللهم دمِّر الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ولا يؤمنون بلقائك.

۞ ۞ ۞

٧٦٣. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧].

قال ابن تيمية:

اعتقادُ الحقِّ الثابت يقوِّي الإدراكَ ويصحِّحُه.

اللهم اهدنا ويسِّر الهدى لنا.

۞ ۞ ۞

٧٦٤. قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩].

قال عبدالله التويجري:

من فضائل التوحيدِ والإيمان:

أنَّ اللهَ أمرَ نبيَّه ﷺ أنْ يستغفرَ لأهل الإيمانِ رجالًا ونساء.

والظنُّ بنبينا ﷺ أنه استجاب فاستغفر.

والظنُّ بربنا أنه استجاب فغفر.

فيا كلَّ مؤمنٍ ويا كلَّ مؤمنةٍ: الإيمانَ الإيمانَ، فاثبتوا على إيمانكم.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٦٥. قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

قال ابن القيم:

نقولُ قولا كليًا: إنَّ كلَّ آيةٍ في القرآن فهي متضمنةٌ للتوحيد، شاهدةٌ به، داعيةٌ إليه... فالقرآنُ كلُّه في التوحيد وحقوقِه وجزائه، وفي شأن الشركِ وأهلِهِ وجزائهم.

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك.

۞ ۞ ۞

٧٦٦. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

قال البغوي:

هذا إكرامٌ مِن الله تعالى لهذه الأمة؛ حيث أمرَ نبيَهم ﷺ أنْ يستغفرَ لذنوبهم، وهو الشفيعُ المُجابُ فيهم.

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك فاغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والبغوي يا رب العالمين.

۞ ۞ ۞

٧٦٧. قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

فالتوحيدُ يُذهبُ أصلَ الشرك، والاستغفارُ يمحو فروعَه، فأبلغُ الثناءِ قولُ: لا إله إلا الله، وأبلغُ الدعاءِ قولُ: أستغفر الله.

اللهم أنزل شآبيب رحمتك علينا وعلى والدينا وابن تيمية وشيوخه وطلابه ومحبيه.

۞ ۞ ۞

٧٦٨. قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

قال ابن القيم:

هذه كلمةُ التوحيد، وهي الكلمةُ التي قامت بها الأرضُ والسماوات، وفَطر اللهُ عليها جميعَ المخلوقات، وعليها أُسست المِلة، ونُصبتْ القبلة، وجُردتْ سيوفُ الجهاد، وهي محضُ حقِّ اللهِ على جميع العباد، وهي الكلمةُ العاصمةُ للدم والمال والذريةِ في هذه الدار، والمنجيةُ من عذابِ القبر وعذابِ النار، وهي المنشورُ الذي

لا تُدخل الجنةُ إلا به، والحبلُ الذي لا يِصلُ إلى الله مَن لم يتعلق بسببه، وهي كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دار السلام، وبها انقسم الناسُ إلى شقي وسعيد، ومقبولٍ وطريد، وبها انفصلتْ دارُ الكفر من دار الإيمان، وتميزتْ دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمودُ الحاملُ للفرض والسنة، ومَن كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

وروحُ هذه الكلمة وسرُّها: إفرادُ الربِّ - جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، وتبارك اسمُه، وتعالى جدُّه، ولا إله غيرُه - بالمحبة والإجلالِ والتعظيمِ والخوفِ والرجاءِ وتوابعِ ذلك، من:

التوكلِ والإنابةِ والرغبةِ والرهبةِ، فلا يُحبُّ سواه، وكلُّ ما كان يُحب غيرُه فإنما يُحبُّ تبعًا لمحبته، وكونِه وسيلةً إلى زيادة محبته، ولا يُخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُرغب إلا إليه، ولا يُرهب إلا منه، ولا يُحلف إلا باسمه، ولا يُنظر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يُطاع إلا أمرُه، ولا يُتحسَّب إلا به، ولا يُستغاث في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يُسجد إلا له، ولا يُذبح إلا له وباسمه، ويَجتمع ذلك في حرف واحد، وهو:

أنْ لا يُعبدَ إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيقُ شهادةِ أنْ لا إله إلا الله، ولهذا حرَّم اللهُ على النار مَن شهد أن لا إله إلا الله حقيقةَ الشهادة.

ومحالٌ أنْ يدخلَ النارَ مَن تحقَّقَ بحقيقةِ هذه الشهادةِ وقام بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]. فيكونُ قائما بشهادته في ظاهره وباطنه، في قلبه وقالبه. ا.هـ

ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا.

❁ ❁ ❁

٧٦٩. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

قال ابن القيم:

وقال بعض العارفين: إنَّ الحديدَ إذا لم يُستعملْ غشِيَهُ الصدأُ حتى يفسدَه، وكذلك القلبُ إذا عُطِّل من حبِّ اللهِ والشوقِ إليه وذكْرِهِ غلبه الجهلُ حتى يميتَه ويهلكَه.

وقال رجل للحسن:

يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي!!

قال: أذِبْه بالذِّكر.

وأبعدُ القلوبِ من الله القلبُ القاسي.

اللهم اجعل قلوبنا لك خاشعة وبذكرك مطمئنة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الفَتْحِ

٧٧٠. قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

قال السعدي:

ذكرَ اللهُ في هذه الآيةِ الحقَّ المشْتركَ بين اللهِ وبين رسولِه، وهو الإيمانُ بهما. والحقَّ المختصَ بالرسول ﷺ وهو التعزير والتوقير. والحقَّ المختصَ بالله، وهو التسبيحُ له والتقديسُ بصلاة أو غيرها.

✿ ✿ ✿

٧٧١. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

قال عبدالله بن بلقاسم:

لا تشغلْك الأماكن!!

فأعظمُ مؤتمرٍ في التاريخ كان تحت شجرة.

✿ ✿ ✿

٧٧٢. قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

قال أبو حيان:

قال أبو عبد الله الرازي: في هذه الآية لطائف معنوية، وهو أنه تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن؛ فبايَن بين الفاعِلَين، إذ فاعلُ جَعل هو: الكفار، وفاعلُ أنزل هو: الله تعالى.

وباين بين المفعولين، إذ تلك حمية، وهذه سكينة.

وباين بين الإضافتين، فأضاف الحميَّة إلى الجاهلية، وأضاف السكينة إلى الله تعالى.

وباين بين الفعلين: جعل وأنزل، فالحميةُ مجعولةٌ في الحال في العرض الذي لا يبقى، والسكينةُ كالمحفوظة في خزانة الرحمة فأنزلها.

والحميةُ قبيحةٌ مذمومةٌ في نفسها وازدادت قبحا بالإضافة إلى الجاهلية، والسكينة حسنةٌ في نفسها وازدادت حسنا بإضافتها إلى الله تعالى.

والعطف في ﴿فَأَنزَلَ﴾ بالفاء لا بالواو يدل على المقابلة، تقول: أكرمني زيد فأكرمته، فدلت على المجازاة للمقابلة، ولذلك: جعل فأنزل.

ولما كان الرسول ﷺ هو الذي أجاب أولا إلى الصلح، وكان المؤمنون عازمين على القتال، وأن لا يرجعوا إلى أهلهم إلا بعد فتح مكة أو النحر في المنحر، وأبوا إلا أن يكتبوا (محمد رسول الله ﷺ وباسم الله)، قال تعالى: ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، ولما سكن هو ﷺ للصلح سكن المؤمنون، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قلت:

هذه المقارنة اللطيفة كتب أصلها الرازي بتفصيل واستطراد، ولخصها أبو حيان ناسبا إياها للرازي، ونقلتها مع شيء يسير من الإضافة. رحم الله الجميع.

۞۞۞

٧٧٣. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال أحمد اللهيب:

صلَّى الإله على النبيِّ محمدٍ ... ما لاح طير في السماء وحلَّقا
من يوم مولده ليوم قيامةٍ ... مازال حبًّا في القلوب معلَّقا
طابت به الدنيا وشعَّ ضياؤها ... من (غاره) غمر الوجودَ وأشرقا
و(بمكة) أرسى شريعة ربِّه ... ومن (المدينة) صار حقا مطلقا
فالكون مبتسمٌ بنور جماله ... وبه الهدى أضحى بيانا مشرقا

۞ ۞ ۞

٧٧٤. قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال عبدالرحمن الناصر السعدي:

لَمَّا استنارتْ بالصلاة بواطنُهم، استنارتْ بالجلال ظواهرُهم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

٧٧٥. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال شهاب الدين الخفاجي:

شَبَّه اللهُ المشارَكةَ في الإيمان بالمشارَكة في أصل التوالد؛ لأنَّ كُلًا منهما أصلٌ للبقاء؛ إذِ التوالدُ مَنْشأُ الحياة، والإيمانُ منشأُ البقاءِ الأبدي في الجنان.

اللهم ثبتنا على الإيمان، وأدخلنا برحمتك الجنان.

۞ ۞ ۞

٧٧٦. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال الزمخشري:

فإنْ قلتَ: فلِمَ خُصَّ الاثنانِ بالذِّكر دون الجمع؟

قلتُ: لأنَّ أقلَّ مَن يقعُ بينهم الشقاقُ اثنان، فإذا لَزِمَتِ المصالحةُ بين الأقلِّ كانت بين الأكثرِ ألزَم؛ لأنَّ الفسادَ في شقاق الجمعِ أكثرُ منه في شقاق الاثنين.

اللهم أصلح بنا وأصلح لنا واهدنا سبل السلام.

۞ ۞ ۞

٧٧٧. قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١].

قال فيصل بن تركي:

إذا استطالَ لسانُك في عِرضِ أحدٍ ما، ورأيتَه يُحجمُ عن مشاتمتِك؛ فلا تظننَّ أنك بشرفِ نفسِك غلبتَه، ولا أنَّك بكمال فطنتِك وحُجتِك قهرتَه؛ وإنما تطاولَ بك عليه: خبرتُك بخبايا المشاتمات، وخفايا البذاءات.

يُروى عن عليٍ ﵁: «إذا تسابَّ اثنانِ غَلب ألأمُهما».

وإنَّ مِن البيانِ العِيَّ عن الفحش.

۞ ۞ ۞

٧٧٨. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

قال ابن القيم:

قَسَّم سبحانه العبادَ إلى تائبٍ وظالم، وما ثَمَّ قِسمٌ ثالثٌ ألبتة.

وأوقع اسمَ الظالمِ على مَنْ لَمْ يتب، ولا أظلم منه؛ لجهله بربِّه وبحقِّه، وبعيبِ نفسِه وآفاتِ أعماله.

۞ ۞ ۞

٧٧٩. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١].

قال القرطبي:

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: إن اللهَ لا ينظر إلى صُورِكم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

ثم قال: وهذا حديثٌ عظيمٌ يترتبُ عليه:

ألَّا يُقطعَ بعيبِ أحدٍ لِما يُرى عليه مِن صورِ أعمالِ الطاعةِ أو المخالفة؛ فلعلَّ مَن يحافظُ على الأعمالِ الظاهرةِ يَعلمُ اللهُ مِن قلبِه وَصْفًا مذمومًا لا تصحُ معه تلك الأعمال.

ولعلَّ مَن رأينا عليه تفريطًا أو معصيةً يعلمُ اللهُ مِن قلبِه وَصْفًا محمودًا يغفرُ له بسببه.

فالأعمال أماراتٌ ظنيةٌ، لا أدلة قطعية. ويترتب عليه:

عـدمُ الغلو في تعظيمِ مَـن رأينا عليه أفعالًا صالحة، وعدمُ الاحتقارِ لمسـلمٍ رأينا عليه أفعالًا سـيئة، بل تُحتقرُ وتُذم تلك الحالةُ السـيئة، لا تلك الذاتُ المسيئة؛ فتدبر هذا، فإنه نظرٌ دقيق، وبالله التوفيق. انتهى كلامه ﵀.

۞ ۞ ۞

٧٨٠. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال يحيى بن معاذ:

لا يوزَنُ غدًا الفقر ولا الغنى!! وإنما يوزَنُ الصبرُ والشكر.

اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين الصابرين المتقين.

۞ ۞ ۞

٧٨١. قـال تعالـى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

قال ابن القيم:

العبد بين مِنَّةٍ مِن الله عليه، وحُجةٍ منه عليه، ولا ينفك عنهما.

ثم قال:

فكلُّ علمٍ صحبه عملٌ يرضي اللهَ سبحانه فهو مِنَّة، وإلا فهو حُجة.

وكلُّ قوةٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ صحبها تنفيذٌ لمرضاته وأوامرِه فهي مِنَّةٌ، وإلا فهي حُجة.

وكلُّ حالٍ صحبه تأثيرٌ في نصرة دينه، والدعوةِ إليه فهو مِنَّةٌ منه، وإلا فهو حُجة.

وكلُّ مالٍ اقترن به إنفاقٌ في سـبيل الله وطاعته، لا لطلب الجزاءِ ولا الشكور، فهو مِنَّةٌ من الله عليه، وإلا فهو حُجة.

وكلُّ فراغٍ اقترن به اشتغالٌ بما يريد الربُّ من عبده فهو مِنَّةٌ عليه، وإلا فهو حُجة.

وكلُّ قبـولٍ في الناس، وتعظيمٍ ومحبةٍ له، اتصل به خضوعٌ للرب، وذلٌ وانكسـارٌ ومعرفةٌ بعيب النفسِ والعمل، وبذلُ النصيحة للخلق فهو مِنَّةٌ، وإلا فهو حُجة.

وكلُّ بصيـرةٍ وموعظـةٍ وتذكيرٍ وتعريفٍ مـن تعريفات الحق سـبحانه إلى العبد، اتصل به عبرةٌ ومزيدٌ في العقل، ومعرفةٌ في الإيمان فهي مِنةٌ، وإلا فهي حُجة.

وكلُّ حـالٍ مع الله تعالى، أو مقامٍ اتصل به السـيرُ إلـى الله، وإيثارُ مرادِه على مرادِ العبـد، فهو مِنةٌ مـن الله، وإنْ صحبه الوقوفُ عنده والرضى به، وإيثارُ مقتضاه مِن لذةِ النفسِ به وطمأنينتِها إليها، وركونِها إليه، فهو حُجة من الله عليه.

فليتأمـل العبدُ هـذا الموضعَ العظيمَ الخطـر، ويميز بين مواقعِ المنَـنِ والمحَنِ، والحُجَجِ والنِّعمِ، فما أكثرَ ما يلتبسُ ذلك على خواصِّ الناس وأرباب السلوك، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

❊ ❊ ❊

سُورَةُ قٓ

٧٨٢. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].

قال البقاعي:

﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مضطربٍ جدا مختلط، من المرج، وهو اختلاط النبت بالأنواع المختلفة، فهم تارة يقولون: سحر، وتارة كهانة، وتارة شعر، وتارة كذب، وتارة غير ذلك.

والاضطرابُ موجِبٌ للاختلاف، وذلك أدلُّ دليل على الإبطال. كما أنَّ الثباتَ والخلوصَ موجِبٌ للاتفاق، وذلك أدلُّ دليلٍ على الْحَقِّيَّة.

قال الحسن: ما ترك قومٌ الحقَّ إلا مَرَج أمرُهم.

وكذا قال قتادة، وزاد: والتبس عليهم دينهم.

٧٨٣. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٦-٧].

قال أبو حيان:

ذكر تعالى في السماء ثلاثة: البناءُ والتزيينُ ونفيُ الفروج.

وذكر في الأرض ثلاثة: المدُّ وإلقاءُ الرواسي والإنبات.

فقابَلَ المدَّ بالبناء، لأنَّ المدَّ وضعٌ والبناءَ رفعٌ.

وقابَلَ إلقاءَ الرواسي بالتزيين بالكواكب، لارتكاز كلٍّ واحدٍ منهما.

وقابَلَ الإنباتَ المترتبَ على الشقِّ بانتفاء الفُروج، فلا شقَّ فيها.

۞ ۞ ۞

٧٨٤. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

قال ابن القيم:

فالتبصرةُ آلةُ البصر، والتذكرةُ آلة الذِّكر، وقرن بينهما وجعلهما لأهل الإنابة؛ لأنَّ العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقعَ الآيات والعبر، فاستدلَّ بها على ما هي آياتٌ له، فزال عنه الإعراضُ بالإنابة، والعمى بالتبصرة، والغفلةُ بالتذكرة؛ لأن التبصرةَ توجبُ له حصولَ صورةِ المدلولِ في القلبِ بعد غفلته عنها. فترتيبُ المنازلِ الثلاثةِ أحسنُ ترتيب، ثم إنَّ كلًا منها يمد صاحبه ويقويه ويثمره. انتهى كلامه.

المنازل الثلاث: التبصرة، والتذكرة، والإنابة.

۞ ۞ ۞

٧٨٥. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

قال الطاهر ابن عاشور في قوله تعالى ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾:

وفائدةُ ذِكرِ هذا الوصف: الإشارةُ إلى اختلافِ أحوالِ استحصالِ ما يَنفعُ الناسَ مِن أنواع النبات، فإنَّ الجناتِ تُستثمرُ وأصولُها باقيةٌ، والحبوبُ تُستثمر بعد حصدِ أصولِها.

على أنَّ في ذلك الحصيدِ منافعُ للأنعام تأكلُه بعد أخذِ حبِّه، كما قال تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات: ٣٣].

۞ ۞ ۞

٧٨٦. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

قال القُشيري:

وفي هذه الآيةِ هَيْبةٌ وفزَعٌ وخَوفٌ لِقومٍ، ورَوحٌ وأُنْسٌ وسُكُونُ قَلْبٍ لِقَومٍ آخرين.

اللهم ستركَ وعفوك وعافيتك.

۞ ۞ ۞

٧٨٧. قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

قال ابن عطية:

قال الحسن: حتى إذا مات المرءُ طويتْ صحيفته، وقيل له يوم القيامة: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤]

عَدَلَ -واللهِ- مَن جعله حسيبَ نفسِه.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٨٨. قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: ٢١].

قال القاسمي:قال ابن جرير:

أي: سائقٌ يسوقها إلى الله، وشاهدٌ يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

وهل هما مَلَكان؟

أو مَلَكٌ جامعٌ للوصفين؟

أو الأولُ مَلَكٌ، والثاني الإنسانُ نفسُه يشهد على نفسِه؟

أو سائقٌ مِن أعمالها، إلى مكان جزائها، وشهيدٌ مِن أجزائها؟

أقوال.

اللهم ارحمنا واغفر لنا واسترنا واعف عنا وعن والدينا وأزواجنا وذرياتنا والقاسمي وابن جرير.

۞ ۞ ۞

٧٨٩. قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣١-٣٢].

قال البقاعي:

﴿أَوَّابٍ﴾ أي: رجاعٌ إلى الاستقامة؛ بتقوى القلب إنْ حصَلَ في ظاهره عوجٌ؛ فنبَّه بذلك على أنه -مِن فضله سبحانه- لم يَشترطْ في صحة وصفه بالتقوى دوامَ الاستقامة.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٩٠. قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣].

قال القرطبي: والخشية بالغيب أنْ تخاف اللهَ ولم تره.

وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حين لا يراه أحد.

وقال الحسن: إذا أرخى السترَ وأغلق الباب.

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.

۞ ۞ ۞

٧٩١. قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣].

قال البقاعي: ونبَّه على كثرة خشيته بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ لأنه إذا خاف مع استحضارِ الرحمة العامة للمطيع والعاصي كان خوفُه مع استحضار غيرِها أولى.

وقال القشيري: التعبير بذلك للإشارة إلى أنها خشيةٌ تكون مقرونةً بالأنس، يعني: الرجاء، كما هو المشروع، قال: ولذلك لم يقل: «الجبار» أو «القهار».

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

٧٩٢. قال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

قال الرازي:

فيه إشارةٌ إلى أنهم كانوا يتهجَّدون ويجتهدون، ثمَّ يريدون أنْ يكونَ عملُهم أكثرَ من ذلك وأخلصَ منه؛ فيستغفرون من التقصير.

وهذه سيرة الكريم؛ يأتي بأبلغِ وجوهِ الكرم، ويستقلُّه، ويعتذرُ من التقصير!!

واللئيمُ يأتي بالقليل ويستكثرُه ويمنُّ به.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٧٩٣. قال تعالى عن المتقين: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

قال البيضاوي:

أي: أنهم مع قِلَّةِ هجوعِهم وكثرةِ تهجُّدِهم إذا أسحَروا أخذوا في الاستغفار؛ كأنهم أسْلَفوا ليلَهم في الجرائم!!

اللهم ارحمنا والبيضاوي برحمتك الواسعة.

۞ ۞ ۞

٧٩٤. قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

قال ابن الجوزي:

وكان الشعبي يقول: أعياني أنْ أعلمَ ما المحروم؟!

وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري أنه:

المتعففُ الذي لا يسألُ شيئًا؛ لأنه قرنه بالسائل، والمتعففُ لا يسأل -ولا يكادُ الناسُ يعطون مَن لا يسأل- ثم يتحفظُ بالتعفف مِن ظهورِ أثرِ الفاقة عليه، فيكونُ محرومًا مِن قِبَلِ نفسِه حين لم يسأل، ومِن قِبل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفطن له متيقظ.

۞ ۞ ۞

٧٩٥. قال تعالى في صفات المتقين: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

قال القاسمي:

قال قتادة: هذانِ فقيرا أهلِ الإسلام: سائلٌ يسألُ في كفِّه. وفقيرٌ متعففٌ. ولِكِلَيهما عليكَ حقٌّ يا ابنَ آدم.

۞ ۞ ۞

٧٩٦. قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

قال البقاعي:

ومن الآيات فيها: أنه يُلقى عليها كلُّ قذارةٍ وقمامةٍ فتنبتُ كلَّ زهرٍ ونَورٍ، وكذلك العارفُ يتشرَّبُ ما يَلقى مِن الجفاء ولا يترشَّحُ إلا بكل خُلقٍ عَلِيٍّ، وشيمةٍ زكية.

۞ ۞ ۞

٧٩٧. قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

قال القرطبي:

وقال بعض الحكماء: إن كلَّ شيءٍ في العالَم الكبير له نظيرٌ في العالَم الصغير، الذي هو بدنُ الإنسان؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾

فحواسُّ الإنسانِ أشرفُ من الكواكب المضيئة، والسمعُ والبصرُ منها بمنزلة الشمس والقمر في إدراك المدركات بها، وأعضاؤه تصير عند البلى ترابًا من جنس الأرض، وفيه من جنس الماء العرَقُ وسائرُ رطوبات البدن، ومن جنس الهواء فيه الروحُ والنفس، ومن جنس النار فيه المرةُ الصفراء. وعروقُه بمنزلة الأنهار في الأرض، وكبدهُ بمنزلة العيون التي تستمد منها الأنهار؛ لأن العروقَ تستمد من الكبد. ومثانته بمنزلة البحر، لانصباب ما في أوعية البدن إليها كما تنصب الأنهار إلى البحر.

وعظامه بمنزلة الجبال التي هي أوتاد الأرض، وأعضاؤه كالأشجار، فكما أن لكل شجر ورقا وثمرا فكذلك لكل عضو فعلٌ أو أثر، والشَّعر على البدن بمنزلة النبات والحشيش على الأرض، ثم إن الإنسان يحكي بلسانه كل صوت حيوان، ويحاكي بأعضائه صنيع كل حيوان، فهو العالَم الصغير مع العالَم الكبير مخلوقٌ محدَثٌ لصانع واحد، لا إله إلا هو.

۞۞۞

٧٩٨. قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

قال الثعلبي:

أي: صنفين ونوعين مختلفين: كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والحق والباطل، والذكر والأنثى، والجنة والنار.

لعلكم تذكرون فتعلمون أنَّ خالقَ الأزواجِ فردٌ.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، آمنا بك يا ربنا.

٧٩٩. قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

قال ابن عطية:

أَمْـرٌ بالدخولِ في الإيمانِ وطاعةِ الله تعالى. وجعـلَ الأمرَ بذلك بلفظ الفرار لِينبِّه علـى أنَّ وراءَ النـاسِ عقابًا وعذابًـا وأمْرًا حقُّه أنْ يُفَرَّ منه، فجَمعـتْ لفظةُ «فِرُّوا» بين التحذيرِ والاستدعاءِ.

قال الحسن بن الفضل: مَن فَرَّ إلى غيرِ الله تعالى لم يَمتنع مِن الله ﷻ.

قال الرازي: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ ينبئ عن سـرعة الإهلاك؛ كأنـه يقول: الإهلاكُ والعذابُ أسرعُ وأقربُ مِن أنْ يَحتملَ الحالُ الإبطاءَ في الرجوع؛ فافزعوا إلى الله سريعا وفروا.

قلـتُ: الآيـةُ ناطقةٌ بالترهيـب، تنادي كمنذرِ أهلِـه الجيشَ: صبَّحكم ومسَّـاكم. الفرار الفرار ياعباد الله إلى الله.

قال ابن الجوزي:

إذا وقعـتَ في محنةٍ يصعـبُ الخلاصُ منها، فليس لك إلا الدعاءُ واللجأُ إلى الله، بعـد أنْ تقدِّمَ التوبةَ مِن الذنوب، فإنَّ الزللَ يوجبُ العقوبة، فإذا زال الزللُ بالتوبة من الذنوب، ارتفع السبب.

فإذا تبتَ ودعوتَ ولم ترَ للإجابة أثرًا، فتفقَّد أمرَك، فربما كانت التوبة ما صحَّت، فصححهـا، ثـم ادع، ولا تمَل من الدعـاء، فربما كانت المصلحـة في تأخير الإجابة، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة، فأنت تثاب، وتجاب إلى منافعك، ومن منافعك ألا تعطى ما طلبت، بل تعوض غيره.

فـإذا جاء إبليس، فقال: كم تدعـوه ولا ترى إجابة؟ فقل: أنا أتعبَّـدُ بالدعاء، وأنا موقنٌ أنَّ الجوابَ حاصل.

وقال خالد الرياعي:

نحن قومٌ إنْ ضاقت علينا الأرضُ اتَّسعتْ لنا السماء!!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الطُّورِ

٨٠٠. قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ [الطور: ١].

قال القرطبي:

قال جُبير بنُ مُطعم: قدمتُ المدينةَ لأسـأَلَ رسولَ الله ﷺ في أسارى بدر، فوافيتُه يقرأُ في صلاة المغرب:

﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلـى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧-٨]. فكأنما صُـدِع قلبي! فأسـلمتُ؛ خوفًا من نـزول العذاب! وما كنتُ أظـنُّ أنْ أقومَ مِن مقامي حتى يقعَ بي العذاب!

وقال هشام بن حسان:

انطلقـتُ أنا ومالكُ بنُ دينارٍ إلى الحسـن، وعنده رجلٌ يقرأُ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ فبكى الحسنُ وبكى أصحابُه، فجعل مالكٌ يضطربُ حتى غُشي عليه.

اللهم ألهمنا رشدنا واجعل القرآن ربيع قلوبنا.

✵ ✵ ✵

٨٠١. قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ [الطور: ١].

قال أبو حيان:

ومِـن غريب ما يُحكى: أنَّ شـخصًا رأى في النوم في كفِّـهِ مكتوبًا خمس واوات!! فعُبِّر له بخير، فسأل ابنَ سيرين، فقال: تهيأ لِما لا يَسُر!!

فقال له: من أين أخذتَ هذا؟

فقـال: مـن قوله تعالـى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ إلـى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾، فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أُحيط بذلك الشخص!!

۞ ۞ ۞

٨٠٢. قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٌ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٌ مَّكۡنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

الخادمُ الطائف كاللؤلؤ المكنون، فكيف بالمخدوم!!

اللهم هداك ورضاك وجنتك.

۞ ۞ ۞

٨٠٣. قـال تعالـى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧].

جاء في أضواء البيان:

الفـاءُ في قولـه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ تـدُلُّ علـى أنَّ علةَ ذلك هي الخـوفُ من الله في دار الدنيا.

ومـا تضمنته هذه الآيةُ الكريمةُ مِن أنَّ الإشـفاقَ -الذي هو الخوفُ الشـديدُ من عذابِ الله في دارِ الدنيا- سـببٌ للسـلامة منه في الآخرة يُفهم مِن مفهوم مخالفته: أنَّ مَنْ لمْ يَخَفْ مِنْ عذابِ الله في الدنيا لَمْ يَنْجُ منه في الآخرة.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها جاء موضحا في آياتٍ أُخَر.

۞ ۞ ۞

٨٠٤. قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

قـال ابـن عطية: وهـذه الآيـةُ ينبغـي أنْ يُقدِّرها كلُّ مؤمنٍ في نفسِـه؛ فإنها تفْسَـحُ مضايقَ الدنيا.

۞ ۞ ۞

٨٠٥. قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

قال رحمه الله: يا له من تعبير، ويا له من تصوير، ويا له من تقدير، هذه مرتبةٌ لم يبلغْها إنسانٌ قطُّ، وهو تعبيرٌ فيه تكريمٌ خاص، وتعبيرٌ فيه أُنْسٌ خاص، ولا يمكن لأحدٍ أنْ يعبر عن هذا المعنى بصورة أوضح وأجلى وأحسن وأشرف مِن هذا التعبير: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾.

ومع هذا المقام الرفيع والتشريف البديع فقد أُمر ﷺ أن يصبر، وأن يُسبح!! يصبر لحكم ربه، ويسبح بحمد ربه.

هل نعي؟ هل نفقه؟

هو في حفظِ الله وحمايتِه، هو في كلاءتِه ورعايتِه، هو في مرأى من الله ومسمع، ومع هذا مطلوبٌ منه أن يصبر، ومطلوبٌ منه أن يسبح!!

فأين المستعجلون البائسون اليائسون!! ماذا عساهم أن يقولوا بعد هذا؟!

۞ ۞ ۞

٨٠٦. قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

قال الطاهر ابن عاشور: اصبر؛ لأنك بأعيننا، أي بمحل العنايةِ والكلاءةِ منا؛ نحن نعلم ما تلاقيه وما يريدونه بك، فنحن نجازيك على ما تلقاه، ونحرسُك من شرهم، وننتقمُ لك منهم.

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ النَّجْمِ

٨٠٧. قال تعالى واصفًا المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

قالت عائشة وزوز:

المصادر المعرفية ثلاث: ظنٌّ، وهوى، ووحي.

فأرجِعْ كلَّ فلسفةٍ وفكرةٍ إلى مصادرها؛ لتستبين الهدى من الضلال.

اللوبيات تحركها الأهواء، وأكثر النظريات هي من الظن، فالزم الوحي تفلح.

۞ ۞ ۞

٨٠٨. قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم: ٢٩].

قال أبو حيان الغرناطي:

مَن لا يصغي إلى قولٍ، كيف يفهم معناه؟

ثم قال: سببُ التولي عن الذِّكر هو:

حصرُ إرادتِه في الحياة الدنيا؛ فالتولي عن الذِّكر سببٌ للإعراض عنهم، وإيثارُ الدنيا سببُ التولي عن الذِّكر.

وذلك إشارةٌ إلى تعلُّقِهم بالدنيا وتحصيلِها.

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

۞ ۞ ۞

٨٠٩. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢].

قال البغوي:

وقال السدي: قال أبو صالح: سُئلتُ عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾؟ فقلتُ: هو الرجلُ يُلِمُّ بالذنب ثم لا يعاوده، فذكرتُ ذلك لابن عباس، فقال: لقد أعانك عليها مَلكٌ كريم.

عفوك اللهم عفوا إننا بسوى عفوك مثل الرِّممِ

✿✿✿

٨١٠. قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

قال أبو حيان:

وقال أبو بكر الوراق: قام بشرط ما ادَّعى، وذلك أنَّ اللهَ تعالى قال له: أسلمْ، قال: أسلمتُ لرب العالمين، فطالبه بصحة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه، فوجده وافيا.

اللهم أسلمنا لك يارب العالمين.

✿✿✿

٨١١. قال تعالى: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: ٥٩-٦٠].

قال أبو حيان الغرناطي:

وفي قوله: ﴿وَلَا تَبۡكُونَ ۝٦٠﴾، حضٌّ على البكاءِ عند سماعِ القرآن.

✿✿✿

سُورَةُ القَمَرِ

٨١٢. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٧-٨].

وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

قال القرطبي:

فهما صفتان في وقتين مختلفين:

أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين، لا يهتدون أين يتوجهون؛ فيدخلُ بعضُهم في بعض، فهم حينئذٍ كالفراش المبثوث، بعضُه في بعض لا جهةَ له يقصدُها.

الثاني: فإذا سمعوا المنادي قصدوه، فصاروا كالجراد المنتشِر؛ لأنَّ الجرادَ له جهةٌ يقصدُها.

اللهم فارحمنا برحمتك يا رحمن يا رحيم.

❁ ❁ ❁

٨١٣. قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤].

قال أبو السعود:

فعلنا ذلك جزاءً لنوحٍ ﷺ؛ لأنه كان نعمةً كفروها، فإنَّ كلَّ نبيٍ نعمةٌ مِن الله تعالى على أمتِه ورحمةٌ، وأيُّ نعمةٍ وأيُّ رحمةٍ!!

❁ ❁ ❁

٨١٤. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قال البيضاوي:

كـرَّرَ ذلك في كلِّ قصةٍ؛ إشـعارًا بأنَّ تكذيبَ كلِّ رسـولٍ مقتضٍ لنـزول العذابِ، واسـتماعَ كلِّ قصةٍ مسـتدعٍ للادِّكار والاتعاظ، واستئنافًا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة.

اللهم أعذنا من الغفلة والرياء.

۞ ۞ ۞

٨١٥. قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

قال المؤرخون:

هنا عند هذه الآية مات شيخ الإسلام: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، وفاضت روحه الطاهرة، في الختمة الواحدة بعد الثمانين للقرآن الكريم، وهو محبوسٌ ظلمًا في قلعة دمشق سنة ٧٢٨ للهجرة، وكان عمره ٦٧ عامًا، عليه رحمة الله.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٨١٦. قال تعالى عن المتقين: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥].

قال البغوي:

قال جعفر الصادق: مدح اللهُ المكانَ بالصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

٨١٧. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

قال أبو السعود:

وأيًّا ما كان؛ ففي وصفِه تعالى بذي الجلال والإكرام بعد ذكرِ فناءِ الخلقِ وبقائه تعالى إيذانٌ بأنه تعالى يُفيضُ عليهم بعد فنائهم أيضا آثارَ لطفِه وكرمِه.

اللهم أنت أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فأكرمنا بعفوك واشملنا برحمتك، اللهم أنزل شآبيب رحمتك على أبي السعود، وأسعده في قبره واغفر له.

۞ ۞ ۞

٨١٨. قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قال الزمخشري:

وسأل بعضُ الملوكِ وزيرَه عنها، فاستمهله إلى الغد، وذهب كئيبا يفكر فيها، فقال غلامٌ له أسود: يا مولاي، أخبرني، ما أصابك؟ لعل اللهَ يسهل لك على يدي!!

فأخبره، فقال له: أنا أفسرها للملك فأعلمه، فقال: أيها الملك، شأنُ الله أنْ يولجَ الليلَ في النهار ويولجَ النهار في الليل، ويخرجَ الحي من الميت ويخرجَ الميت من الحي، ويشفيَ سقيما ويُسْقمَ سليما، ويبتليَ معافا ويعافيَ مبتلى، ويعزَّ ذليلا ويذلَّ عزيزا، ويفقرَ غنيا ويغنيَ فقيرا.

فقال الأمير: أحسنت، وأمر الوزير أن يخلعَ عليه ثياب الوزارة.

فقال: يا مولاي هذا من شأن الله!!

اللهم فأنزل علينا من بركاتك وأغدق علينا من هباتك، وتولنا واحفظنا يا كريم يا رحمن.

۞ ۞ ۞

٨١٩. قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قال المفسرون:

يجيب داعيا، ويعطي سائلا، ويفك عانيا، ويتوب على قوم، ويغفر لقوم، يعتق رقابا، ويعطي رغابا، ويحرم عقابا، يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين، يشفي سقيما، ويجيب مضطرا، يحيي حيا، ويميت ميتا، ويربي صغيرا، ويفك أسيرا، يعز ويذل، ويرزق ويمنع، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويسقم سليما، ويبتلي معافى، ويعافي مبتلى، ويعز ذليلا، ويذل عزيزا، ويفقر غنيا، ويغني فقيرا، ويجبر كسيرًا، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعملُ النهار قبل الليل.

سبحانك ربنا ما أعظمك! اللهم فالطف بنا، واعف عنا.

۞ ۞ ۞

٨٢٠. قال تعالى: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [الرحمن: ٤١].

قال الحسن:

سيماهم سوادُ الوجوهِ وزُرقةُ الأعينِ، كما في قوله: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢].

وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

اللهم اسلك بنا سبيل المتقين.

۞ ۞ ۞

٨٢١. قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال سعد الشثري:

مَن خاف مِن الله أحجمَ عن الإقدامِ عن كلِّ ما يسوؤه في آخرتِه.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٨٢٢. قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال المفسرون:

والمقامُ هنا يحتملُ أحدَ معنيين، هما:

الأول: وقوفُ العبدِ بين يدي ربِّه تعالى؛ يفسره: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. وأضاف المقام إلى الله تعالى من حيث هو بين يديه.

الثاني: قيامُ الرَّبِّ سبحانه على عبده؛ يفسره: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

قال ابن عطية:

وفي هذه الإضافةِ تنبيهٌ على صعوبةِ الموقف، وتحريضٌ على الخوف، الذي هو أسرع المطايا إلى الله ﷻ.

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.

۞ ۞ ۞

٨٢٣. قال تعالى عن نعيم أهل الجنة: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن: ٥٤].

قال الثعلبي:

قال ابن مسعود وأبو هريرة ﵄: هذه البطائنُ فما ظنكم بالظهائر؟!

وقيل لسعيد بن جبير: البطائنُ من إستبرق، فما الظواهر؟

قال: هذا مما قال الله سبحانه: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧].

اللهم رضاك والجنة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

٨٢٤. قال مسروق:

مـن أراد أنْ يعلمَ نبأَ الأولين والآخرين، ونبأَ أهلِ الجنة، ونبأَ أهلِ النار، ونبأَ أهلِ الدنيا، ونبأَ أهلِ الآخرة، فليقرأْ سورةَ الواقعة.

قال تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣].

قال أهل التفسير فيها أقوالا متنوعة، منها:

خَفَضَتِ الصوتَ فأسـمعتْ مَـن دنا، ورفعَتِ الصوتَ فأسـمعتْ مَن نأى، يعني أسمعت القريب والبعيد.

وقالوا: خفضتِ المتكبرين ورفعتِ المستضعفين.

وقالوا: خفضتْ أقواما في عذاب الله، ورفعتْ أقواما إلى طاعة الله.

وقالوا: خفضتْ أعداءَ اللهِ في النار، ورفعتْ أولياءَ اللهِ في الجنة.

وقالـوا: خفضـتْ أقوامـا كانـوا في الدنيـا مرفوعيـن، ورفعـتْ أقوامـا كانـوا في الدنيا مخفوضين.

وقالوا: خفضتْ أقواما بالعدل، ورفعت آخرين بالفضلْ.

وقالوا تخفضُ الجبابرة والمفسـدين الذين كانوا في الدنيا في رفعة وسيادة، وترفعُ الصالحين الذين كانوا في الدنيا لا يُعبأ بأكثرهم.

وقالوا: تخفض أقواما في دركات النار، وترفع أقواما إلى الدرجات العلى في الجنة.

وقالوا: خافضةٌ لأناسٍ في أسفلِ سافلين، رافعةٌ لأناسٍ في أعلى عليين.

وقال أبو السعود أسعده الله في أخراه:

هي خافضةٌ لأقوامٍ رافعةٌ لآخَرين، وهو تقريرٌ لعظمتها، وتهويلٌ لأمرها؛ فإنَّ الوقائعَ العظامَ شأنُها كذلك، أو بيانٌ لِما يكون يومئذٍ مِن حطِّ الأشقياء إلى الدركات، ورفعِ السعداء إلى الدرجات، ومِن زلزلة الأشياء وإزالةِ الأجرام عن مقارها بنثرِ الكواكب، وإسقاطِ السماء كِسَفا، وتسييرِ الجبال في الجو كالسحاب. وتقديمُ الخفض على الرفع للتشديد في التهويل.

اللهم الطف بنا في كل حين وآن.

٨٢٥. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠].

قال ابن الجوزي:

كيف بك إذا قمتَ مِن قبرك، وقد قُرِّبتْ نجائبُ النجاةِ لأقوامٍ، وتعثرتَ؟ وأسرَعتْ أقدامُ الصالحين على الصراط، وتخبطْتَ؟

هيهات!! ذهبتْ حلاوةُ البطالة، وبقيتْ مرارة الأسف، ونضب ماءُ كأسِ الكسل، وبقي رسول الندامة!

وما قدرُ البقاء في الدنيا بالإضافة إلى دوام الآخرة!!

ثم ما قدرُ عمرِك في الدنيا، ونصفُه نومٌ، وباقيه غفلة؟

قال ابن جزي:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأولُ مبتدأ، والثاني خبرُه، على وجه التعظيم، كقولك: أنتَ أنتَ.

أو على معنى أنَّ السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة.

وقال ابن كثير:

المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمِروا. فمَن سابَق في هذه الدنيا وسبَق إلى الخير، كان في الآخرة مِن السابقين إلى الكرامة؛ فإنَّ الجزاءَ مِن جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١-١٢].

قال أبو السعود:

وقيل: والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته، أو والسابقون إلى الخير السابقون إلى الجنة.

اللهم اجعلنا من السابقين إلى الخيرات والطاعات في الدنيا، السابقين إلى الجنات في الأخرى.

۞ ۞ ۞

٨٢٦. قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣].

قال العلماء:

ليست مقطوعةً بالأزمان، ولا ممنوعةً بالأثمان.

اللهم إنا نسألك من فضلك.

۞ ۞ ۞

٨٢٧. قال الكريم سبحانه: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣].

قال الطاهر ابن عاشور:

وجَمع بين الوصفين لأن فاكهةَ الدنيا لا تخلو من أحد ضدي هذين الوصفين فإنَّ أصحابَها يمنعونها، فإنْ لم يمنعوها فإنَّ لها إبَّانا تَنقطع فيه.

نسأل الله الكريم الوهاب من فضله.

۞ ۞ ۞

٨٢٨. قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ۝٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٣].

قال قتادة:

لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

قال الرازي: ما الحكمة في ذِكرِ السموم والحميم، وتركِ ذكر النار وأهوالها؟

نقول: فيه إشارةٌ بالأدنى إلى الأعلى؛ فقال: هواؤهم الذي يهبُّ عليهم سَموم، وماؤهم الذي يستغيثون به حميم. مع أنَّ الهواءَ والماءَ أبردُ الأشياء.

وهما أي: السمومُ والحميمُ مِن أضرِّ الأشياء، بخلاف الهواء والماء في الدنيا، فإنهما مِن أنفع الأشياء، فما ظنك بنارهم التي هي عندنا أيضا أحر؟!

اللهم أعذنا من عذاب النار ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا والمسلمين أجمعين.

۞ ۞ ۞

٨٢٩. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٥-٤٦].

قال الرازي:

صدورُ الكفرانِ ممَّن عليه غايةُ الإنعام أقبحُ القبائح!! فقال: إنهم كانوا مترفين، ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب.

اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين الصابرين.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الحَدِيدِ

٨٣٠. قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

قال ابن كثير:

أي: رقيبٌ عليكم، شهيدٌ على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، مِن بَرٍ أو بحر، في ليلٍ أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميعُ في علمِه على السواء، وتحت بصرِه وسمعِه؛ فيسمعُ كلامَكم ويرى مكانكم، ويعلم سرَّكم ونجواكم، كما قال: ﴿أَلَآ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. وقال ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواه.

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك فاحفظنا بحفظك وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

۞ ۞ ۞

٨٣١. قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

قال القرطبي:

فيه دليلٌ على أنَّ أصلَ الملكِ لله سبحانه، وأنَّ العبدَ ليس له فيه إلا التصرفُ الذي يرضي اللهَ فيثيبه على ذلك بالجنة.

فمَن أنفق منها في حقوقِ الله، وهان عليه الإنفاقُ منها، كما تهونُ على الرجل النفقةُ مِن مال غيرِه إذا أذنَ له فيه، كان له الثوابُ الجزيلُ والأجرُ العظيم.

وهـذا يدلُ على أنها ليسـت بأموالنا في الحقيقة، وما نحن فيهـا إلا بمنزلةِ النوَّابِ والوكلاء؛ فلنغتنمِ الفرصةَ فيها بإقامة الحقِّ قبل أن تُزال عنا أو نزول عنها.

۞ ۞ ۞

٨٣٢. قـال تعالـى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ...﴾ [الحديد: ٧].

ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ [الحديد: ٨].

ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾ [الحديد: ١٠].

قال شهاب الدين الخفاجي:

هـذا مِن أبلغِ ما يكون في الحثِّ على الإنفـاق؛ لأنه قرَنه بالإيمان أولا لَمَّا أمرَهم بـه، ثم وبخهم على تركِ الإيمان، مع سـطوع براهينـه، ووبخهم على تركِ الإنفاق في سبيلِ مَن أعطاه لهم، مع أنهم على شَرَفِ الموت، وعدمِ بقائه لهم إنْ لم ينفقوه!!

اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأيدينا من البخل.

۞ ۞ ۞

٨٣٣. قـال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

قال السعدي:

فلله مـا أحلى هذه البشـارةَ بقلوبهـم، وألذَّها لنفوسـهم؛ حيث حصـل لهم كلُّ مطلوبٍ محبوب، ونجوا من كلِّ شرٍ ومرهوب.

۞ ۞ ۞

٨٣٤. قـال تعالـى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

قال القرطبي:

قال ابن مسعود ﵁: ما كان بين إسلامنا وبين أنْ عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل ينظرُ بعضنا إلى بعض ويقول: ماذا أحدثنا؟

قال الحسن: استبطأهم، وهم أحبُّ خلقِه إليه!!

قال ابن القيم:

دعاهم مِن مقام الإيمان إلى مقام الإحسان.

يعني: أما آنَ لهم أن يَصِلوا إلى الإحسان بالإيمان؟

وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم.

۞ ۞ ۞

٨٣٥. قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧].

قال ابن كثير:

فيه إشارةٌ إلى أنه تعالى يُلِينُ القلوبَ بعد قسوتِها، ويَهدي الحيارى بعد ضَلَّتِها، ويُفرِّج الكروبَ بعد شدتِها، فكما يُحيي الأرضَ الميتةَ المجدِبةَ الهامدةَ بالغيثِ الهتَّانِ الوابل، كذلك يهدي القلوبَ القاسيةَ ببراهين القرآن والدلائل، ويولجُ إليها النورَ بعد ما كانت مقفلةً لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضِلُّ لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعَّال، وهو الحكَمُ العدلُ في جميع الفِعال، اللطيفُ الخبيرُ الكبيرُ المتعال.

۞ ۞ ۞

٨٣٦. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ [الحديد: ١٨-١٩].

قال ابن القيم:

هؤلاءِ أصنافُ السعداء، ومُقدَّموهم: المصَّدِقين والمصَّدِقات.

اللهم فاجعلنا من عبادك المتصدقين الشاكرين.

۞ ۞ ۞

٨٣٧. قال تعالى ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال الطاهر ابن عاشور:

ذكر هنا أصولَ أطوارِ آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سن الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة.

۞ ۞ ۞

٨٣٨. قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١].

قال القرطبي:

والعرضُ أقلُّ مِن الطول، ومِن عادة العرب أنها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله.

قال الشاعر:

كأنَّ بلادَ اللهِ وهي عريضةٌ — على الخائف المطلوب كفة حابل

۞ ۞ ۞

٨٣٩. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

سمعت النبي ﷺ يقول: إذا كانَ يومُ القِيامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلتُ: يا رَبِّ أدْخِلِ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ. ثُمَّ أقُولُ: أدْخِلِ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ أدْنى شَيءٍ!!

فَقالَ أنَسٌ: كَأَنِّي أنْظُرُ إلى أصابعِ رَسولِ اللهِ ﷺ.

رواه البخاري برقم ٧٥٠٩ ومسلم بنحوه برقم ١٩٣.

الله أكبر... أدنى شيء!!

اللهم رحمتَك الواسعة، وفضلَك العظيم.

ذنبي، وإنْ مَلأ البِحارَ فإنَّهُ في بَحرِ عفوكَ -ياكريمُ- قليلُ

۞ ۞ ۞

٨٤٠. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

قال قتيبة بن سعيد:

دخلتُ بعض أحياء العرب، فإذا أنا بفضاءٍ من الأرض مملوء من الإبل الموتى والجيف؛ بحيث لا أحصي عددها، فسألتُ عجوزا:

لمن كانت هذه الإبل؟

فأشارت إلى شيخ على تلٍّ يغزل صوفا.

فقلت له: يا شيخ، ألك كانت هذه الإبل؟

قال: كانت باسمي!!

قلت: فما أصابها؟

قال: ارتجعها الذي أعطاها!!

قلت: وهل قلتَ في ذلك شيئا؟

قال: نعم.

لا والــذي أنــا عـبــدٌ مــن خلائقه — والمرءُ في الدهر نصب الرزء والمحنِ
مــا ســرَّني أنَّ إبْلــي في مباركهــا — ومــا جـرى في قضــاء الله لــم يكــنِ

اللهم ألهمنا رشدنا وثبتنا بقولك الثابت.

۞ ۞ ۞

٨٤١. قال تعالـى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

قال البغوي:

قـال عكرمـة: ليـس أحدٌ إلا وهـو يفرحُ ويحـزن، ولكـن اجعلوا الفرحَ شـكرا، والحزنَ صبرا.

وقال جعفر بن محمد الصادق:

يا ابنَ آدم، مالَك تأسفُ على مفقودٍ لا يرده إليك الفوت؟

ومالك تفرح بموجودٍ لا يتركه في يدك الموت؟

۞ ۞ ۞

٨٤٢. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

قال القرطبى:

والفخـورُ بمنزلـة الشـاةِ المُصرَّاة، تشـدُّ أخلافهـا ليجتمع فيهـا اللبـن، فيتوهَّمُ المشتري أنَّ ذلك معتادٌ وليس كذلك؛ فكذلك الذي يرى من نفسه حالا وزينةً، وهو مع ذلك مدعٍ، فهو الفخور.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ المُجَادلَةِ

٨٤٣. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ [المجادلة: ٢].

قال ابن جزي:

والظهار محرم؛ ويدل على تحريمه أربعة أشياء:

أحدها: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ فإن ذلك تكذيب للمُظاهِر.

والثاني: أنه سمَّاه منكرًا.

والثالث: أنه سمَّاه زورًا.

والرابع: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾؛ فإن العفو والمغفرةَ لا تقع إلا عن ذنب، وهو مع ذلك لازمٌ للمظاهِر حتى يرفعه بالكفارة.

٨٤٤. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

قال أهل التفسير:

التعبيرُ عن هؤلاءِ المنافقين بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ يفيدُ تعليلَ الحكمِ الواردِ بعدَه، وهو كونهم أذلين؛ لأنهم أعداءُ اللهِ القادرِ على كل شيء؛ فعدُوُّه لا يكون عزيزا.

والتعبيرُ بالفعلِ المضارع ﴿يُحَآدُّونَ﴾ يدلُ على تجدُّدِ المحادَّةِ وحدوثِها مِن حينٍ لآخر.

والمحادُّون هم الذين في حَدٍّ والشرعُ في حَدٍّ، فهم مجانبون للحقِّ مشاقُّون له، هم في ناحية والهدى في ناحية.

ومفـادُ حرفِ الظرفيةِ ﴿فِي﴾ أنهم كائنون في زمرةِ القومِ الموصوفين بأنهم أذلون، أي شـديدو المذلـة؛ ليتصورهم السـامعُ في كلِّ جماعةٍ يرى أنهـم أذلون، فيكون هذا النظمُ أبلغ مِن أن يقال: أولئك هم الأذلون.

واسمُ الإشارة﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيهٌ على أنَّ المشارَ إليهم جديرون بما بعده من الحكم؛ بسبب الوصفِ الذي قبله.

وهؤلاء المحادُّون إنما كانوا في جملةِ مَن هو أذلُّ خلقِ الله؛ لأنَّ ذُلَّ أحدِ الخصمين على حسـبِ عزِّ الخصمِ الثاني، فلما كانت عزةُ اللهِ غيرَ متناهية، كانت ذلةُ مَن ينازعه غير متناهية أيضا.

وجاء اسمُ التفضيلِ ﴿ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ مطلَقا مِن غيرِ مُفضَّلٍ عليه؛ ليعُمَّ كلَّ مَن يمكن منه ذل، وذلك في الدنيا والآخرة سواء.

ولمـا شـرح ذلَّهـم، بيَّـن عـزَّ المؤمنيـن، فقـال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١].

٨٤٥. قـال تعالـى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال ابن كثير:

وفي قوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ سـرٌ بديع، وهو أنه لمَّا سـخطوا على

القرائـب والعشـائر في الله عوَّضهم اللهُ بالرضا عنهم، وأرضاهـم عنه بما أعطاهم من النعيمِ المقيم، والفوزِ العظيم، والفضلِ العميم.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سورة الحشر

٨٤٦. قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: ١].

قال في أضواء البيان:

أصل التسبيح من مادة سبح، والسباحة والتسبيح مشتركان في أصل المادة، فبينهما اشتراك في أصل المعنى، والسباحة في الماء ينجو بها صاحبها من الغرق، وكذلك المسبح لله والمنزه له ينجو من الشرك، ويحيا بالذكر والتمجيد لله تعالى.

❁ ❁ ❁

٨٤٧. قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قال القرطبي:

وفي موطأ مالك: «أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ و رضي الله عنها، أن مسكينا سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيفٌ، فقالت لمولاة لها:

أعطيه إياه.

فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه!

فقالت: أعطيه إياه.

قالت: ففعلت.

قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهلُ بيتٍ أو إنسانٌ -ما كان يُهدى لنا-: شاةٌ وكَفَنُها.

فدعتني عائشة، فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قرصك».

قال علماؤنا: هذا من المال الرابح والفعلِ الزاكي عند الله تعالى، يعجِّل منه ما يشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنده. ومن تركَ شيئا لله لم يجد فقده!

وعائشةُ رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة، وأنَّ من فعل ذلك فقد وقي شح نفسه وأفلح فلاحا لا خسارة بعده.

ومعنى (شاة وكفنها) فإن العرب- أو بعض العرب أو بعض وجوههم- كان هذا من طعامهم، يأتون إلى الشاة أو الخروف إذا سلخوه غطوه كله بعجين البر وكفنوه به ثم علقوه في التنور، فلا يخرج من ودكه شي إلا في ذلك الكفن، وذلك من طيب الطعام عندهم.

اللهم قنا شح أنفسنا.

۞ ۞ ۞

٨٤٨. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال ابن أبي ليلى:

الناس على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجتهد ألا تكون خارجا مِن هذه المنازل.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا.

۞ ۞ ۞

٨٤٩. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال القرطبي:

وقال بعضهم: كن شمسا، فإن لم تستطع فكن قمرا، فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا، فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا، ومن جهة النور لا تنقطع.

ومعنى هذا: كن مهاجريا. فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريا. فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم. فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله.

۞ ۞ ۞

٨٥٠. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

قال البغوي:

مَن كان في قلبه غلٌّ على أحدٍ من الصحابة ولم يترحم على جميعِهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأنَّ الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين، والأنصار، والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين.

اللهم لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا.

۞ ۞ ۞

٨٥١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر: ١٨].

قال القرطبي:

هذه آية وعظٍ وتذكيرٍ وتقريبٍ للآخرة، وتحذيرٍ ممن لا تخفى عليه خافية.

وقال قتادة: قرَّب الله تعالى القيامة حتى جعلها غدا؛ وذلك لأنها آتيةٌ لا محالة، وكلُّ آتٍ قريب.

وقال أبو السعود: عبَّر عن يوم القيامة بذلك لدنوه، أو لأنَّ الدنيا كيوم والآخرة غده. وتنكيرُه لتفخيمِه وتهويلِه، كأنه قيل: لغدٍ لا يُعرف كنهه؛ لغاية عظمه. وأما تنكيرُ «نفس» فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدَّمْن لذلك اليوم الهائل، كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة ذلك.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تكريرٌ للتأكيد، أو الأول في أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الأمر بالعمل، والثاني لترك المحارم، كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

اللهم اختم لنا بخير.

۞ ۞ ۞

٨٥٢. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: ١٩].

قال ابن القيم:

والعجبُ كلُّ العجبِ مِن غفلة مَن تُعدُّ عليه لحظاتُه وتُحصى عليه أنفاسُه، ومطايا الليلِ والنهارِ تُسرع به ولا يتفكر إلى أين يُحمل؟ ولا إلى أي منزل يُنقل؟

وكيف تنام العينُ وهي قريرةٌ ولم تدرِ في أي المحلين تنزلُ

۞ ۞ ۞

سورة الممتحنة

٨٥٣. قال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].

قال الزمخشري:

ورَدَ جوابُ الشرط مضارعا، ثم قال ﴿وَوَدُّوا۟﴾ بلفظ الماضي، وفيه نكتة، كأنَّه قيل: ووِدُّوا قبلَ كلِّ شيءٍ كفرَكم وارتدادَكم، يعنى: أنهم يريدون أن يُلحقوا بكم مضارَّ الدنيا والدِّين جميعا، مِن قتلِ الأنفس، وتمزيقِ الأعراض، وردِّكم كفارا.

وردُّكم كفارا أسبقُ المضارِّ عندهم وأولُها؛ لعلمهم أنَّ الدِّين أعزُّ عليكم مِن أرواحِكم؛ لأنكم بذَّالون لها دونه، والعدو أهمُّ شيءٍ عنده أنْ يقصد أعزَّ شيءٍ عند صاحبه.

وقال البقاعي:

وعبَّر بما يُفهم التمنيَ الذي يكون في المُحالات ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾؛ ليكون المعنى: أنهم أحبُّوا ذلك غايةَ الحبِّ وتمنوه. وفيه بشرى بأنه مِن قبيل المُحال.

وقال عبدالله التويجري:

والآيةُ تدل على منتهى عداوة الكافرين للمؤمنين بكل جوارحهم، وبكل مايقدرون عليه، باليد واللسان والقلب.

اللهم أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

❁ ❁ ❁

٨٥٤. قال تعالى: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ [الممتحنة: ١٢].

قال الآلوسي:

«والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأمرُ إلا به؛ للتنبيه على أنَّه لا يجوزُ طاعةُ مخلوقٍ في معصية الخالق، ويُرَدُّ به على مَن زعم مِن الجهلة أنَّ طاعةَ أولي الأمرِ لازمةٌ مطلقا».

انتهى كلامه رحمه الله.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الصَّفِّ

٨٥٥. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

قال ابن الجوزي:

والمسكينُ كلُّ المسكينِ مَن ضاع عمُرُهُ في عِلمٍ لم يعملْ به، ففاته لذَّاتُ الدنيا، وخيراتُ الآخرة، فقدِم مفلِسًا على قوة الحجة عليه!!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٨٥٦. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

قال ابن القيم بعد كلام جميل:

فلله.... ما أحلى هذه الألفاظ! وما ألصقَها بالقلوب! وما أعظمَها جذبا لها، وتسييرا إلى ربها! وما ألطفَ موقعَها مِن قلبِ كلِّ محب! وما أعظمَ غنى القلبِ وأطيبَ عيشَه حين تباشرُه معانيها! فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الجُمُعَةِ

٨٥٧. قال تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩].

قال عبدالرزاق البدر:

مِن أعظمِ مقاصدِ الأذان حين يُدَوِّي في الأرجاء: إسقاطُ تعلُّقِ القلوبِ في الدنيا.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المُنَافِقُون

٨٥٨. قال تعالى عن المنافقين: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]

قال القاسمي:

قال القاشـاني: روي عن بعض الحكماء أنه رأى غلامًا حَسَـنًا وجهُه، فاستنطقه؛ لظنِّه ذكاءَه وفطنتَه، فما وجد عنده معنى!!

فقال الحكيم: ما أحسنَ هذا البيتَ لو كان فيه ساكن!!

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾.

أي: أجـرامٌ خاليـةٌ عن الأرواح، لا نفعَ فيها ولا ثمر، كالأخشـاب المسـندة إلى الجـدران عنـد الجفـاف، وزوال الـروحِ الناميةِ عنهـا، فهم في زوال اسـتعداد الحياة الحقيقية، والروحِ الإنسانية، بمثابتها.

۞ ۞ ۞

٨٥٩. قال تعالى عن المنافقين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

قال الزمخشري:

أي: الكاملـون في العداوة؛ لأنَّ أعـدى الأعداءِ العدوُّ المُداجي، الذي يُكاشـِرُك وتحتَ ضلوعِه الداءُ الدوي! فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق واكفنا شرهم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٨٦٠. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩].

قال القرطبي:

قال المفسرون: فالمغبونُ مَن غُبن أهله ومنازله في الجنة، ويظهر يومئذٍ غبنُ كلِّ كافرٍ بترك الإيمان، وغبنُ كلِّ مؤمنٍ بتقصيره في الإحسان، وتضييعه الأيام.

وقال الحسن وقتادة:

بلغنا أنَّ التغابنَ في ثلاثة أصناف:

رجلٌ علِم عِلما فعلَّمه، وضيعه هو ولم يعمل به، فشقي به، وعمل به مَن تعلَّمه منه فنجا به.

ورجلٌ اكتسب مالا مِن وجوهٍ يُسأَلُ عنها وشحَّ به، وفرَّط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيرًا، وترَكَه لوارثٍ لا حساب عليه فيه، فعمل ذلك الوارثُ فيه بطاعة ربه.

ورجلٌ كان له عبدٌ، فعمل العبدُ بطاعة ربه فسعد، وعمل السيدُ بمعصية ربه فشقي.

اللهم اختم لنا بخير وإيمان وسنة.

۞ ۞ ۞

٨٦١. قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩].

قال ابن القيم:

اشترْ نفسَك اليوم؛ فإنَّ السوقَ قائمةٌ، والثمنَ موجودٌ، والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي على تلك السوقِ والبضائعِ يومٌ لا تصِلُ فيها إلى قليلٍ ولا كثيرٍ.. ذلك يوم التغابن.

اللهم رحمتك وعافيتك.

۞ ۞ ۞

٨٦٢. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

قال ابن القيم:

قيل إذا استكملَ العبدُ حقيقةَ اليقين صار البلاءُ عنده نعمة! والمحنة منحة! فالعلمُ أولُ درجات اليقين.

ولهذا قيل:

العلمُ يستعملُك، واليقينُ يحملُك. فاليقينُ أفضلُ مواهبِ الرَّبِّ لِعبده. ولا تثبتُ قَدَمُ الرِّضا إلا على درجةِ اليقين.

وقال الدكتور خالد بن حمد الجابر:

وبعد، فإني تعلمتُ من وجوه المؤمنين تحت الأنقاض في الزلازل، ومِن بسماتهم حين يخرجون، ومِن شكرهم لله حين ينجون، ومِن تكبيراتهم ودعائهم واسترجاعهم، تعلمتُ منه ما لم أتعلمه في الجامعات والمدارس!!

ألا فهنيئا للمؤمنين: إنَّ أمرَهم كلَّه لهم خيرٌ؛ إنْ أصابتهم الشدةُ والضراءُ والفواجعُ صبروا واحتسبوا، وإنْ جاءهم الخيرُ والرخاءُ حمدوا وشكروا ولم يبطروا.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٨٦٣. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن عطية:

وروي أنَّ رجلًا قال لعمرَ بن الخطاب رضي الله عنه: ولِّني مما ولاك الله تعالى!!

فقال له عمر: أتقرأُ القرآن؟

قال: لا.

قال عمر: فإني لا أولي من لا يقرأ القرآن.

فتعلَّم الرجـلُ رجاءَ الولاية، فلما حفظ كثيرًا مِن القرآن تخلَّف عن عمر، ثم لقيه يومًا، فقال له عمر رضي الله عنه: ما أبطأ بك؟

قال: تعلمتُ القرآن؛ فأغناني الله عن عمر وعن بابه!!

ثم قرأ هذه الآيات من هذه السورة.

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

٨٦٤. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١].

قال الطبري:

قال قتادة: وكان فرعون أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فو الله ما ضرَّ امرأتَه كفرُ زوجِها حين أطاعتْ ربها؛ لتعلموا أنَّ اللهَ حكمٌ عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه.

ونقل الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

قطعَ اللهُ بهذه الآية طمعَ مَن ركب المعصيةَ ورجا أن ينفعه صلاحُ غيره، وأخبر أنَّ معصيةَ الغير لا تضرُّه إذا كان مطيعا.

۞ ۞ ۞

٨٦٥. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١].

قال ابن القيم:

ذكر اللهُ ثلاثة أصناف من النساء:

١- المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح.

٢- المرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر.

٣- المرأة العزب التي لا وصلة بينها وبين أحد.

فالأولى لا تنفعها وصلتها وسببها.

والثانية لا تضرها وصلتها وسببها.

والثالثة لا يضرها عدم الوصلة شيئا.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المُلْكِ

٨٦٦. قال تعالى عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

قال أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤:

عادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة.

اللهم أجرنا من النار وأبعدنا عن عمل أهل النار يا عزيز ياعفو يارحيم يا غفار.

۞ ۞ ۞

٨٦٧. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

قال ابن القيم:

قال بعض السلف: ما عصى اللهَ أحدٌ حتى يغيبَ عقلُه، وهذا ظاهر؛ فإنه لو حضر عقلُه لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره، وهو مطلعٌ عليه، وفي داره على بساطه، وملائكتُه شهودٌ عليه، ناظرون إليه، وواعظُ القرآن ينهاه، وواعظُ الموت ينهاه، وواعظُ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خيرِ الدنيا والآخرة أضعافُ ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

۞ ۞ ۞

٨٦٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

قال صاحب أضواء البيان:

الذين يخشـون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حقَّ اللهِ عليهم، ومراقبتَه إياهم في السر والعلن، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخَفَّوا وتستروا.

والعربُ تمدحُ مَن يكون في خَلوتِه كمشهدِهِ مع الناس.

ومنه قول مسلم بن الوليد:

يتجنـب الهفـواتِ فـي خلواتِهِ — عـفُّ السـريرةِ غَيْبُـهُ كالمشـهدِ

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.

۞ ۞ ۞

٨٦٩. قـال تعالـى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧].

قال الزمخشري:

وعن بعض الزهاد: أنه تلاها في أول الليل في صلاته، فبقي يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر.

ولعمري إنها لوقَّاذة لمن تصور تلك الحالةَ وتأملها!!

اللهم عفوك ورحمتك.

۞ ۞ ۞

٨٧٠. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

قال الطاهر ابن عاشور:

ومن النوادر المتعلقة بهذه الآية ما أشـار إليه الزمخشـري في الكشـاف مع ما نُقل عنه في بيانه، قال:

وعن بعض الشُّـطَّار هو محمد بن زكريا الطبيب، كما بينه المصنف فيما نُقل عنه أنه تُليتْ هذهِ الآيةُ عنده، فقال: تجيءُ به (أي الماء) الفؤوسُ والمعاول!

فذهبَ ماءُ عينيه!!

نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته.

اللهم أنزل رجزك وعذابك إله الحق على كفرة أهل الكتاب وعباد الأوثان الذين يصدون عن سبيلك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ القَلَمِ

٨٧١. قال تعالى: ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩-٤٠].

قال ابن القيم:

فبعيدٌ مَن قلبُه بعيدٌ من الله تعالى، غافلٌ عنه متعبِدٌ لهواه أسيرٌ لشهواته، ولسانُه يابسٌ مِن ذكره، وجوارحُه معطلةٌ مِن طاعته، مشتغلةٌ بمعصيته، أنْ يوفق للخاتمة بالحسنى.

ولقد قطع خوفُ الخاتمةِ ظهورَ المتقين، وكأنَّ المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعا بالأمان!!

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك واختم لنا بإيمان وإحسان.

❁ ❁ ❁

٨٧٢. قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١-٥٢].

قال البغوي:

قال الحسن البصري: دواءُ إصابةِ العين أنْ يقرأ الإنسانُ هذه الآية.

نعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الحَاقَّةِ

٨٧٣. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة: ١٨].

قال ابن عطية:

الخطاب في قوله تعالى: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ لجميع العالَم!!

اللهم سترك وعفوك يا رحمن

۞ ۞ ۞

٨٧٤. قال تعالى عمن أوتي كتابه بشماله:

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٧]

قال الطبري:

قال قتادة: تمنى الموت!!

ولم يكن في الدنيا شيءٌ أكرَه عنده من الموت!!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٨٧٥. قال تعالى عمن أوتي كتابه بشماله:

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٩]

قال أبو حيان:

وكان عضدُ الدولة ابنُ بويه لمَّا تسمَّى بملك الأملاك غلَّاب القدر لم يُفلح وجُنَّ!!

فكان لا ينطلق لسانه إلا بقوله: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾

اللهم اختم لنا بخير وإيمان وتقوى

۞ ۞ ۞

٨٧٦. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣-٣٤].

قال الشوكاني:

والمعنى: أنه لا يحثُّ نفسَه أو غيرَه على بذل نفسِ طعام المسكين.

وفي جعْلِ هذا قرينًا لتركِ الإيمانِ بالله مِن الترغيب في التصدُّق على المساكين وسدِّ فاقتهم، وحثِّ النفسِ والناسِ على ذلك ما يدلُّ أبلغَ دلالةٍ ويفيدُ أكملَ فائدةٍ على أنَّ منعَهم مِن أعظمِ الجرائم وأشدِّ المآثم.

اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين المنفقين.

۞ ۞ ۞

٨٧٧. قال الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣-٣٤].

كان أبو الدرداء يأمر أهله بتكثير المرقة؛ لأجل المساكين، ويقول: خلعنا نصفَ السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع النصف الثاني بالإطعام؟

وقال الحسن أدركت أقوامًا يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلًا.

وقال أبو حيان في بحره:

وعَطْفُ ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ على ﴿لَّا يُؤۡمِنُ﴾ داخلٌ في العلة، وذلك يدلُّ على عظمِ ذنبِ مَن لا يحضُّ على إطعام المسكين؛ إذ جُعِلَ قرين الكفر، وهذا حكمُ تركِ الحضِّ، فكيف يكون ترك الإطعام؟

وقال عبدالله التويجري:

وفي إضافة الطعام للمسكين بلاغةٌ وسُمو لا يعيها إلا كريم النفس ندي الروح، ففي أطعمتنا المخزنة في بيوتنا طعام للمسكين.

۞ ۞ ۞

٨٧٨. قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢].

قال الرازي:

ذكر في نفي الشاعرية ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وفي نفي الكاهنية ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ والسبب فيه كأنه تعالى قال: ليس هذا القرآن قولا من رجل شاعر؛ لأن هذا الوصف مباين لصنوف الشعر كلها إلا أنكم لا تؤمنون.

ولا أيضا بقول كاهن؛ لأنَّ القرآن واردٌ بسبِّ الشياطين وشتمِهم، فلا يمكن أن يكون ذلك بإلهام الشياطين، إلا أنكم لا تتذكرون كيفية نظم القرآن، واشتماله على شتم الشياطين.

مختصرا بتصرف يسير.

۞ ۞ ۞

سورة المعارج

٨٧٩. قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج: ١٨].

قال الطبري:

وجمع مالًا فجعله في وعاء، ومنعَ حقَّ الله منه، فلم يزك ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه.

ثم قال: كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسَه، يقول: سمعتُ اللهَ يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾.

۞ ۞ ۞

٨٨٠. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

هذه خلاصة أقوال أئمة التفسير في معنى ﴿دَآئِمُونَ﴾:

قال ابن الجوزي: وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين يحافظون على المكتوبات، وهو معنى قول ابن مسعود.

والثاني: أنهم لا يلتفتون عن أيمانهم وشمائلهم في الصلاة، قاله عقبة بن عامر، واختاره الزجاج. قال: ويكون اشتقاقه من الدائم، وهو الساكن، كما جاء في الحديث «أنه نهى عن البول في الماء الدائم».

والثالث: أنهم الذين يكثرون فعل التطوع، قاله ابن جريج.

۞ ۞ ۞

سورة نوح

٨٨١. قال تعالى عن نوح أنه قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

قال أبو العالية:

إني لأرجو أن لا يهلكَ عبدٌ بين اثنتين: نعمةٍ يحمدُ اللهَ عليها، وذنبٍ يستغفرُ اللهَ منه.

اللهم إنا نستغفرك ولك الحمد.

۞ ۞ ۞

٨٨٢. أخبر اللهُ عن نوحٍ أنه قال عن قومِه: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٤].

قال ابن عطية:

وذكرَ الظالمين لتعُمَّ الدعوةُ كلَّ مَنْ جَرى مجراهم.

۞ ۞ ۞

٨٨٣. قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. إلى قوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ﴾ [نوح: ٢٨].

قال ابن جزي:

قال بعض العلماء: إنَّ الإلهَ الذي استجاب لنوح عليه السلام، فأغرق بدعوته جميعَ أهلِ الأرضِ الكفار، حقيقٌ أن يستجيبَ له فيرحمَ بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات ويغفر لهم.

وقال الآلوسي:

وقد دعا نوحٌ عليه السلام دعوتين: دعوة على الكافرين، ودعوة للمؤمنين، وحيث استُجيبتْ له الأولى فلا يبعدْ أنْ تُستجاب له الثانية، والله تعالى أكرم الأكرمين.

اللهم آمين ياكريم. رحمك الله أيها الآلوسي وعفا عنك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الجِنِّ

٨٨٤. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن: ١٨].

قال ابن العربي:

الأرضُ كلُّها لله مُلكًا وخلقًا، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

والمساجدُ لله رفعةً وتشريفًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾.

والكعبةُ بيتُ اللهِ تخصيصًا وتعظيمًا، كما قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

٨٨٥. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١-٢].

قال رحمه الله:

صلاةُ الليل وعبادةُ الخلوات مِن أعظمِ المثبِّتات للعبد، وما مِن نبيٍّ مِن الأنبياء إلا أمره اللهُ بالعبادة قبل الرسالة؛ لأنَّ الإصلاحَ يتبعه شدة، والشدةُ تحتاج إلى ثبات، ولا يثبتُ المصلحَ شيءٌ كتقوية صلته بالله بالعبادة، ولهذا قال الله لنبيه: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ثم بين سبب ذلك: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

❁ ❁ ❁

٨٨٦. قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

قال البقاعي:

ومَن تمسَّك بهذه الآية عاش حرًا كريمًا، ومات خالصًا شريفًا، ولقي الله تعالى عبدًا صافيًا مختارًا تقيًا.

❁ ❁ ❁

٨٨٧. قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

قال القرطبي:

ومَن عَلم أنه ربُّ المشارقِ والمغاربِ انقطعَ بعملِه وأملِه إليه.

وقال ابن القيم:

فإنَّ اتخاذَ اللهِ وكيلا هو محضُ العبودية، وخالصُ التوحيد، إذا قام به صاحبُه حقيقة.

اللهم ربنا آمنا بك وتوكلنا عليك.

۞ ۞ ۞

٨٨٨. قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ [المزمل: ١١].

قال القرطبي:

أي اِرضَ بي لعقابهم. نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين.

وقال مقاتل: نزلت في المطعِمين يوم بدر، وهم عشرة.

اللهم فعليك بالمكذبين أولي النعمة في هذا الزمان من اليهود وأذنابهم.

۞ ۞ ۞

٨٨٩. قال تعالى عن جزاء المكذبين أولي النعمة: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣].

قال القرطبي:

طعاما غيرَ سائغ، يأخُذُ بالحَلْق، لا هو نازلٌ ولا هو خارجٌ، وهو: الغسلين والزقوم والضريع.

اللهم عافنا واعف عنا يا رحمن يا رحيم.

۞ ۞ ۞

٨٩٠. قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

قال القرطبي:

وروي عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حَيسًا -يعني تمرًا بلبن- فجاءه مسكينٌ، فأخذه ودفعه إليه.

فقال بعضهم: ما يُدري هذا المسكينَ ما هذا؟

فقال عمر: لكنَّ ربَّ المسكينِ يدري ما هو!!

وكأنه تأول الآية.

اللهم أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمتَ علينا وعلى والدينا وأن نعمل صالحا ترضاه وأصلح لنا في ذرياتنا إنا تبنا إليك وإنا من المسلمين.

۞ ۞ ۞

٨٩١. قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [المزمل: ٢٠].

قال الثعلبي:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: أيما رجلٍ جلب شيئا إلى مدينة مِن مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه، كان عند الله سبحانه بمنزلة الشهداء، ثم قرأ الآية في آخر المزمل.

وقال البقاعي:

وهو ندبٌ لنا من الله إلى رحمة العباد والنظرِ في أعذارهم، فمَن لا يَرحم لا يُرحم.

۞ ۞ ۞

سورة المدثر

٨٩٢. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١].

قال ابن العربي:

هـذه ملاطفةٌ مِـن الكريم إلى الحبيب؛ ناداه بحاله، وعبَّـر عنه بصفته. ومثله قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: قم أبا تراب. إذ خرج مغاضبا لفاطمة، ونام في المسـجد، فسـقط رداؤه وأصابه ترابه.

❁ ❁ ❁

٨٩٣. قال تعالـى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [المدثر: ٥٢-٥٣].

قال عبدالله التويجري:

من أعظم أسـباب الضلال من عهد كفار مكة إلـى عصرنا هذا: عدمُ الخوفِ من الآخـرة، وهو ناتجٌ عن عـدم الإيمانِ بالآخرة، وهذا ناتجٌ عن عـدمِ الإيمانِ بالغيب، وهذا ناتجٌ لضعف الإيمان بالأركان الستة؛ فكلُّها إيمانٌ بالغيب.

وأعظـمُ وقايـةٍ عن هذا الضـلال، وأنجعُ دواءٍ لـه: الإقبالُ على القـرآن، وتذكُّره وتدبُّـره، والعملُ بـه؛ فالقرآنُ كلُّه يقـودُ تاليه وقارئه إلى الإيمان بالله، والإسـلام له، والاستسلام والانقياد لله رب العالمين.

والإيمـانُ باليـوم الآخِـر مِن أعظـم أركانِ الإيمان، وتكـرَّر كثيرًا في ثنايا السـور والآياتِ المكية؛ لأنه العقدةُ الكبرى عند كفار العرب آنذاك، ولا يزال عقدةَ الزنادقة عبر التاريخ إلى ملاحدة اليوم.

وكثيرٌ مِن أصحاب الإلحاد اليوم هم امتدادٌ للكفار قبل الهجرة.

وانظر لقول الله عنهم: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾

قال القرطبي:

وذلك أن أبا جهل وجماعةً من قريش قالوا: يا محمد!! إيتنا بكتابٍ من ربِّ العالمين مكتوبٌ فيها: إني قد أرسلتُ إليكم محمدا ﷺ.

ومثل هذا كثيرٌ مما يطرحه زنادقة العصر من شبههم وأسئلتهم واستهزائهم.

كلا بل لا يخافون الآخرة!!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ القِيَامَةِ

٨٩٤. قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٣].

قال الطاهر ابن عاشور:

﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يمشي المُطَيْطاء -بضم الميم وفتح الطاء بعدها ياء ثم طاء مقصورة وممدودة- وهي التبختر.

وأصل يتمطى: يتمطَّط، أي: يتمدد؛ لأنَّ المتبختر يمدُّ خطاه، وهي مشية المعجب بنفسه.

والمعنى: أنه أهمل الاستعداد للآخرة ولم يعبأ بدعوة الرسول ﷺ وذهب إلى أهله مزدهيا بنفسه غير مفكر في مصيره.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الإِنسَانِ

٨٩٥. قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

قال أبو حيان:

ولمَّا كان الشكرُ قَلَّ مَن يتصف به، قال: ﴿شَاكِرًا﴾.

ولمَّا كان الكفرُ كَثُرَ مَن يتصف به، ويكثر وقوعُه من الإنسان بخلاف الشكر، قال: ﴿كَفُورًا﴾ بصيغة المبالغة.

٨٩٦. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

قال أبو السعود:

﴿سَلَٰسِلَا۟﴾ بها يُقادون. ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ بها يُقيَّدون. ﴿وَسَعِيرًا﴾ بها يُحرقون.

٨٩٧. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨].

قال القرطبي:

كان الربيع بن خُثيم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سُكَّرا؛ فإنَّ الربيعَ يحبُّ السُّكر.

٨٩٨. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

قال قتادة:

لقد أمر اللهُ بالأسرى أنْ يُحْسنَ إليهم، وإنَّ أسراهم يومئذٍ لأهلُ الشرك، وأخوك المسلمُ أحقُّ أنْ تطعمَه.

ألا فلنتفقد إخوتنا ومن حولنا.

۞ ۞ ۞

٨٩٩. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

قال صاحب أضواء البيان:

وهؤلاءِ الأُسارى بعد وقوعهم في الأَسْر، لم يبقَ لهم حولٌ ولا طَول، فلم يبقَ إلا الإحسانُ إليهم.

وهذا مِن محاسنِ الإسلام، وسُمُو تعاليمه.

وإنَّ العالَمَ كلَّه اليومَ لفي حاجةٍ إلى معرفةِ هذه التعاليمِ السماويةِ الساميةِ حتى مع أعدائه.

۞ ۞ ۞

٩٠٠. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

قال محمد بن المنكدر:

من موجباتِ المغفرة إطعامُ المسلمِ السَّغْبان.

قال ابن القيم:

وإذا كان اللهُ سبحانه قد غفر لِمن سَقى كلبا على شدة ظمئه! فكيف بمن سقى العطاش؟ وأشبع الجياع؟ وكسى العراةَ من المسلمين؟!

۞ ۞ ۞

٩٠١. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

قال الطبري:

قال مجاهد: أمَا إنهم ما تكلموا به، ولكنْ علِمه اللهُ مِن قلوبهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٩٠٢. قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

قال ابن القيم:

لمَّا كان في الصبرِ -الذي هو حبسُ النفسِ عن الهوى- خشونةٌ وتضييقٌ، جازاهم على ذلك نعومةَ الحرير، وسعةَ الجنة.

فمَن فسَح لنفسِه في اتباعِ الهوى، ضيَّقَ عليها في قبرِه، ويومَ معادِه.

ومَن ضيَّق عليها بمخالفة الهوى، وسَّعَ عليها في قبرِه ومعادِه.

۞ ۞ ۞

٩٠٣. قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

قال عبدالله التويجري:

هذه الآية تفيض سلوانًا للمبتلَين، وتفوح بشاراتٍ للصابرين.

فيا كلَّ مَن أرهقته الهموم وأثقلته المصائب، واحتسب في صبره.

ويا من كابد نفسَه وهي تؤزه للمنكر: هيت لك.

ويا من جاهد نفسه؛ فقادها بالتقوى، وحفظها بمراقبة الله، وألزمها حقوقَ الله، وأدى حقوقَ العباد.

يا كلَّ هؤلاء: أبشروا بما يسركم ويفرحكم؛ فالعاقبة الحسنى لكم.

وما أعظم هذا الجزاء!! وما أجلَّه!!

فالبدنُ فيه النضارة، والروحُ فيها السرور، والمكانُ الجنة، واللباسُ مِن حرير!! نسأل الله من فضله.

۞ ۞ ۞

٩٠٤. قال تعالى في وصف شراب أهل الجنة: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

قال كثيرٌ من المفسرين:

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: على قَدْرِ رِيِّهم، لا تزيدُ عنه ولا تنقص، بل هي مُعدَّةٌ لذلك، مُقدَّرةٌ بحسب رِي صاحبِها، وهذا أبلغُ في الاعتناءِ والشرفِ والكرامة، وهو ألذُّ وأشهى وأخفُّ.

قدَّروها على ملء الكفِّ، لا تفيضُ ولا تغيضُ؛ حتى لا تؤذيهم بثقلٍ أو بإفراطِ صِغر.

قلت: الإسرافُ في الموائد والأطعمة والمشروبات ليس فيه خير، وليس من نعيم أهل الجنة، وليس الإسرافُ من الكرم في شيء.

فلنتق الله في طعامنا وضيافتنا.

❁ ❁ ❁

٩٠٥. قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

قال القرطبي:

وقيل: إنما شبَّهَهُم بالمنثور؛ لأنهم سِراعٌ في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبَّهَهُنَّ باللؤلؤ المكنون المخزون؛ لأنهن لا يُمتهن بالخدمة.

اللهم أحسن منقلبنا إليك وأوردنا حوض نبيك محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

٩٠٦. قال الله تعالى في وصف بعض نعيم أهل الجنة: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

قال عبدالله التويجري:

تضمنت الآيةُ زينةَ الظاهرِ من الثياب بالحرير، وزينةَ الظاهرِ من البدن بالأساور، وزينةَ الباطنِ بالشراب الطهور.

وفي الآيةِ تكريمٌ عظيمٌ بأنْ كانت التحليةُ بالأساور ليست من أعمالهم، فليسوا هم الذين يَتحلون بالأساور، بل يُحَلون بالأساور!!

وفي الآيةِ تكريمٌ عظيمٌ وأيُّ تكريم؟ حين أسندَ سقيهم إلى ربِّ العالمين سبحانه.

اللهم اجعلنا ووالدينا وذرياتنا وأهلنا والمسلمين والمسلمات منهم.

❁ ❁ ❁

٩٠٧. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٦-٢٧].

قال ابن القيم:

فمن سبَّح اللهَ ليلًا طويلًا لم يكنْ ذلك اليومُ ثقيلًا عليه؛ بل كان أخفَّ شيءٍ عليه.

اللهم رحمتك وعفوك ولطفك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

٩٠٨. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

قال القرطبي:

يُذكَر أنَّ مالكًا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر -وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر- فجلس ولم يركع.

فقال له صبيٌّ: يا شيخ، قمْ فاركع!!

فقام، فركع ولم يُحاجَّه بما يراه مذهبًا!!

فقيل له في ذلك، فقال: خشيتُ أنْ أكونَ من الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون!!

اللهم فأنزل لنا من رحماتك وأفض علينا من هباتك، وعلى والدينا وأزواجنا وذرياتنا ومالكًا والقرطبي وابن سعدي.

❊ ❊ ❊

سُورَةُ النَّبَإِ

٩٠٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢١-٢٢].

وقال: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦].

قال الثعلبي:

قال مقاتل: وافق العذابُ الذنبَ، فلا ذنبَ أعظم من الشرك، ولا عذابَ أعظم من النار.

اللهم ارزقنا خشيتك وعافيتك.

۞ ۞ ۞

٩١٠. قال تعالى عن أهل جهنم: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤].

قال الطاهر ابن عاشور:

لا يُغاثون بنسيم بارد، والبرْدُ ألذُّ ما يطلبُه المحرور.

اللهم فأنجنا من النار.

۞ ۞ ۞

٩١١. قال تعالى عن أهل النار: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

قال ابن عطية:

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: ما نزلتْ في أهل النار آيةٌ أشدَّ من هذه الآية.

اللهم أجرنا ووالدينا والمسلمين من النار.

۞ ۞ ۞

٩١٢. قال تعالى عن نعيم المتقين: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦].

قال ابن قتيبة:

﴿حِسَابًا﴾ أي: نعطيَه حتى يقول حسبي.

اللهم أحسن منقلبنا إليك، واجعلنا من عبادك المتقين.

❁ ❁ ❁

٩١٣. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

قال الثعلبي:

وقال أبو هريرة: فيقول الترابُ للكافر: لا، ولا كرامة لك مِن جعلِك مثلي!!

وسمعت أبا القاسم بن جبير يقول: رأيت في بعض التفاسير أنَّ الكافرَ ها هنا إبليس؛ وذلك أنه عاب آدمَ بأنه خُلق من تراب، وافتخر بأنه خُلق من النار، فإذا عاين يومَ القيامة ما فيه آدمُ وبنوه المؤمنون مِن الثواب والراحةِ والرحمةِ، ورأى ما هو وذويه فيه من الشدة والعذابِ تمنَّى أنه بمكان آدم، فيقول حينئذ: يا ليتني كنتُ ترابا.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

٩١٤. قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

قال أبو السعود:

وفي عدمِ ذِكرِ الفاعلِ فيه وفيما عُطِف عليه مِن الأفعال مِن التنبيه على تعيُّنِه وتفخيمِ شأنِه ﷻ ما لا يخفى!!

اللهم آمنا بك وتوكلنا عليك وأنبنا إليك؛ فاغفر لنا ولوالدينا وأزواجنا وذرياتنا ومعلمينا وطلابنا وزملائنا وأبي السعود يا رحمن يارحيم.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ عَبَسَ

٩١٥. قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤].

قال ابن عطية:

ويُـروى: أنَّ رجلًا أضافَهُ عابدٌ، فقدَّم إليه رغيفًا قَفَارًا، فكأنَّ الرجلَ استخشـنه!! فقال له: كُلْه؛ فإنَّ اللهَ تعالى لم يُنعمْ به ويُكمِّلْه حتى سخَّرَ فيه ثلاثمائةٍ وستين عاملًا، الماءُ والريحُ والشمسُ ثلاثةٌ مِن ذلك!!

اللهم لك الحمد على نعمك الظاهرة والباطنة.

* الرغيف القَفَار: الخبز بلا إدام.

۞ ۞ ۞

٩١٦. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

قال الطاهر ابن عاشور:

وقـد اجتمع -في هذه الآيات- أبلغُ ما يفيدُ هولَ ذلك اليومِ، بحيثُ لا يتركُ هولُه للمرء بقيةً مِن رشدِه!!

فـإنَّ نَفْسَ الفرارِ للخائفِ مسبةٌ فيمـا تعارفوه؛ لدلالته على جُبـنِ صاحبه، وهم يتعيرون بالجبن. وكونُه يتركُ أعزَّ الأعزةِ عليه مسبةٌ عظمى!!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

سورة التكوير

٩١٧. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٨-٩].

قال الماوردي:

قال قتادة: يَقتلُ أحدُهم ابنته، ويغذو كلبَه!!

فأبى اللهُ سبحانه ذلك عليهم.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الانفِطَارِ

٩١٨. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

قال ابن القيم -بعد كلام-:

وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ فيقول: كرَمُه، وقد يقول بعضهم: إنه لَقَّنَ المغترَّ حجتَه، وهذا جهل قبيح، وإنما غرَّه بربِّه: الغَرورُ وهو الشيطان، ونفسُه الأمَّارةُ بالسوء، وجهلُه، وهواه.

وأتى سبحانه بلفظ الكريم، وهو السيد العظيم المطاع، الذي لا ينبغي الاغترارُ به، ولا إهمالُ حقِّه، فوضع هذا المغترُّ الغرورَ في غير موضعه، واغترَّ بمن لا ينبغي الاغترارُ به.

قال ابن جُزي:

فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟

فالجواب: أن الكريم ينبغي أن يُعبد ويطاع؛ شكرًا لإحسانه، ومقابلة لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب.

۞ ۞ ۞

٩١٩. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

قال القرطبي:

وقال ذو النون المصري: كم مِن مغرورٍ تحت السِّترِ وهو لا يشعر!!

وأنشد أبو بكر بن طاهر الأبهري:

يا مَن غلا في العُجبِ والتِّيهِ ... وغرَّه طولُ تماديهِ

أملى لك اللهُ فبارزتَه ولم تخفْ غِبَّ معاصيه

قال ابن كثير:

إنما أتى باسمِهِ ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾ لينبِّه على أنَّه لا ينبغي أنْ يُقابَل الكريمُ بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٩٢٠. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

قال ابن القيم:

أي: استحيوا مِن هؤلاءِ الحافظين الكرام وأكرموهم، وأجِلُّوهم أنْ يروا منكم ما تستحيون أنْ يراكم عليه مَن هو مثلكم.

والملائكةُ تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وإذا كان ابنُ آدمَ يتأذى ممن يفجرُ ويعصي بين يديه -وإن كان يعملُ مثلَ عمله- فما الظنُّ بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان.

۞ ۞ ۞

٩٢١. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣].

قال ابن عطية:

«الأبرار» جمع بَر، وهو الذي قد اطَّرَد برُّه عموما، فبَرَّ ربَّه في طاعته إياه، وبرَّ أبويه، وبرَّ الناسَ في رفع ضره عنهم، وجلبِ ما استطاع من الخير لهم، وبرَّ الحيوانَ وغيرَ ذلك في أنْ لم يفسدْ منها شيئًا عبثًا وبغير منفعة مباحة.

اللهم اجعلنا من أهل البر والإحسان.

۞ ۞ ۞

٩٢٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

قال ابن القيم: ولا تحسبْ أنَّ النعيم أو الجحيم مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط! بل في دورهم الثلاثة كذلك -أعني دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار- فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم.

وهل النعيمُ إلا نعيمُ القلب؟ وهل العذابُ إلا عذابُ القلب؟

وأيُّ عذابٍ أشدُّ من الخوف والهمِّ والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقِه بغير الله، وانقطاعِه عن الله، بكل وادٍ منه شعبة؟

وكلُّ شيء تعلَّق به وأحبَّه مِن دون الله فإنه يسومه سوء العذاب!!

فكلُّ مَن أحبَّ شيئا غير الله عُذِّب به ثلاث مرات في هذه الدار!

فهو يُعذَّب به قبل حصوله حتى يحصل، فإذا حصل عُذِّب به حال حصوله بالخوف مِن سلبِه وفواتِه، والتنغيصِ والتنكيدِ عليه، وأنواعٍ من العذاب في هذه المعارضات، فإذا سلبَه اشتدَّ عليه عذابُه، فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار.

وأما في البرزخ: فعذابٌ يقارنه ألمُ الفراقِ الذي لا يرجو عودَه، وألمُ فواتِ ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضدِّه، وألمُ الحجاب عن الله، وألمُ الحسرة التي تقطع الأكباد، فالهمُّ والغمُّ والحزنُ تعمل في نفوسهم نظيَر ما يعمل الهوامُّ والديدانُ في أبدانهم، بل عملها في النفوس دائمٌ مستمر، حتى يردَّها الله إلى أجسادها، فحينئذٍ ينتقل العذابُ إلى نوعٍ هو أدهى وأمرُّ!!

فأين هذا من نعيمِ مَن يرقصُ قلبُه طربًا وفرحًا وأنسًا بربه، واشتياقًا إليه، وارتياحًا بحبه، وطمأنينةً بذكره؟ حتى يقول بعضهم في حال نزعه: واطرباه!!

ويقول الآخر: مساكين أهلُ الدنيا!! خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها!! وما ذاقوا أطيب ما فيها!!

ويقول الآخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف!!

ويقول الآخر: إنَّ في الدنيا جنةً مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

فيا مَن باع حظَّه الغالي بأبخس الثمن، وغُبِن كلَّ الغبن في هذا العَقد وهو يرى أنه قد غُبن، إذا لم يكن لك خبرةٌ بقيمة السلعة فسَلِ المقوِّمين، فيا عجبًا مِن بضاعةٍ معكَ: اللهُ مشتريها، وثمنُها جنة المأوى، والسفيرُ الذي جرى على يده عقدُ التبايعِ وضمِنَ الثمنَ عن المشتري هو الرسول ﷺ، وقد بعتها بغاية الهوان!!

كما قال القائل:

إذا كان هذا فعلُ عبدٍ بنفسه   فمَن ذا له مِن بعد ذلك يُكرِمُ

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

٩٢٣. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

قال البغوي:

روي أنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك قال لأبي حازم المدني: ليتَ شعري، ما لنا عند الله؟

قال: اعرض عملَك على كتاب الله؛ فإنك تعلمُ ما لك عند الله.

قال: فأين أجدُ في كتاب الله؟

قال عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

٩٢٤. قال تعالى: ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ [الانفطار: ١٨].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

كلُّ مـا في القرآن مِن قوله تعالى: ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقـد أدراه، وكلُّ ما فيه مِن قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣]. فقد طُوي عنه.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد.

۞ ۞ ۞

٩٢٥. قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

قال الطبري:

قال قتادة: والأمرُ -واللهِ- اليومَ لله، ولكنه يومئذٍ لا ينازعه أحد.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ المطففين

٩٢٦. قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

قال القرطبي:

وعن عبد الملك بن مروان: أن أعرابيا قال له: قد سمعتَ ما قال الله تعالى في المطففين؟

أراد بذلك أنَّ المطففين قد توجَّه عليهم هذا الوعيدُ العظيمُ الذي سمعتَ به، فما ظنُّك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن؟!

وفي هذا الإنكارِ والتعجيبِ وكلمةِ الظنِّ، ووصفِ اليوم بالعظيم، وقيامِ الناس فيه لله خاضعين، ووصفِ ذاته برب العالمين، بيانٌ بليغٌ لعظم الذنب، وتفاقمِ الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثلِ حاله مِن الحيف، وتركِ القيام بالقسط.

والعملُ على التسوية والعدل، في كل أخذٍ وإعطاء، بل في كل قول وعمل.

وقرأ ابن عمر: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. فبكى حتى سقط، وامتنع من قراءة ما بعده.

انتهى كلام القرطبي رحمه الله.

اللهم رحمتك ولطفك وعفوك.

❁ ❁ ❁

٩٢٧. قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

قال صاحب أضواء البيان:

التطفيـفُ: التنقيصُ، من الطَّفيف، وهو الشـيءُ القليـل. وإذا كان الوعيدُ بالويل على الشيءِ الطفيف، فما فوقَهُ من باب أولى.

اللهم تجاوز عن تقصيرنا.

۞ ۞ ۞

٩٢٨. قـال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

قال بعض العارفين:

لا أشـتري الويـلَ مِن الله بِحَبَّة!! فكان إذا اشـترى أنقصَ حَبَّـة، وإذا باع زادَ حَبَّة. ومَن استقصى حَقَّهُ بكمالِه يوشكُ أنْ يتعدَّاه.

۞ ۞ ۞

٩٢٩. قـال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

قال ابن عطية:

قال مالك بن دينار: احتضر جارٌ لي، فجعل يقول: جبلان من نار!!

فقلتُ له: ما هذا؟

فقال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان، آخذ بالوافي وأعطي بالناقص.

اللهم عافنا واعف عنا.

۞ ۞ ۞

٩٣٠. قال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

قال ابن سعدي:

أي: فليتسـابقوا في المبادرة إليه، بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بُذلت فيه نفائسُ الأنفاس، وأحرى ما تزاحمتْ للوصول إليه فحولُ الرجال.

اللهم ارزقنا نفوسا مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بعطائك، وأنزل رحماتك علينا وعلى والدينا وابن سعدي والمسلمين.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الانشِقَاقِ

٩٣١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

قال عبدالله التويجري:

إنك أيها الإنسان ساعٍ مجتهدٌ في الذهاب إلى الله بالموت، فأنفاسُك خُطاكَ إلى أجلك!!

فليكن عملك مما ينجيك من سخطه، ويوجب لك رضاه، ولا يكن مما يسخطه عليك فتهلك.

۞ ۞ ۞

٩٣٢. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

قال البقاعي:

مَن كان الليلُ والنهارُ مطيَّتيهِ أوصلاه -بلا شكٍ- إلى منتهى سفرِه، شاء أو أبى!!

فذِكرُ هذا على هذا النمط حثٌّ على الاجتهاد في الإحسان في العمل؛ لأنَّ مَن أيقن بأنه لا بد له مِن العرض على الملِك أفرغ جهده في العمل بما يحمدُه عليه عند لقائه.

اللهم فأحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٩٣٣. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤].

قال القرطبي: سُئل معمر عن الحور بعد الكور، فقال: هو الكُنْتِي.

فقال له عبدالرزاق: وما الكنتي؟

فقال: الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء.

قال أبو عمرو: يقال للرجل إذا شاخ: كُنْتِي، كأنه نُسب إلى قوله: كُنتُ في شبابي كذا.

قال الشاعر:

فأصبحتُ كُنْتِيًا وأصبحتُ عاجِنا وشرُّ خصالِ المرءِ كُنْتُ وعاجِنُ

عجن الرجل: إذا نهض معتمدا على الأرض من الكِبَر.

۞ ۞ ۞

٩٣٤. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦].

قال أبو السعود:

هي الحُمْرَةُ التي تشاهَدُ في أُفُقِ المغرب بعد الغروب، أو البياضُ الذي يليها؛ سُمي به لِرِقَّتِه، ومنه: الشفقة التي هي عبارة عن رِقة القلب.

۞ ۞ ۞

٩٣٥. قال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩].

قال الثعلبي:

قالت الحكماء: يشتمل الإنسان من كونه نطفةً إلى أن يهرم ويموت على سبعة وثلاثين حالًا من سبعة وثلاثين اسما:

نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم خلقًا آخر، ثم جنينًا، ثم وليدًا، ثم رضيعًا، ثم فطيمًا، ثم يافعًا، ثم ناشئًا، ثم مترعرعًا، ثم حزورًا، ثم مراهقًا، ثم محتلمًا، ثم بالغًا، ثم أمرد، ثم طاردًا، ثم طارًّا، ثم باقلًا، ثم مسيطرًا، ثم مطرخمًا، ثم مختطًا، ثم صملًا، ثم ملتحيًا، ثم مستويًا، ثم مصعدًا، ثم مجتمعًا -والشاب يجمع ذلك كلَّه- ثم ملهوزًا،

ثم كهلًا، ثم أشـمط، ثم شـيخًا، ثم أشـيب، ثم حوقلًا، ثم صفتانًا، ثم هرمًا، ثم ميتًا، فهذا معنى قوله ﷻ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾.

۞ ۞ ۞

٩٣٦. قال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩].

قال الثعلبي:

وقـال مكحول في هذه الآية: في كل عشـرين عاما يُحدِثون أمـرًا لم يكونوا عليه؛ وهذا أدلُّ دليلٍ على حُدوث العالَم وإثباتِ الصانع.

قالت الحكماء:

مَن كان اليوم على حالةٍ وغدًا على أخرى فليعلم أنَّ تدبيرَه إلى سواه.

وقيل لأبي بكر الوراق:

ما الدليل على أنَّ لهذا العالم صانع؟

فقـال: تحويـلُ الحـالات، وعجـزُ القُـوة، وضعـفُ الأركان، وقهـرُ المنَّـة، وفسخُ العزيمة.

قـال مكحول: كنَّا أجنَّةً في بطون أمهاتِنا فسـقط مِنا مَن سـقط وكنَّا فيمن بقي، ثم صرنـا رُضَّعـا فهلك مِنا مَن هلـك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يَفَعَـةً فهلك مِنا مَن هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شـبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شـيوخا -لا أبالك!- فما بعدَ هذا ننتظر؟!

۞ ۞ ۞

٩٣٧. قال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩].

قال ابن القيم: أي: حالًا بعد حال.

فـأولُ أطباقه: كونُه نطفـةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم جنينًا، ثـم مولودًا، ثم رضيعًا، ثـم فطيمًا، ثم صحيحًا أو مريضًـا، غنيًا أو فقيرًا، معافًى أو مبتلى - إلى جميع أحوال الإنسان المختلفة عليه إلى أن يموت، ثم يُبعث، ثم يُوقف بين يدي الله، ثم يصير إلى الجنة أو النار.

اللهم أدخلنا الجنة وأجرنا من النار.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ البُرُوجِ

٩٣٨. قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧].

قال القرطبي:

قـال علماؤنا: أعلـمَ اللهُ ﷻ المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه مَن وحَّدَ اللهَ قبلَهم مِن الشدائد، يؤنسهم بذلك.

وذكَـر لهـم النبيُ ﷺ قصـةَ الغلامِ ليصبروا علـى ما يُلاقون مـن الأذى والآلام، والمشـقَّات التي كانوا عليها؛ ليتأسـوا بمثـل هذا الغلام، في صـبره وتصلُّبِه في الحق وتمسُّـكِه بـه، وبذلِه نفسَـه في حقِّ إظهار دعوتـه، ودخولِ النـاس في الدين، مع صغر سِـنِّه وعظمِ صبرِه، وكذلك الراهبُ صبرَ على التمسـك بالحق حتى نُشـر بالمنشار. وكذلـك كثيـرٌ مَن الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسـخ الإيمانُ في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم.

اللهم ثبتنا على الحق والإيمان حتى نلقاك.

❁ ❁ ❁

٩٣٩. قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]..

قال أبو السعود:

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: مـا أنكـروا منهـم ومـا عابـوا ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ استئنافٌ مُفْصِحٌ عن براءتهم عما يُعاب ويُنكر بالكلية، على منهاج قوله:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ ضيوفَهم تُلامُ بنسـيان الأحبـةِ والوطن!!

رحمك الله أبا السعود وأسعدك في الآخرة بالجنة.

❁ ❁ ❁

سورة الطارق

٩٤٠. قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٤-٥].

قال القرطبي:

وجْهُ الاتصالِ بين الآيتين: توصيةُ الإنسانِ بالنظرِ في أولِ أمرِه وسَنتِه الأولى، حتى يعلمَ أنَّ مَنْ أنشأه قادرٌ على إعادتِه وجزائه، فيعملَ ليوم الإعادة والجزاء، ولا يُملي على حافِظِه إلا ما يَسُرُّه في عاقبة أمرِه.

❁ ❁ ❁

٩٤١. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

قال الطبري:

قال عطاء: ذلك الصومُ والصلاةُ وغسلُ الجنابة، وهو السرائر، ولو شاء أن يقول: قد صمتُ، وليس بصائم! وقد صليتُ، ولم يصل! وقد اغتسلتُ، ولم يغتسل.

وقال ابن كثير:

تظهر السرائرُ وتبدو، ويبقى السرُّ علانيةً والمكنونُ مشهورا!!

وقد ثبت في الصحيحين، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «يُرفع لكل غادر لواء عند استه، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان».

اللهم ارحمنا واسترنا ولا تفضحنا.

❁ ❁ ❁

٩٤٢. قال تعالى عن حال الإنسان يوم القيامة: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

قال ابن عطية:

وليس يُمتنَع في الدنيا مِن المكاره إلا بأحدِ الوجهين: إما بقوةٍ في ذاتِ الإنسان، وإما بناصرٍ خارجٍ عن ذاته؛ فأخبر اللهُ تعالى عنِ الإنسان أنه يُعدَمُهما يومَ القيامة؛ فلا يعصمه مِن أمر الله تعالى شيء.

اللهم اعصمنا من الزلل، ولا تفضحنا يوم العرض.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَعْلَى

٩٤٣. قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

قال الآلوسي:

وعن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا لم يجد ما يعطي السائل، يقول: ما عندي ما أعطيك. أو: ائتني في وقت آخر، أو نحو ذلك.

ولا يقولُ نحو ما يقولُ الناس: يرزقك الله تعالى. أو يبعثُ الله تعالى لك. أو يعطيك الله تعالى، أو نحوه.

فسُئل عن ذلك؟ فقال: إن السائلَ أثقلُ شيءٍ على سمعِه وأبغضُه إليه قولُ المسؤولِ له، ما يفيدُه ردَّه وحرمانَه؛ فأنا أجلُّ اسمَ اللهِ سبحانه مِن أنْ أذكره لمن يكرهُ سماعَه، ولو في ضمن جملة!!

وهذا منه رضي الله تعالى عنه غاية في الورع.

رحمك الله ورضي عنك يا مالك بن أنس.

۞ ۞ ۞

٩٤٤. قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٣].

قال الزمخشري:

وهداياتُ الله للإنسان إلى ما لا يُحدُّ مِن مصالحه، وما لا يُحصَر مِن حوائجه في أغذيتِه وأدويتِه، وفي أبواب دنياه ودينه.

وإلهاماتُ البهائمِ والطيورِ وهوامِّ الأرض بابٌ واسـع، وشوطٌ بطين، لا يُحيط به وصفُ واصف؛ فسبحان ربى الأعلى.

❁ ❁ ❁

٩٤٥. قـال تـعـالـى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

قال ابن القيم:

لا تتـمُ الرغبة في الآخرة إلا بالزهدِ في الدنيا، ولا يسـتقيمُ الزهـدُ في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

نظَـرٍ في الدنيـا وسـرعةِ زوالها وفنائهـا واضمحلالهـا، ونقصِها وخسـتِها، وألمِ المزاحمة عليها والحرصِ عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد. وآخِرُ ذلك الزوالُ والانقطاعُ مع ما يعقبُ من الحسـرة والأسـف. فطالبُها لا ينفكُّ مِن هَمٍ قبل حصولها، وهمٍ حال الظفر بها، وغمٍ وحزنٍ بعد فواتها، فهذا أحد النَّظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالِها ومجيئها ولا بدَّ، ودوامِها وبقائها وشرفِ ما فيها من الخيرات والمسـراتِ، والتفاوتِ الذي بينها وبين ما هاهنا، فهي كما قال الله سبحانه ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ فهي خيراتٌ كاملةٌ دائمةٌ. وهذه الدنيا خيالاتٌ ناقصةٌ منقطعةٌ مضمحلة.

فإذا تمَّ له هذان النَّظران آثر ما يقتضي العقلُ إيثارَه، وزهدَ فيما يقتضي الزهدُ فيه.

فكلُّ أحدٍ مطبوعٌ على أنْ لا يترك النفعَ العاجلَ واللذةَ الحاضرةَ إلى النفعِ الآجلِ واللـذةِ الغائبـةِ المنتظـرةِ إلا إذا تبين له فضلُ الآجلِ على العاجـلِ، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفانيَ الناقصَ كان ذلك إما لعدم تبينِ الفضلِ له، وإما لعدم رغبته في الأفضل.

وكلُّ واحدٍ من الأمرينِ يدلُّ على ضعفِ الإيمان وضعفِ العقلِ والبصيرة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

٩٤٦. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ [الغاشية: ٢-٤].

قال رحمه الله:

من لم يخشع ولم يعمل ولم ينصب لله في الدنيا بطاعته وعبادته؛ فسيعوضها يوم القيامة لكن في النار الحامية.

❁ ❁ ❁

٩٤٧. قال تعالى: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ [الغاشية: ٣].

تنوعت عبارات المفسرين في معناها إلى أقوال، منها:

أنها لم تعملْ لله في الدنيا، ولم تنصبْ له، فأعْمَلَها وأنْصَبَها في جهنم؛ فهي تعملُ أعمالًا شاقةً تتعبُ فيها، وهي جرُّ السلاسلِ والأغلال، والخوضُ في النارِ خوضَ الإبلِ في الوحل، والصعودُ والهبوطُ في تلالِ النار ووهادِها.

وقيل: عملتْ في الدنيا أعمالَ السوءِ، والْتذَّتْ بها؛ فهي يومئذٍ في نصبٍ منها.

وقيل: عملتْ ونصبتْ في أعمالٍ لا تجدي عليها في الآخرة؛ لأنها على غيرِ هدى، فلا ثمرة لعملها إلا النَّصَب، وخاتمتُه النار.

اللهم رحمتك وعفوك، وأنجنا من النار.

انظر: تفسير ابن عطية والقرطبي وأبي السعود.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الفَجرِ

٩٤٨. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الفجر:١٨].

قال عبدالله التويجري: أصناف الناس في البذل والإنفاق:

١. الباذلون المطعمون.

٢. الحاضُّون على البذل والإطعام.

٣. البخلاء الممسكون الساكتون.

٤. البخلاء الممسكون الآمرون بالبخل والإمساك.

٥. البخلاء الممسكون الآمرون بالبخل والإمساك المستهزؤون بالمنفقين والمطعمين.

فكن يا أخي من الصنف الأول، وإلا فعليك بالثاني.

وحذار أن تكون من الثالث.

أما الصنفين الأخيرين فحاشاك منها؛ فهما خارج حدود الإنسانية.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ البَلَدِ

٩٤٩. قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

قال بعض المحققين:

هذان أصلان عليهما مدار الطاعة: صِدْقٌ مع الحق، وخُلُقٌ مع الخلْق.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الشَّمْسِ

٩٥٠. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

قال ابن القيم:

أي أفلح مَن كبَّرها وكثَّرها ونمَّاها بطاعة الله، وخاب مَن صغَّرها وحقَّرها بمعاصي الله؛ فالنفوسُ الشريفةُ لا ترضى مِن الأشياء إلا بأعلاها وأفضلِها وأحمدِها عاقبة، والنفوسُ الدنيئةُ تحومُ حول الدَّناءات وتقعُ عليها كما يقع الذُّباب على الأقذار!!

فالنفسُ الشريفةُ العليَّةُ لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبرُ من ذلك وأجلُّ، والنفسُ المهينةُ الحقيرةُ والخسيسةُ بالضِّد من ذلك.

فكلُّ نفسٍ تميلُ إلى ما يناسبها ويشاكلها، وهذا معنى قوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

۞ ۞ ۞

٩٥١. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

قال القرطبي:

فمصطنِعُ المعروفِ والمبادرُ إلى أعمالِ البر، شَهَرَ نفسَه ورفعها.

وكانت أجوادُ العرب تنزلُ الرُّبا وارتفاعَ الأرض؛ ليشتهرَ مكانُها للمُعْتفِين، وتُوقِدُ النارَ في الليل للطارقين.

وكانت اللئامُ تنزلُ الأولاجَ والأطرافَ والأهضام؛ ليخفَى مكانُها عن الطالبين.

فأولئك عَلَوا أنفسَهم وزكَّوها، وهؤلاء أخفوا أنفسَهم ودسَّوها.

وكذا الفاجرُ أبدا: خَفِيُّ المكان، زَمِرُ المروءةِ، غامضُ الشـخص، ناكسُ الرأس؛ بركوب المعاصي.

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ اللَّيْلِ

٩٥٢. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

قال صاحب أضواء البيان:

وما أبعد ما بين العطاء والبخل، والتصديقِ والتكذيب، واليسرى والعسرى! وقد أطلق: «أعطى»؛ لِيعُمَّ كلَّ عطاء؛ من مالِه وجاهِه وجهدِه، حتى الكلمة الطيبة، بل حتى طلاقة الوجه.

قلتُ: ألا فأطلقوا أيديكم بالعطاء الجزيل، وألسنتكم بالقول الحسن، ووجوهكم بالابتسامة، وابذلوا المعروف للناس بلا منٍّ ولا أذى.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الضُّحَىٰ

٩٥٣. قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

جاء في أضواء البيان:

والذي يظهر من لطيفِ الخطـاب ورقيقِ الإيناس ومداخلِ اللطف، أن الموادعةَ تشعر بالوفاء والود، فأبرزت فيها كافُ الخطاب، أي: لم تتأت موادعتك وأنت الحبيب، والمصطفى المقرَّب.

أما: «قلى»: ففيها معنى البغض، فلم يناسب إبرازها؛ إمعانًا في إبعاد قصده ﷺ بشيء من هذا المعنى، كما تقول لعزيز عليك: لقد أكرمتُك وما أهنتُ، لقد قربتُك وما أبعدتُ؛ كراهية أن تنطق بإهانته وكراهيته، أو تصرِّح بها في حقه.

❁ ❁ ❁

٩٥٤. قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٤].

قال الرازي:

خيراتُ الدنيا قليلةٌ مشوبةٌ منقطعة.

ولذَّاتُ الآخرةِ كثيرةٌ خالصةٌ دائمة.

اللهم رحمتك ورضاك وجنتك.

❁ ❁ ❁

٩٥٥. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

قال البغوي:

قال إبراهيم بن أدهم: نِعْمَ القومُ السُّؤَّالُ: يحملون زادَنا إلى الآخرة!!

۞ ۞ ۞

٩٥٦. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

قال جمال الدين القاسمي:

وفي الآيـة تنبيـهٌ على أدبٍ عظيم، وهـو: التصدي للتحدُّثِ بالنعمة، وإشـهارِها؛ حرصًا على التفضُّلِ والجودِ والتخلُّقِ بالكرم، وفرارًا من رذيلة الشحِّ الذي رائدُه كتمُ النعمةِ والتمسكنُ والشكوى.

قال محمد عبده:

مِـن عادة البخلاءِ أنْ يكتموا مالَهم؛ لتقوم لهم الحجةُ في قبضِ أيديهم عن البذل، فلا تجدهم إلا شاكِين مِن القِلِّ.

أما الكرماءُ فلا يزالون يُظهرون بالبذل ما آتاهم اللهُ مِن فضلِهِ، ويجهرون بالحمد لما أفاض عليهم من رزقِه.

فلهـذا صـحَّ أنْ يُجعل التحديثُ بالنعمـة كنايةً عن البذلِ وإطعـامِ الفقراء وإعانةِ المحتاجين.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الشَّرۡحِ

٩٥٧. قال تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣].

قال المحاسبي:

وإنمـا وُصفتْ ذنوبُ الأنبياء بهذا الثقل، مع كونها مغفورة؛ لشـدَّة اهتمامِهم بها، وندمِهم منها، وتحسرهم عليها.

قلـت: الله المسـتعان!! هل وقفنا مـع هذه الآية؟ وتسـاءلنا: ما الـوزر الذي عند النبـي ﷺ حتى يُنقض ظهره؟ وما حال أوزارنا وذنوبنا وكبائرنا؟ وهل لظهورنا طاقة بها؟ اللهم رحمتك وسترك.

عـفـوك الـلـهـم عـفـوًا إنـنـا   بـسـوى عـفـوك مـثـلُ الـرمـم

۞ ۞ ۞

٩٥٨. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

قال الطبري:

قال عبد الله بن مسعود: لو دخل العسرُ في جُحرٍ، لجاء اليسرُ حتى يدخل عليه.

۞ ۞ ۞

٩٥٩. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

قال عبدالرحمن السعدي:

بشـارةٌ عظيمة؛ أنَّه كلَّما وُجد عسرٌ وصعوبة، فإنَّ اليسرَ يقارنُه ويصاحبُه، حتى لو دخل العسرُ جحرَ ضبٍ لدخل عليه اليسرُ فأخرجه.

اللهم يسِّر أمورنا، وأمور ذرياتنا وأزواجنا وأحبابنا وابن سعدي وذريته أجمعين.

۞ ۞ ۞

٩٦٠. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

قال القاسمي:

تنكيرُ ﴿يُسۡرًا﴾ للتعظيم. والمراد: يسرٌ عظيمٌ، وهو يسرُ الدارين. وفي كلمة «مع» إشعارٌ بغاية سرعة مجيء اليسر! كأنه مقارنٌ للعسر؛ فهو استعارة، شبَّه التقاربَ بالتقارن، فاستعير لفظ «مع» لمعنى: بَعْد.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ التِّينِ

٩٦١. قال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧].

قال ابن عطية:

وضميـرُ الخِطـابِ في قوله: ﴿ يُكَذِّبُكَ﴾ التفـاتٌ، ومقتضى الظاهـر أنْ يقال: فما يكذبه. ونكتةُ الالتفات هنا أنَّه أصرَحُ في مواجهةِ الإنسـانِ المكذِّبِ بالتوبيخ. ومعنى ﴿ يُكَذِّبُكَ﴾: يجعلك مكذِّبا، أي: لا عذر لك في تكذيبك بالدِّين.

اللهم آمنا بك فأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ العَلَق

٩٦٢. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧].

قال صاحب أضواء البيان:

ومما في الآية مِن لُطفِ التعبيرِ قولُه تعالى: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ أي: أنَّ الطغيانَ الذي وقع فيه عن وهْم! تراءى له أنه استغنى، سواء بماله أو بقوته؛ لأنَّ حقيقةَ المالِ ولو كان جبالا، ليس له منه إلا ما أَكل ولَبسَ وأنفق. وهل يستطيع أنْ يأكلَ لقمةً واحدةً إلا بنعمة العافية؟ فإذا مرض فماذا ينفعه ماله؟ وإذا أكلها، فهل يستفيدُ منها إلا بنعمة مِن الله عليه؟

ومِن هذه الآية أخذ بعضُ الناس، أن الغنيَّ الشاكرَ أعظمُ مِن الفقير الصابر؛ لأنَّ الغنى موجبٌ للطغيان. وقد قال بعض الناس: الصبرُ على العافية، أشدُّ مِن الصبرِ على الحاجة.

رحم الله علماءنا.

۞ ۞ ۞

٩٦٣. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

قال حميد الطويل لسليمان بن علي: عِظني.

فقال سليمان: لئنْ كنتَ إذا عصيتَ اللهَ خاليا ظننتَ أنه يراك، فلقد اجترأتَ على أمرٍ عظيم! ولئن كنتَ تظنُّ أنه لا يراك فلقد كفرتَ!!

۞ ۞ ۞

٩٦٤. قال تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧-١٨].

والزبانيةُ هم الملائكة الموكلون بالعذاب، سُـمُّوا زبانيةً مِن الزَّبْن، وهو في اللغة: الدَّفع بشدة؛ فهم يدفعون أهلَ النارَ إلى النارِ دفعًا شديدًا. أجارنا الله منها.

قلت: ولعل من ذلك تسمية المشتري بالزبون؛ لأنه يدفع عوض ما اشتراه.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ القَدْرِ

٩٦٥. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١].

قال أبو السعود:

هـذا تنويهٌ بشـأن القرآن الكريم، وإجـلالٌ لمحله بإضماره المـؤذِنِ بغاية نباهته، المغنيـةِ عـن التصريح بـه، كأنه حاضـرٌ في جميع الأذهان، وبإسـناد إنزالـه إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به.

۞ ۞ ۞

٩٦٦. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢].

قال أبو السعود:

فيه الدلالةُ على أنَّ عُلُوَّ قدرِها خارجٌ عن دائرة دِراية الخلْقِ، لا يَدريها ولا يُدريها إلا علَّام الغيوب.

قال عبدالله التويجري:

نِعمَ القومُ إذا جاء رمضان أقبلوا على الله، وتابوا وأنابوا، فإذا دخلت العشر جَدُّوا واجتهـدوا، ودَعَوا ربهم، وسـألوه العفو والغفـران، وزادوا مـن صلاتهم وتلاوتهم، عسى الله أن يثبتنا وإياهم على دينه وطاعته.

۞ ۞ ۞

٩٦٧. قال تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣].

قال في أضواء البيان:

فإذا صادف العبدُ ليلةَ القدر في المسجد النبوي يصلي، وصلاةٌ فيه بألف صلاة، فكم تكون النعمة وعِظَمُ المنة، من المنعمِ المتفضلِ سبحانه؟ إنه لمما يعلي الهمة، ويعظم الرغبة.

ثم قال: وليالي القدر كلُّها، كانت لرسول الله ﷺ في المدينة.

هنيئا لكم يا أهل المدينة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

٩٦٨. قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤-٥].

قال ابن القيم:

اعلم أنَّ في دوام الذِّكر في الطريقِ والبيتِ والحضَرِ والسَّفرِ والبقاعِ تكثيرًا لشهودِ العبدِ يومَ القيامة؛ فإنَّ البقعةَ والدارَ والجبلَ والأرضَ تشهدُ للذَّاكرِ يومَ القيامة.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ ۞ ۞

٩٦٩. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

قال عبدالله التويجري:

لا تحقر مِن المعروفِ شيئًا أنْ تعمله؛ فوالله الذي لا إله غيره لسوف ترى جزاءَ مثقالِ الذرَّة وإنْ لم ترَها بعينك الآن!

فالسورة تتضمن الترغيب في القليل من الخير؛ فإنه يوشك أن يكثر.

والتحذير من اليسير من الذنب؛ فإنه يوشك أن يكبر، ولهذا قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»

اللهم أعنا على أنفسنا.

۞ ۞ ۞

٩٧٠. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

قال البقاعي:

ومَـن فقِهَ ذلـك لم يحقرْ ذنبًـا وإنْ دقَّ؛ لأنه يجتمـع إلى أمثاله فيصيـر كبيرًا كما قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إياك ومحقرات الذنوب، فإنَّ لها من الله طالبا».

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ العَادِيَاتِ

٩٧١. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات: ٦].

قال ابن عباس: لكنود: لكفورٌ جحودٌ لِنعم الله.

وقال الحسن: يذكر المصائب وينسى النعم.

أخذه الشاعر فنظمه:

يا أيها الظالم في فعله ... والظلمُ مردودٌ على مَن ظَلَمْ
إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصيبات وتنسى النعم

❁ ❁ ❁

سُورَةُ القَارِعَةِ

٩٧٢. قال تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١].

قال البقاعي:

(سورة القارعة) مقصودها: إيضاحُ يومِ الدِّين، بتصويرِ ثواني أحواله في مبدئه ومآله!! وتقسيمُ الناس فيه إلى ناجٍ وهالك.

وقال القرطبي:

تقول العرب: قرعتهم القارعة، وفقرتهم الفاقرة، إذا وقع بهم أمر فظيع.

وقال صاحب الأضواء:

الشيءُ إذا عظُم خطرُه كثُرتْ أسماؤه.

۞۞۞

٩٧٣. قال تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۞ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۞ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۞ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١-٥].

قال الطاهر ابن عاشور:

حصَل في هذه الآية تهويلٌ شديدٌ بثمانية طرق، وهي:

١- الابتداءُ باسم القارعة، المؤذنُ بأمرٍ عظيم.

٢- الاستفهامُ المستعمَلُ في التهويل.

٣- الإظهارُ في مقام الإضمار أولَ مرة.

٤- الاستفهامُ عما ينبئ بِكُنه القارعة.

٥- توجيهُ الخطابِ إلى غير معين.

٦- الإظهارُ في مقامِ الإضمارِ ثاني مرة.

٧- التوقيتُ بزمانٍ مجهولٍ حصولُه.

٨- تعريفُ ذلك الوقتِ بأحوالٍ مهولة.

❁ ❁ ❁

٩٧٤. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣].

قال أبو السعود:

وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ تأكيدٌ لهولِها وفظاعتِها؛ ببيانِ خروجِها عن دائـرةِ علومِ الخلْـقِ، على معنى أنَّ عِظَمَ شـأنِها بحيثُ لا تكادُ تنالُـهُ دِرايةُ أحدٍ حتى يُدريك بها.

اللهم ارحمنا والطف بنا.

❁ ❁ ❁

سورة التكاثر

٩٧٥. قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

قال ابن كثير:

ذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس، أنه رأى في يدِ رجلٍ درهمًا. فقال: لمن هذا الدرهم؟

فقال الرجل: لي.

فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر، أو ابتغاء شكر.

ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر:

أنت للمالِ إذا أمسكتَهُ فإذا أنفقتَهُ فالمالُ لك

اللهم قنا شح أنفسنا.

۞ ۞ ۞

٩٧٦. قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

قال ابن عطية:

روي أن أعرابيًا سمع هذه الآيةَ، فقال: بُعِثَ القومُ للقيامة، وربِّ الكعبة!! فإنَّ الزائرَ منصرفٌ لا يُقيم!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

٩٧٧. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

قال ابن تيمية:

أي: لتسألنَّ عن شكره؛ فإنَّ اللهَ لا يبيحُ شيئا ويعاقبُ مَن فعله، ولكن: يسألُه عن الواجب الذي أوجبه معه، وعما حرَّمه عليه، هل فرَّط بترك مأمورٍ أو فعلِ محظور؟

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

اللهم ارحمنا ووالدينا وابن تيمية.

۞ ۞ ۞

٩٧٨. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: ٨].

قال الرازي:

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت الآية قام محتاجٌ، فقال: هل عليَّ مِن النعمة شيء؟ قال: الظِّلُّ والنعلانِ والماءُ البارد!!

اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله، وبيدك الخير كله، ومنك الفضل كله.

۞ ۞ ۞

سورة العصر

٩٧٩. قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١-٢].

قال الرازي:

وعن بعض السلف: تعلمتُ معنى السورة من بائع الثلج، كان يصيح ويقول: ارحموا مَن يذوبُ رأسُ مالِه!!

ارحموا مَن يذوبُ رأسَ مالِه!!

فقلت: هذا معنى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يمُرُّ به العصرُ فيمضي عمرُه، ولا يكتسب؛ فإذا هو خاسر.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الهُمَزَةِ

٩٨٠. قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٣].

قال الحسن: ما رأيتُ يقينًا لا شكَّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه كالموت.

۞ ۞ ۞

٩٨١. قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٦-٧].

قال أبوحيان:

الأفئدة ألطف ما في البدن، وأشدُّهُ تألمًا بأدنى شيء من الأذى، واطِّلاعُ النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها، وهي تعلو الكفارَ في جميع أبدانهم، لكن نبَّه على الأشرف؛ لأنها مقر العقائد.

اللهم أمتنا على الإيمان والسنة.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ المَاعُونِ

٩٨٢. قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١-٢].

قال المفسرون:

هل عرفتَ الذي يكذِّبُ بالجزاءِ أو بالإسلام؟ إنْ لم تعرفْه، وأردتَ أنْ تعرفَه فهو الذي يَدفعُ اليتيمَ دفْعا عنيفا بغلظةٍ وجفوة، ويزجرُه زجْرا قبيحا بِشِدَّةٍ وقسوة.

وهذا مثلُ حالِ دفعِ أهلِ النارِ إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

وهذا المكذِّبُ للدِّين إنما يقسو على اليتيم ولا يرحمُه لقساوة قلبه؛ حيث لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابا.

وهذه الخصلةُ كما أنَّها قبيحةٌ منكرَةٌ بحسب الشرع، فهي أيضا مستنكرَة بحسب المروءة والإنسانية.

❁ ❁ ❁

٩٨٣. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٥-٧].

قال الرازي: ثُمَّ لمَّا شرح أمرَ الصَّلاةِ أعقبه بذِكرِ الصِّلاتِ، فقال: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾. انتهى.

يا عباد الله: صَلُّوا لله، وصِلُوا عبادَ الله.

❁ ❁ ❁

٩٨٤. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦-٧].

قال عبدالله الغامدي:

سببُ الرياء: رَفعُ الناسِ فوق قدْرِهم، وعدمُ قدْرِ الله حقَّ قدرِه. ولذا فالسبيلُ إلىٰ تحصيل الإخلاص: بمعرفة قدْرِ الله، وأنَّ بيده كلَّ شيء، ومعرفةِ قدْرِ الناس وأنه ليس بيدهم أيُّ شيء. وبمقدار معرفة المرءِ لهذه الحقيقةِ والقناعةِ بها يكون بُعدُه عن الرياء وقربُه مِن الإخلاص.

❁ ❁ ❁

٩٨٥. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦-٧]

قال الرازي:

قال المحققون في الملاءمة بين قوله: ﴿يُرَآءُونَ﴾ وبين قوله: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ كأنه تعالى يقول: الصلاةُ لي، والماعون للخلق، فما يجبُ جعلُه لي يعرضونه على الخلق! وما هو حقُّ الخلقِ يسترونه عنهم!

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الكَوْثَرِ

٩٨٦. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

قال الثعلبي:

والكوثر فوعل من الكثرة، كنوفل من النفل. والعرب تسمي كلَّ شيءٍ كثيرٍ في العدد أو كثيرٍ في المقدار الخطر: كوثرا.

قال سفيان بن عيينة: قيل لعجوزٍ رجع ابنُها مَن السفر: بِم آبَ ابنُكِ؟

قالت: آبَ بكوثر، يعني بمال كثير. اه.

والكوثر نهر في الجنة عليه خير كثير.

قال ابن القيم: للنبي ﷺ حَوضانِ عظيمان:

حوضٌ في الدنيا، وهو سُنتهُ وما جاء به.

وحوضٌ في الآخرة.

فالشاربون من هذا الحوضِ في الدنيا هُمُ الشاربون من حوضه يوم القيامة.

فشاربٌ ومحروم، ومستقِلٌّ ومستكثِر.

فَرِدْ أيها الظمآنُ والوِرْدُ مُمْكنٌ ... فإنْ لَم تَرِدْ فاعلَم بأنَّك هالكُ

وإنْ لَم يكنْ رضوانُ يَسقيك شَربةً ... سَيَسْقيكها -إذْ أنت ظمآنُ- مالكُ

وإنْ لم تَرِدْ في هذه الدارِ حوضَهُ ... سَتُصرَفُ عنه يوم يلقاك آنكُ

اللهم أوردنا -برحمتك- حوض نبيك ﷺ.

❁ ❁ ❁

٩٨٧. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١-٢].

قال الرازي عفا الله عنه:

السورة مكية في أصح الأقوال، وكان الأمرُ بالنَّحر جاريًا مجرى البشارة بحصول الدولة، وزوال الفقر والخوف.

وقال أيضًا:

الصلاةُ أعظمُ العبادات البدنية فقرن بها أعظمَ أنواعِ الضحايا، وفيه إشارةٌ إلى أنك بعد فقرك تصيرُ بحيث تنحرُ المائة من الإبل.

ثم قال: ذكروا في فائدة الفاء في قوله: ﴿فَصَلِّ﴾ وجوها:

أحدها: التنبيه على أنَّ شكرَ النعمةِ يجبُ على الفور لا على التراخي.

قال أبو حيان:

ولمَّا ذَكر في سورة الماعون وصْفَ المنافق بالبخل وتركِ الصلاة والرياءِ ومنعِ الزكاة، قابل -في السورة التي بعدها- البخلَ بـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾. والسهو في الصلاة بقوله: ﴿فَصَلِّ﴾. والرياءَ بقوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾. ومنعَ الزكاة بقوله: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾. أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابَل أربعًا بأربع.

❁ ❁ ❁

٩٨٨. قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ٢].

قال ابن القيم:

قَلْبُ مَنْ ترائيه بيد مَن أعرضتَ عنه، يصرفُه عنك إلى غيرك؛ فلا على ثوابِ المخلِصين حصلْتَ، ولا إلى ما قصدتَه بالرياء وصلْتَ!! وفات الأجرُ والمدحُ، فلا هذا ولا هذا.

اللهم ارزقنا خشيتك.

❁ ❁ ❁

٩٨٩. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

قال فاضل السامرائي:

مجرد البغض والشنآن للرسول ﷺ هو بوار وخسار.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الكَافِرُونَ

٩٩٠. قال تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

قال أبو حيان:

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ﴾ دليلٌ على أنه ﷺ مأمورٌ بذلك من عند الله، وخطابُه لهم بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ في ناديهم، ومكانِ بسطةِ أيديهم، مع ما في الوصف مِن الإرذالِ بهم، دليلٌ على أنه ﷺ محروسٌ من عند الله تعالى لا يبالي بهم.

اللهم فصل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

٩٩١. قال تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

قال القرطبي:

قال ابن عباس: ليس في القرآن أشدُّ غيظًا لإبليس منها؛ لأنها توحيدٌ وبراءةٌ من الشرك.

وقال الأصمعي: كان يقال لسورتي: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. المقشقشتان، أي: أنهما تبرئان من النفاق.

اللهم أنزل شآبيب رحمتك على القرطبي؛ فالقراءة في تفسيره تغنيك عن الحدائق الغنَّاء، وعن الأسفار وما فيها من عناء، كتابٌ ينقلك لمجلس مالك ومجاهد وقتادة والفرَّاء.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ النَّصرِ

٩٩٢. قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١].

قال الثعلبي:

فإنك حينئذٍ لاحقٌ به، وذائقٌ الموتَ، كما ذاق مَن قبلك مِن الرسل، وعند الكمالِ يُرتقب الزوالُ، كما قيل:

إذا تمَّ أمْرٌ بدا نقصُه توقعْ زوالًا إذا قيل تَمْ

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ ۞ ۞

٩٩٣. قال تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣].

قال ابن جُزَي:

فإن قيل: لِم أمره اللهُ بالتسبيحِ والحمدِ والاستغفارِ عند رؤيةِ النصرِ والفتح، وعند اقترابِ أجله؟

فالجواب: أنه أُمِر بالتسبيح والحمدِ ليكون شكرًا على النصرِ والفتحِ وظهورِ الإسلام.

وأمَرَه بذلك وبالاستغفار عند اقترابِ أجله ليكون ذلك زادًا للآخرة وعُدَّةً للقاء الله.

سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لنا.

۞ ۞ ۞

٩٩٤. قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣].

قال ابن عطية:

وقولُه تعالى: «إنه كان توابا» بعقب قوله: «واستغفره» ترجيةٌ عظيمةٌ للمستغفرين، جعلنا الله منهم.

وقال القرطبي:

وإذا كان ﷺ وهو معصومٌ يؤمرُ بالاستغفار، فما الظَّنُّ بغيرِه؟!

اللهم اغفرلنا وتجاوز عنا.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المَسَدِ

٩٩٥. قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤].

قال القرطبي:

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس.

وقال أكثم بن صيفي لبنيه: إياكم والنميمة! فإنها نارٌ محرِقة، وإنَّ النمام ليعملُ في ساعةٍ ما لا يعملُ الساحر في شهر!

أخذه بعض الشعراء فقال:

إنَّ النميمةَ نارٌ ويْكَ محرقةٌ ... ففِرَّ عنها وجانب مَن تعاطاها

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الفَلَقِ

٩٩٦. قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

قال أبو السعود المتوفى عام (٩٨٢ هـ):

«الفلـق»: الصبـح... ثـم قال: وقيـل: هو كلُّ مـا يفلقُه اللهُ تعالـى، كالأرضِ عن النبـات، والجبالِ عن العيون، والسـحابِ عن الأمطار، والحـبِّ والنوى عما يخرجُ منهما، وغير ذلك.

وفي تعليقِ العياذِ باسـم الرَّبِّ المضافِ إلى الفلَقِ المنبيءِ عن النور عقيبَ الظلمةِ، والسعةِ بعد الضيق، والفتقِ بعد الرتقِ، عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذةِ العائذِ مما يعوذُ منه، وإنجائِه منـه، وتقويةٌ لرجائه بتذكيرِ بعـضِ نظائره، ومزيدُ ترغيبٍ له في الجِّـدِ والاعتناءِ بقرع باب الالتجاء إليه تعالى.

اللهم فأعذنا يارب الفلق من شـر ما خلقت ومن شـر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد. وأحسن الله إليك يا أبا السعود.

❁ ❁ ❁

٩٩٧. قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

قال الزَّجاج:

ومعنـى الفلـق: الخلق؛ قـال الله ﷻ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعـام: ٩٦]. وقال: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ [الأنعام: ٩٥].

وكذلك فلق الأرض بالنبات، والسحاب بالمطر، وإذا تأملتَ الخلق تبين لك أنَّ خلقَه أكثرُه عن انفلاق، فالفلق جميع المخلوقات، وفلق الصبح من ذلك.

❁ ❁ ❁

٩٩٨. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

قال ابن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هجرية عند تفسيره لسورة الفلق:

وهذا الشأن (يعني السحر) في زماننا موجودٌ شائعٌ في صحراء المغرب، وحدثني ثقةٌ أنه رأى عند بعضهم خيطا أحمر قد عُقدت فيه عُقد على فُصلان (أولاد البقر)، فمنعتْ بذلك رضاعَ أمهاتها، فكان إذا حُلَّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه في الحين فرضع، أعاذنا الله تعالى من شر السحرة بقدرته. انتهى كلامه.

۞ ۞ ۞

٩٩٩. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

قال ابن القيم:

فكلُّ عائنٍ حاسد، وليس كلُّ حاسدٍ عائنًا. فلما كان الحاسدُ أعمَّ مِن العائن، كانت الاستعاذةُ منه استعاذةً من العائن. وهي سهامٌ تخرجُ مِن نفس الحاسدِ والعينِ نحو المحسودِ والمعِين، تصيبُه العينُ تارة، وتخطئه تارة.

فإنْ صادَفَته مكشوفًا لا وقاية عليه أثَّرت فيه، ولا بُد. وإنْ صادَفَته حَذِرًا، شاكي السلاح، لا مَنفذَ فيه للسهام، لم تؤثر فيه، وربما ردت السهامَ على صاحبها.

وهذا بمثابة الرمي الحسي سواء، فهذا من النفوس والأرواح، وهذا من الأجسام والأشباح.

اللهم أحسن منقلبنا إليك.

۞ ۞ ۞

١٠٠٠. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

قال الثعلبي:

قال الحسين بن الفضل: إنَّ اللهَ جمعَ الشرورَ في هذه الآيةِ، وختمها بالحسد؛ ليُعلم أنَّ الحسدَ أخسُّ الطبائع.

نعوذ بالله من الحسد والحاسدين.

✵✵✵

١٠٠١. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

قال المعري:

فلا تحسُدَنْ يومًا على فضلِ نعمةٍ فحسبُكَ عارًا أنْ يقال حسودُ

✵✵✵

قال ابن جزي:

فإن قيل: لِمَ ختمَ القرآنَ بالمعوذتين؟ وما الحكمة في ذلك؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لما كان القرآن مِن أعظم النعم على عباده، والنعمُ مظنةَ الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: أنزلت علي آياتٌ لم يُر مثلهن قط، كما قال في فاتحة الكتاب: لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره.

اللهم إنا نعوذ من شر كل ذي شر.

✵✵✵

١٠٠٢ . قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥].

قال عبدالله الصبيحي:

لو تأمَّل الحاسدُ (سورة الفلق) لَذُعِرَ مِن كون المسلمين كافةً يتعوذون منه صباحًا ومساءً.

رحمة الله عليك أبا عبدالعزيز بكرة وعشيا.

❁ ❁ ❁

تم بحمد الله، وكان الفراغ منه كتابةً ومراجعةً مساء الاثنين، الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ألف وأربعمائة وستة وأربعين للهجرة النبوية.

وأحمد الله الكريم المنان على فضله وإحسانه وجوده، وأسأله المغفرة والرضوان لي ولوالدي وذريتي وأهلي ولمن قرأ هذا الكتاب وانتفع به؛ إنه جواد كريم.

وأشكر أخي وصديقي الأستاذ الكريم عبدالكريم بن عبدالعزيز السيف الذي كان متابعًا لطباعة الكتاب وقائمًا عليه، وكذلك أشكر آل المطرودي الكرام الأجاويد الذين تكفلوا بالطباعة للكتاب؛ فأحسن الله لهم أجمعين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

فهرس

ثمار يانعة، وزهرات تفوح عبيرًا، التقطها الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز التويجري، من حدائق التفاسير الفيحاء، تكشف عن درر مكنونة في كتاب الله تعالى، الذي لا تنتهي عجائبه، والذي يعلو ولا يعلى عليه.

سوف تفاجأ أيها القارئ الكريم بمعانٍ ودلالات لآيات تحفظها من سنوات، وكم تلوتها في الصلوات وخارج الصلوات، وربما لم تنتبه لتلك الدلالة اللغوية أو التفسيرية فتجد لذلك متعة أيما متعة.

ما إن تبدأ في قراءته إلا استرسلت فيها لا تريد أن ينتهي ذلك الجمال، مستأنسا بأسماء المفسرين الأجلاء من أقمار هذه الأمة الذين أضاءوا واستضاءوا بكتاب الله تعالى.

فجزى الله جامعه وطابعه وحامله وقارئه الخير كله.

الناشر

طبع على نفقة: عبد المحسن بن إبراهيم المطرودي

رحمه الله وغفر له ولذريته

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع

9 789779 663197